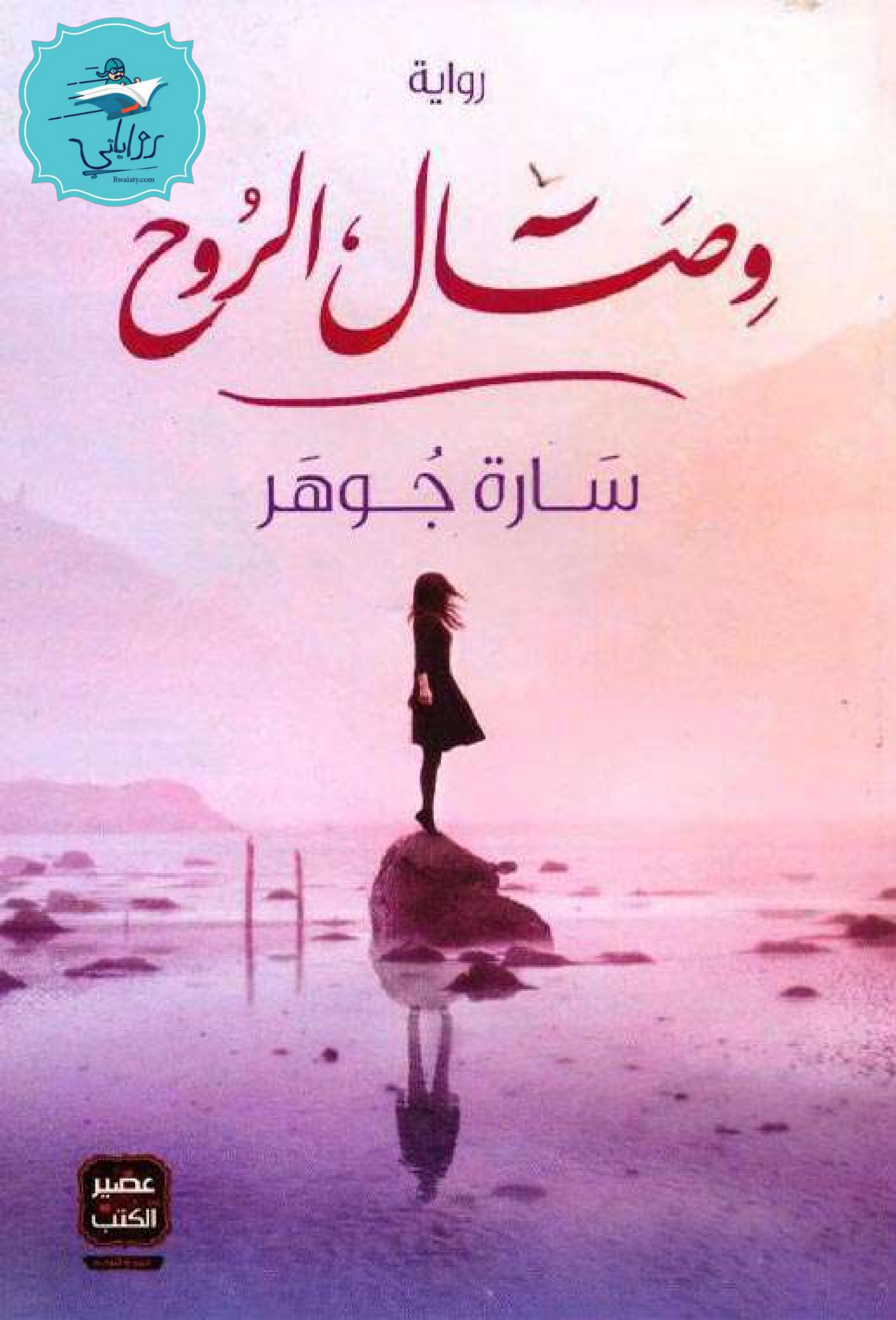


رواياتي
Rwaiaty.com
رواية
وِصَال الرُوح
سَارة جُوهَر
عصير الكتب


رواياتي
Rwaiaty.com





الكتــــاب : وصال الروح
المــــؤلــــف : سارة جوهر
تنسيــق داخلي : سمر محمد
تـدقيـق لغـوي: عبدالله أسامة
الطبعة الأولى: ينـــايــر 2018
رقـــم الإيــداع : 2017/26943
978-977-6541-37-5:I.S.B.N

المدير العام: محمد شوقي
مدير النشر: علي حمدي

مدير التوزيع: عمر عباس
01150636428

لمراسلة الدار Email: P.bookjuice@yahoo.com

الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن وجهة نظر الكاتب
ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الدار

عصير الكتب للنشر والتوزيع

وصال الروح

رواية

سارة جوهر




رواياتي
Rwaiaty.com

(لــقــاء الســحــاب)

أضاءت شاشة هاتفي متزامنة مع صوت جرس المنبه المزعج، في عزف مزدوج مع صوت عمتي العالي ينادي من خارج الغرفة «يـــاســمـــي، يـــاســمـــي»، مع إيقاع ضرباتها على باب الغرفة.

لا أدري من الذي أذاع خبر وفاتي حتى توقظني عمتي بمثل هذه الضجة، وكأنها توقظني من قبري.

تثاءبت في كسل وأنا ألعن المنبه وأسب هاتفي وألعن نفسي على عدم نومي مبكرًا كي أواجه مأساة الاستيقاظ المبكر في الصباح، نهضت من بين ركام الأغطية التي تردمني بها عمتي كل ليلة.

اتجهت إلى الحمام وأصابع قدمي الصغيرة تعانق أثاث البيت مع كل خطوة أخطوها، وصوتي يصدح بالسب واللّعن على هذا الصباح.

- «يـاسمـي» استيقظـي أيتها الكسولة.

- توقفي عن الصراخ يا «روفي» ستوقظين الجيران وجيران الجيران.

لم يكن حمامي أفضل حالًا من بداية صباحي، لا أدري لمَ يصر مؤشر صنبور المياه على عدم مزج المياه الساخنة مع الباردة؟ أنهيت حمامي وخرجت تتبعني قطرات المياه المتساقطة من بين خصلات شعري كعادتي دومًا.

صدح صوت عمتي معاتبًا: بأي لغة تريدين مني أن أقول جففي شعرك قبل أن تتخطى قدمك عتبة الحمام.

قبلت رأسها وتناولت من يدها كوب الشوكولاتة الساخنة.

وذهبت أستعد لاستقبال يوم جديد في العمل، مارست هوايتي في الوقوف أمام خزانة ملابسي حائرة لا أدري ماذا أنتقي، لدي ثياب كثيرة تصيبني بحيرة الاختيار وتشعرني أيضًا أنه ليس لدي ملابس.

انتقيت فستاني الأسود القصير واخترت معه شالًا رمادي اللون يضاهي لون عيني، وانتقيت حذاءً مرتفعًا اشتريته بالأمس اعتراضًا مني على قصر قامتي، ارتديت ثيابي على عجل ورفعت خصلات شعري الليلية فوق رأسي بمشبك للشعر، وضعت حقيبة عملي على كتفي واتجهت إلى باب الشقة.

لحقت بي عمتي كعادتها، تناولت منها علبة فطوري مرغمة ووضعت حبوب دوائي في حقيبتي، ودعتها وانطلقت على درج البناية، استقبلني هواء الشتاء في لهفة أطارت شالي وعبثت بخصلات شعري.

دلفت إلى سيارتي وبدأت معاناتي اليومية مع الزحام، واصلت اللعن والسب طوال الطريق إلى أن توقفت عند محل العم «راشد»، ابتعت فطوري المعتاد كوبًا من القهوة المخفوقة وعلبة معجنات القرفة، عدت إلى سيارتي واتجهت إلى المؤسسة.

وصلت وصعدت الدرج بحذر حفاظًا على سلامة فطوري، وفجأةً أطاح بي شاب أهوج من فوق الدرج جعلني أسقط رأسًا على عقب، انسكب كوب القهوة على الأرض وتناثرت معجناتي خارج العلبة، وافترشت الطريق وأنا في حالة فوضى يرثى لها.

مدّ الشاب يده يساعدني على النهوض لكني تجاهلته عن عمد.

نهضت وجمع الشاب أغراضي المتناثرة وأعادها إلى حقيبتي وناولني إياها.

بادرني في برود: لم لا تنظرين أين تضعين قدمك!

أجبته في غضب: حتى العميان يتلمسون خطاهم ولا يفعلون مثلك، أين ذهبت عيناك؟!

رماني بنظرة غاضبة، قاومت رغبتي في صفعه، كان طويل القامة بدرجة توحي بالخطر.

عاودت صعود الدرج وأدركت أني فقدت نعل حذائي، واصلت السير وأنا أعرج داخل حذائي المكسور، اتجهت إلى المصعد متجاهلة النظرات المتفحصة التي تتبعني.

أسرعت إلى مكتبي، وبدأ جرس الهاتف يعمل وكأنه كان يقبع في انتظار وصولي.

- آلو.. نعم.. دقائق وأكون هناك.

كانت المتصلة سكرتيرة «د/ محمد» مدير مؤسسة التأهيل تبلغني بضرورة ذهابي إلى مكتبه.

اتجهت إلى المرآة التي تحتل أحد أركان مكتبي وهالتني الفوضى التي آل إليها حالي، وجهي ملطخ بالأتربة، وأحال التراب سواد فستاني إلى بياض، حتى خصلات شعري لم تسلم، يا لها من بداية رائعة للصباح، آه لو رأيت هذا العمود مرة ثانية.

هندمت ثيابي ورتبت خصلات شعري سريعًا، واتجهت إلى مكتب المدير.

وجدت بالداخل المدير «د/ محمد»، ومساعده «أ/ عادل» والمسؤولة عن قسم الأطفال «أ/ نجوى»، هذا الجمع لا يبشر بالخير يا له من صباحٍ رائع.

لم أكد ألقي بتحية الصباح حتى أتاني صوت «د/ محمد» ساخرًا:

- تفضلي يا «ياسمي» هانم شاركينا الكارثة التي تسببت فيها بعنادك وإصرارك.

بهت للحظات وأنا أحاول فهم ما يجري، إلى أن أنقذتني «أ/ نجوى».

قالت في اقتضاب: «ياسين» قام بإيذاء زميلته «جنى» وكاد أن يفقأ عينيها، ووالدة الطفلة تتوعد المؤسسة عبر صفحات التواصل الاجتماعي وتهدد بعمل محضر لجميع المسؤولين والعاملين بالمؤسسة.

سألتها: «أ/ نجوى» أين المشرفات ومعلمة الفصل مما حدث؟

أجابتني: الحالة النفسية لـ «ياسين» صعبة وجميع المشرفات يرفضن التعامل معه.

حالة «ياسين» من أصعب الحالات الموجودة في المؤسسة، اضطراب سلوكي، عدوانية مفرطة، مع فرط نشاط حركي، قبلت ملفه رأفةً بحال والدته بعد أن أغلقت باقي مؤسسات التأهيل النفسي أبوابها في وجه صغيرها.

أما والدة «جنى» فهي آخر شخص ترغب في لقائه على ظهر هذا الكوكب، شخصية مغرورة ومتصنعة وتهوى لفت الأنظار إليها بشتى الطرق ولا شيء يرضيها سوى الكثير من المجاملة.

عاود المدير صراخه: ماذا سنفعل يا «أ/ ياسمي» في هذه الفوضى، أولياء الأمور يتابعون ما يجري الآن على صفحة المؤسسة، وسمعة المؤسسة أصبحت مهددة.

قاطع حديثه طرقات السكرتيرة على الباب، دخلت وأذاعت خبر انتظار والدة الطفلة «جنى» في قاعة أولياء الأمور، ورغبتها في لقاء أحد المسؤولين داخل المؤسسة.

- «ياسمي» اذهبي لمقابلتها، وأصلحي ما أفسدته رعونتك.

- حسنًا يا دكتور.

خطر لي أن أترك هذه المهزلة وأعود إلى سيارتي ومنها إلى فراشي وأعود في صباح آخر غير هذا، لكن تحاملت على نفسي متجاهلة إهانة «د/ محمد»، فقط لأنه كان الصديق المقرب إلى جدي.

رددت كل الأدعية التي أحفظها قبل الدخول على مدام «نيفين»، كانت تشبه القنبلة الموقوتة وتهدد بالانفجار، وكنت التعيسة المكلفة بتهدئة زوبعتها.

دلفت إليها ولم تترك لي فرصة إلقاء تحية الصباح.

- أهلًا بالآنسة المستهترة، كدت أفقد عين ابنتي بسببك، ألم يجدوا سوى المراهقات لإدارة مكان كهذا، هل ألتزم بدفع المصاريف كل شهر وأتبرع بمبالغ طائلة حتى يكون جزاء ابنتي هو الإهمال؟

استمعت إليها في صمت وأنا أردد في نفسي: يا له من صباح مشرق، انتظرت حتى تنتهي مدام «نيفين» من صراخها.

بادرتها في هدوء وتفهم:

- أنا أقدر غضبك يا مدام «نيفين»، «جنى» طفلة رائعة ولا تستحق ما حدث لها، وأنت أيضًا أم بارعة ومتفانية ولا أحد يلومك أو يعاتبك على أي ردة فعل تقومين باتخاذها.

(ليت الأرض تنشق وتبتلعني على كذبي).

وكما توقعت، ما إن بدأت بمدحها حتى هدأت قليلًا وتركت لي فرصة الحديث.

واصلت حديثي قائلة:

- لكن أرجو يا مدام «نيفين» أن تتمهلي في اتخاذ قرارك، وتمنحيني جزءًا من سعة صدرك حتى نستطيع العمل معًا على حل هذه المشكلة، بالطبع أي مؤسسة تتشرف بوجود أم حريصة وشخصية ناجحة وجميلة مثلك، ونحن هنا نقدر وجودك بيننا ونحرص على عدم خسارة وجود «جنى» معنا بأي شكل كان.

سكت لأرى وقع كلماتي عليها وكما توقعت هدأت تمامًا.

- لكن «أ/ ياسمي» ما حدث أفزع «جنى» جدًا وأثار غضب أبيها.

- نعم أعرف أن «جنى» طفلة رقيقة وحساسة، لكن أعدك أن ألتقي بها وأصلح ما حدث وهي تعرفني وستوافق على الحديث معي.

- نعم في الحقيقة هي دائمة الحديث عنك يا «أ/ ياسمي»، لكن..

قاطعت اعتراضها المزيف قائلة:

- كنت أرغب بالتواصل معك هذا الصباح يا مدام «نيفين» بخصوص أمر هام.

انتبهت وتطلعت إليّ في تركيز.

واصلت: بالأمس كان مجلس إدارة المؤسسة يناقش أمر الحفل السنوي لهذا العام، ولم نجد شخصية جديرة بالثقة تشرف على تنظيم الحفل معنا، أنت تعلمين أننا كل عام نقوم باختيار أحد أولياء الأمور لمساعدتنا في هذه المهمة، وقد قمت باقتراح اسمك على مجلس الإدارة للقيام بهذه المهمة.

طرقات الباب قاطعت حديثي، دلفت عاملة البوفية تحمل عصير الليمون وكوبًا من المياه وضعتهما أمام مدام «نيفين» وانسحبت، تعمدت عدم استكمال الحديث.

- مدام «نيفين» رجاءً تفضلي العصير.

وكما توقعت نسيت تمامًا أمر الطفلة، واتجه تفكيرها كله نحو موضوع إدارتها للحفل.

- هل حقًا وافق المجلس على إدارتي للحفل؟

- نعم وأعتذر أني تطفلت واقترحت عليهم هذا الأمر دون الرجوع إليك أولًا، لكن ثقتي في شخصك دفعتني إلى هذا.

- لا لا.. لا تعتذري أقدر ثقتك، وأنا في غاية السعادة للقيام بهذه المهمة.

- هل هذا يعني أنك ستمنحينا فرصة إصلاح ما حدث؟

عادت للحديث بنبرةٍ متعالية:

- نعم على أن تكون هذه هي آخر مرة يحدث فيها هذا الإهمال، وأن يتم فصل طفلتي «جنى» عن المدعو «ياسين» هذا.

(حتمًا سيجيء يوم تنفجر فيه بالونة الهواء هذه جراء غرورها وتسلطها).

- طبعًا يا مدام «نيفين» هذا ما سيتم، وأشكرك كثيرًا على هذه الفرصة، بكل تأكيد سنحرص على نيل ثقتك مرة ثانية.

- متى سنناقش أمر تنظيم الحفل؟

- إذا سمح وقتك سأتصل بك في بداية الأسبوع المقبل لنحدد موعد مناقشة تفاصيل الأمر.

- سأنتظر اتصالك يا «أ/ ياسمي».

- شكرًا لك على موافقتك يا مدام «نيفين»، لي رجاء آخر عندك.

- تفضلي طبعًا طبعًا.

- أثار الحديث عن المشكلة في صفحات التواصل الاجتماعي ضجة وبالطبع ستؤثر على سمعة المؤسسة وقد نضطر لإلغاء الحفل منعًا للمشاكل التي ستحدث عند اجتماع أولياء الأمور مع العاملين.

- لا تقلقي «أ/ ياسمي» سأحذف ما كتبته وأضمن أن لا يتم نشر أي شيء عما حدث بالأمس.

- شكرًا جزيلًا لكرم أخلاقك وحكمتك مدام «نيفين».

- الشكر لك يا «أ/ ياسمي» على اهتمامك واستيعابك الأمر، أنت إنسانة رائعة.

(الآن أصبحت إنسانة رائعة كنت منذ قليل مراهقة حمقاء وطائشة).

كبتّ ما يعتمل بصدري وواصلت نفخ البالون الجالسة أمامي:

- هذه شهادة أعتز بها حقًا، أود أن أهنئك على ذوقك الراقي في اختيار الثياب.

لم تقو البالون السخيفة على إخفاء سعادتها هذه المرة.

- حقًا تعجبك ثيابي «ياسمي».

- نعم بلا شك، تمتلكين قوامًا رائعًا وذوقًا راقيًا أهنئك عليه.

(أيتها الأرض ابتلعيني على هذه الأكاذيب وأريحيني من هذه الوظيفة، كانت مجرد بالون منتفخ يعج بالألوان، هي أقرب للتشوه البصري من كونها امرأة).

- أنا سعيدة جدًا بشهادة شابة مثلك.

أخيرًا انتهت المقابلة وودعتها وهي تمطرني بالثناء والمدح، وسط ذهول موظفة السكرتارية بالخارج والتي طالها نصيب من إهانات مدام «نيفين».

لولا سمعة المؤسسة لما ترددت لحظة عن كسر حذائي الآخر فوق رأس هذه المغرورة، ردًا على إهاناتها وتوبيخها لي.

تجاوزت الساعة العاشرة، أي أنني أضعت من وقتي ما يزيد عن الساعة وأنا منشغلة معها، عدت للطاولة حيث كنا نجلس، حملت ملف الطفلة «جنى» وانطلقت للخارج.

تقدمت نحو المصعد وأنا أعرج في حذائي وأقفز، لعنة الله على هذا الشاب المفسد، عدت إلى مكتب «د/ محمد» مدير المؤسسة، طرقت الباب وأذن لي بالدخول.

- «ياسمي» أهلًا تفضلي بالجلوس.

(الأخبار في هذه المؤسسة تسابق سرعة البرق في الوصول، تذكرت وجود كاميرا متصلة ما بين مكتب الدكتور وقاعة استقبال أولياء الأمور).

- كنت رائعة حقًا يا «ياسمي» أسلوبك في الحديث معها مدهش، أنت عبقرية في مجالك.

(الآن بت رائعة وعبقرية، منذ ساعة كنت متهورة ومستهترة).

وجهت له نظرة جامدة: شكرًا يا «د/ محمد» هذا واجبي.

لاحظ حنقي على إهانته لي وانفعاله عليّ هذا الصباح، بادرني:

- «ياسمي» أنت حتمًا لم يصلك ما فعلته والدة الطفلة على صفحات التواصل الاجتماعي من إهانات وتهديدات للمؤسسة والعاملين بها، استطاعت لفت انتباه أولياء الأمور المتواجدين على الصفحة، لقد

كان الأمر بمثابة فضيحة للمؤسسة، لم أذق طعم النوم من البارحة، ولم يتوقف هاتفي الجوال عن استقبال الشكاوى ورسائل الإهانات المتوالية. أعترف أني أسأت إليك هذا الصباح، لكن أنا أعتبرك في مكانة ابنتي، أليس كذلك؟

أجبته موافقة بإيماءةٍ من رأسي.

- حسنًا يا عبقرية عودي إلى عملك ولا تنسي الاتصال بمدام «نيفين»، ورتبي الأمر مع «أ/ عزة» المسؤولة عن الأنشطة والحفلات.

استمعت إلى ملاحظته في اتجاهي إلى باب المكتب، وأنا أواصل القفز كراقصات الباليه في بحيرة البجع، دلفت إلى المصعد مرغمة لأعود لمكتبي، أكره هذه العلبة الحديدية، لولا ما أصاب حذائي لما اضطررت إلى استخدامه.

عدت إلى مكتبي وساقي تئن من الوجع، آه يا له من صباح مشرق، ألقيت بملف الطفلة على المكتب، وتركت حذائي أسفل المكتب، وبدأ طنين الصداع يغزو رأسي، تذكرت أنني لم أتناول فطوري ولا دوائي حتى الآن، ذاك الأهوج أهدر فطوري وحرمني من تناول الطعام الشهي الذي أحضرته.

أجريت اتصالًا بالكافتيريا وطلبت كوبًا من القهوة المخفوقة، ولاصقًا للأحذية.

تناولت دفتر مواعيدي، يا الله لقد فوّت موعد مقابلة مهمة مع الطبيب الذي اتفقت معه بالأمس، اتصلت بمكتب الاستقبال..

- معك «أ/ ياسمي» هل حضر طبيب يدعى «يوسف» هذا الصباح لمقابلتي؟

- نعم حضر والتقى بـ «أ/ مجدي».

شكرتها ووضعت الهاتف، وما شأن «أ/ مجدي» هذا بعملي، حتمًا أفسد الأمر، أعرف أنه يتحين الفرصة لزرع العراقيل أمامي.

غادرت المكتب وأنا أسير حافية القدمين دون أن أعي، اتجهت إلى مكتب «أ/ مجدي»، أخبرتني السكرتيرة أن لديه اجتماعًا في مكتب المدير، وجوده عند المدير أنقذه مني، صعدت الدرج قفزًا إلى الطابق الأخير، وصلت لمكتب المدير وطرقت الباب وأنا ألهث.

- ما الأمر يا «أ/ ياسمي»؟

- أريد أن أسأل «أ/ مجدي» عما حدث أثناء مقابلته مع الطبيب الجديد.

التفت «أ/ مجدي» نحوي وهو يرميني بابتسامةٍ ساخرة، لم أعبأ لها.

- لقد رفضت طلب التحاقه بالوظيفة، شاب مغرور مثله غير جدير بهذا المنصب.

- ماذا فعلت؟! لقد كان من المفترض أن يوقع عقد الوظيفة في مكتبي هذا الصباح، كيف رفضت طبيبًا بمثل مؤهلاته! لقد عانيت على مدار الأسبوع للعثور على طبيب يشغل الوظيفة بعد طرد الطبيب المهمل الذي قمت أنت بتوظيفه، ألا تعي أهمية مؤهلاته الجامعية وشهادات الخبرة الحاصل عليها للمؤسسة، أليس لها قيمة عندك، على أي أساس يتم تعيين الموظفين يا «أ/ مجدي» السن أم الخبرة والمؤهل؟

انفجرت فيه بغضب بعد كل ما واجهته منذ بداية صباحي.

قاطعني «د/ محمد»:

- من فضلك اهدئي واجلسي يا «ياسمي»، ماذا حدث مع هذا الطبيب يا «أ/ مجدي»؟

اتجهت نحو المقعد المقابل لمكتب المدير وجلست أستمع إلى سخافات «أ/ مجدي» التي ابتكرها من أجل إثارة غضبي.

رماني بنظرة غاضبة وهو يقول:

– طلب الشاب مرتبًا مضاعفًا لمرتب الطبيب السابق، وأصر على رأيه في عنجهيةٍ وغرور، فشلت في التفاوض معه، وغادر غاضبًا بعد أن وجه اتهاماتٍ للمؤسسة بالتلاعب وعدم احترام الآخرين.

قاطعته بعصبية:

– بالأمس أرسل لي الطبيب ملفه العملي عبر البريد الإلكتروني وأجريت اتصالي معه واتفقنا على بنود العقد وشروط الوظيفة، وحددت له موعدًا لتوقيع العقد هذا الصباح.

لم يعلق «د/ محمد» على حديثي، واصل «أ/ مجدي» دفاعه عن نفسه:

– أنا لم أدرك كل هذا وبدا لي أنه ما زال شابًا ولا يملك خبرة كافية.

قاطعته بنفاد صبر:

– هل اطلعت على الملف الخاص بالطبيب يا «أ/ مجدي»؟

– نعم يا «أ/ ياسمي» تفقدته ولم ألحظ ما يثير الاهتمام.

قاطعه المدير: كفى يا «أ/ مجدي».

ووجه حديثه لي:

– من فضلك يا «ياسمي» تواصلي مع الشاب وحددي موعدًا آخر لمقابلته، شاب بهذه المؤهلات سيفيد المؤسسة.

- سأجرب الاتصال به يا «د/ محمد»، أرجو ألا يتدخل أحد في مهام وظيفتي مرةً ثانية.

رميت الجملة وأنا أنظر إلى «أ/ مجدي» بسخرية، ذلك الشخص البغيض يمقتني لأني فزت بالوظيفة عوضًا عن ابن أخيه، نظرًا لخبرتي ومؤهلاتي الدراسية، يظن أن هذا من باب الوساطة والمحاباة.

خرجت من مكتب «د/ محمد» واتجهت إلى مكتبي.

وجدت كوب القهوة على سطح المكتب وجواره أنبوب لاصق للورق، لا أدري ماذا سيفعل هذا مع الحذاء، انتبهت إلى أني ذهبت لمكتب المدير حافية القدمين، ألهذا كان «أ/ مجدي» يرميني بنظرات ساخرة!

أجريت اتصالًا جديدًا مع الطبيب، أخيرًا جاءني صوته عبر الهاتف:

- آلو.

- «أ/ يوسف»؟

- نعم، من؟

- معك «أ/ ياسمي» من..

قاطعني بغضب: أهلًا يا آنسة، شكرًا على المقابلة «أ/ ياسمي»، لا أعرف كيف أشكرك على الإهانة التي تعرضت لها.

قاطعته: «أ/ يوسف» حدث سوء تفاهم.

أجابني وهو يقلد نبرة صوتي وطريقة حديثي: كل شيء جاهز على التعاقد يا دكتور موعدنا الثامنة صباحًا يا دكتور -صاح غاضبًا- انتظرتك قرابة الساعة، هل لديك ساعة؟

- «أ/ يوسف» من فضلك.

قاطعني في غضب: دكتور، هذا هو لقبي يا أستاذة من فضلك.

(لعنة اللّه على من وضع الألقاب ومن اخترعها)، تمالكت أعصابي وبادرته:

- من فضلك يا «د/ يوسف» اترك لي فرصة شرح الموقف.

- تفضلي كلي آذان مصغية يا «أ/ ياسمي».

- كان من المفترض أن ألتقي بك هذا الصباح وفق اتفاقنا، لكن تخلفت عن الموعد بسبب حادث سير، لذا قام «أ/ مجدي» بإجراء مقابلتك، ولم يكن على علم بالاتفاق المبرم بيننا، دعنا نتفق على موعد آخر إذا كانت رغبتك في الوظيفة لا تزال قائمة.

- لقد جئت من الإسكندرية خصوصًا من أجل هذا الموعد يا أستاذة، لا أظن أن بإمكاني العودة مرة ثانية.

قاطعته بنفاد صبر:

- أنت لم تغادر القاهرة بعد يا «د/ يوسف»، أليس كذلك؟

- نعم، في الحقيقة أنا بالقرب من المؤسسة الآن.

- حسنًا «د/ يوسف» سأكون في انتظار عودتك.

- أتمنى وجودك عند وصولي «أ/ ياسمي».

أنهيت المكالمة وأنا أتساءل متى سينتهي هذا اليوم العظيم.

كان رأسي ينبض من الألم، أخرجت علبة العصير التي أعددتها عمتي وتجرعت القليل منها مع حبوب الدواء، وأعدت طلب كوب من القهوة المخفوقة من البوفية، أتمنى أن أتناوله هذه المرة.

بحثت عن حذائي المكسور وانشغلت في محاولة إصلاحه، بعدها سمعت دقات على الباب، ظننت أنه عامل البوفية، صحت قائلة:

- ادخل، ضع القهوة وأحضر لي لاصقًا آخر يصلح مع الحذاء.

لم يأتني رد، رفعت رأسي أستطلع الأمر لأجد الشاب الأهوج يقف أمامي ويبتسم في سخرية.

صحت في غضب:

- ماذا تريد ألا يكفيك ما فعلته؟

- أنا «د/ يوسف» ولدي موعد الآن مع «أ/ ياسمي» هل هي موجودة يا آنسة؟

أطبقت شفتيّ في صعوبة وتملكني الذهول، لمَ يكرهني حظي إلى هذه الدرجة، هل حقًا سأضطر للعمل مع هذا الكائن الأهوج؟ تمالكت دهشتي ورحبت به.

- مرحبًا «د/ يوسف» تفضل.

تأخر في الجلوس، وسألني في استنكار:

- أنت «أ/ ياسمي»؟

- نعم، أنا هي.

- أهلًا وسهلًا.

- أهلًا بك يا دكتور، ماذا تود أن تشرب؟

وددت لو أضع له اللاصق في كوب القهوة وأجبره على تناوله جرّاء إفساده يومي.

- قهوة بدون سكر من فضلك.

قمت بطلب البوفية وأضفت القهوة إلى جانب قهوتي المخفوقة التي طلبتها لنفسي منذ قليل.

- انتهيت من إعداد ملف التعاقد بالأمس يا دكتور، تفضل بالاطلاع عليه وأخبرني بأي ملاحظة تود إضافتها.

- حسنًا يا «أ/ ياسمي».

مددت له يدي بملف التعاقد.

استغرق وقتًا طويلًا في الاطلاع عليه، قطع تركيزه وصول عامل البوفية، وضع أمامه القهوة، وترك أمامي كوب قهوتي وعلبة غراء.

رفع الطبيب رأسه، رمق علبة الغراء بابتسامة وعاد إلى مطالعة الملف.

تناولت رشفة من كوب القهوة الساخنة على عجل، تأذى حلقي من فعلتي، تمتمت بلا وعي: غبية.

رفع رأسه مندهشًا! فبادرت بالاعتذار.

حتمًا هذا هو أكثر أيامي بؤسًا.

واصل «يوسف» الاطلاع على الملف، ووقع بعدها على العقد دون أي ملاحظات أو تعديل، أعاد بعدها الملف قائلًا:

- جميع البنود مناسبة ولا تحتاج تعديلًا.

- مبارك انضمامك لمؤسستنا يا دكتور، أتمنى لك التوفيق في العمل معنا، تفضل قهوتك.

تناول الفنجان قائلًا:

- شكرًا لك، إن شاء لله أكون عند حسن ظنك.

كان يتحاشى النظر نحوي طوال الوقت لكن عينيه في هذه اللحظة باحت بإعجاب صريح لا أعرف سره، أضفت توقيعي إلى جوار توقيعه.

اختتمت المقابلة وأنا أقول:

- غدًا تتعرف على نظام العمل ومدير المؤسسة.

«يوسف»

أخيرًا وجدت إعلان وظيفة يطلب طبيبًا ومشرف قسم داخل إحدى المؤسسات النفسية المشهورة، قمت بإرسال ملف بياناتي ومعه نسخ من شهادات الدراسة والخبرة الحاصل عليها.

وتلقيت اتصالًا هاتفيًا من المسؤولة عن شؤون العاملين بالمؤسسة.

- ألو «أ/ يوسف» معي؟

- نعم، من يتحدث؟

- معك «أ/ ياسمي» من مؤسسة المستقبل.

- أهلًا وسهلًا يا فندم.

- أهلًا بك، راجعت الطلب الذي أرسلته بخصوص الوظيفة الشاغرة، ورأيت من خلال الشهادات المرفقة أنك جدير بالعمل معنا.

- شكرًا لك، يسرني العمل معكم بالطبع يا أستاذة.

- العفو، لدي بعض الأمور الخاصة بمهام الوظيفة أود أن أطرحها عليك وبعدها نتفق على موعد مقابلة لو ناسبك العمل.

- نعم، تفضلي «أ/ ياسمين».

- «ياسمي» وليس «ياسمين» يا دكتور.

- حسنًا يا أستاذة.

- أولًا العمل لدينا سيكون لدوام كامل، عدا العطل الأسبوعية والمناسبات الخاصة، مدة الدوام غالبًا لا تتجاوز العشر ساعات، ستصبح مسؤولًا عن جميع الطلاب داخل المؤسسة، وعن الإشراف على أطباء الأقسام المختصين بالتأهيل النفسي وتعديل السلوك، وستشرف أيضًا على متابعة تقارير الجلسات التي يرفعها كل طبيب عن صفه، هل تجد صعوبة في هذا الأمر؟

- لا، تفضلي بمواصلة الحديث.

- لدينا فرع للمؤسسة بالإسكندرية ستقوم بتفقده دوريًا، والتأكد من حسن سير العمل، هل لديك أي استفسار بخصوص هذا؟

- لا.

- بقي أن نتفق على مسألة الراتب.

طلبت رقمًا أعلى من المفترض، تحسبًا للدخول في مفاوضات وفاجأتني بالموافقة دون نقاش.

- حسنًا اتفقنا، دعنا إذًا نجري مقابلة بالغد ونوقع العقد.

- حسنًا، متى؟

- سأنتظرك عند الثامنة صباحًا داخل مكتبي في الطابق الثاني.

أنهيت المكالمة معها في استغراب من بساطة تعاملها وسهولة سير الأمور، كان التعاقد في العيادات والمؤسسات الأخرى يستغرق مفاوضات وبنودًا مجحفة إلى جانب فترة اختبار طويلة.

شغلني التفكير في اسم موظفة المؤسسة «ياسمي» اسمها يبدو مألوفًا رغم غرابته، لكن لا أذكر أين قابلني من قبل.

تناولت هاتفي واتصلت بـ «رفيف».

- مرحبًا كيف حالك يا أختي؟

- مرحبًا «يوسف» الحمد لله بخير وأنت؟

- الحمد لله بخير، كيف حال الصغير؟

- الحمد لله نحن جميعًا بخير، لكن اشتقنا لوجودك معنا.

- أبشري أنا قادم إلى القاهرة في المساء، لدي موعد لمقابلة عمل في الصباح.

- هل حقًا سنراك اليوم يا «يوسف»؟

- نعم بإذن الله يا «رفيف»، سأنتقل للعيش في شقتي إذا حصلت على الوظيفة.

- بالتوفيق يا «يوسف»، أسأل الله أن يجمعنا على خير.

- سأذهب وأستعد للسفر الآن يا «رفيف».

أنهيت المكالمة مع شقيقتي، وأبدلت ثيابي، وجهزت ثيابًا رسمية تناسب مقابلة الغد ووضعتها داخل حقيبة سفري الصغيرة.

اتجهت للطابق الأرضي وأدخلت دراجتي البخارية بمدخل البناية، وأكدت على الحارس أن يعتني بها حتى عودتي، ركبت سيارة أجرة إلى محطة القطار، واستقليت القطار المتجه للقاهرة.

أخرجت هاتفي ووضعت سماعات الأذن على رأسي وأدرت خاطرتي المفضلة.

آهٍ يا «حور» أين أنت، مرت أعوام وما زلت لا أقوى على نسيانك، كل شيء يذكرني بك ، حديثك عن «اللّه» وعن صلواتك ودعائك وخوفك من فقد رحمة اللّه، ليتني تجرأت وطلبت لقاءك.

كانت كلمات القصيدة تصف حالي مع «حور» بدقة:

وهل يكفيك صوت دمي

وقد نادى عليك «أنـا»

وهل يكفيك دمع الشوق

في الخلوات ما سكن

تعبت من النوى المزرق

في قلبي الذي احتقن

وأنت هناك لا تقوى

على إخفائك الحزن

أخرجت حاسوبي النقال ودلفت إلى صفحة التواصل الاجتماعي حيث تعرفنا، لا جديد على صفحتها الشخصية، غادرت الموقع منذ آخر حديث بيننا ولم تعد.

الجميع يظن أني مريض أو مجنون لتعلقي بفتاة لا أعرف شيئًا عنها، وهي لا تعرف حقيقة مشاعري تجاهها.

سعيت إلى الارتباط خلال فترة إقامتي في لندن وتوقفت عن التفكير في «حور» لفترةٍ من الوقت، لكن عادت تطارد أحلامي عندما بدأت البحث عن زوجة، ظننت في البداية أنها وساوس من الشيطان وأصريت على استكمال أمر زواجي.

تعرضت إلى فسخ خطبتي عدة مرات ودون سبب، ما إن يقترب موعد الزفاف حتى تصر خطيبتي على الفسخ وإنهاء الأمر، إلى أن صارحتني آخر فتاة تقدمت لخطبتها بسر فسخ الخطبة المتكرر.

أخبرتني أنها دائمًا ما ترى فتاة جميلة أثناء نومها، تقف في الظلام وتبكي وتردد اسمي وتنادي عليّ، وأن الأمر زاد عن حده مع اقتراب موعد الزفاف، وأنها لم تكن ترى هذا النوع من الأحلام قبل معرفتها بي.

قررت الفتاة فسخ الخطبة، وتأكدت من أن الفتاة التي رأتها خطيبتي هي «حور»، فهي الوحيدة التي كنت أراها بمنامي بنفس هذه المواصفات.

ظنت شقيقتي أن الأمر له علاقة بالسحر وألحت على ذهابنا إلى شيخ للعلاج بالقرآن، لكن رفضت الأمر فأنا أواظب على الصلاة وعلى تلاوة الأدعية والأوردة قبل نومي، كما أن هذه الرؤى لم تبدأ معي إلا بعد معرفتي «حور».

ومع أنه من غير المنطقي أن يتعلق طبيب عملي مثلي بالرؤى والأحلام، فأنا على يقين من ظهور «حور» وارتباطي بها.

اندمجت مع كلمات الخاطرة وأنا أردد (وأنت هناك لا تقوى على إخفائك الحزن).

آهٍ يا «حور» لو أعثر عليك.

وصلت إلى القاهرة واستقليت سيارة أجرة إلى منزلي.

مررت بشقة أختي، طرقت الباب وأتاني صوت صرخات «إياد»، رحبت بي «رفيف» ودعتني للدخول، احتضنتها وحملت صغيرها واتجهنا إلى غرفة المعيشة.

«رفيف» هي كل ما بقي من عائلتي، تعرضت بالفترة الأخيرة إلى ضغوطات كثيرة بعد موت زوجها، وعانى «إياد» من صعوبة في النطق واضطرابات النوم بسبب رحيل والده المفاجئ.

أصرت شقيقتي على الإقامة في مصر داخل شقة زوجها، ورفضت المجيء معي إلى لندن، مما اضطرني لترك دراستي وعملي والعودة إلى مصر.

بادرتني «رفيف» الحديث:

- حمدًا لله على سلامتك يا «يوسف» اشتقت إليك كثيرًا.

- سلمك الله يا «رفيف» كيف حالك أنت والخالة أم حمزة؟

- الحمد لله بخير لكنها متعبة قليلًا.

- شفاها الله وعافاها.

- انتبه إلى «إياد» حتى أعود يا «يوسف».

- حسنًا، تفضلي.

حملت «إياد» على كتفي وجلست على الأريكة ورحت أداعبه وأمرح معه.

عادت «رفيف» وهي تحمل كاسات العصير ودعتني إلى تناوله، وذهبت لإعداد الطعام.

حضرت جدة «إياد» ورحبت بي وصارحتني برغبتها في العودة إلى بلدتها ومخاوفها من ترك شقيقتي وحفيدها وحدهما، بشرتها بحصولي على وظيفة داخل القاهرة وبعودتي للإقامة في شقتي المجاورة لشقة «رفيف».

دعتنا «رفيف» إلى تناول العشاء:

- تفضل يا «يوسف» وأحضر «إياد» معك، تفضلي يا خالة هيا الطعام سيبرد.

اتجهنا إلى الطاولة، تفننت «رفيف» في إعداد صنوف وألوان من الأطعمة كلها أشهى من بعضها البعض، جلست إلى جوار «رفيف» وجلس «إياد» على ساقي، وأصريت أن أطعمه بنفسي.

- سلمت يداك يا أم «إياد» الطعام رائع.

- بالهناء والشفاء.

انتهينا من تناول الطعام، استأذنت الخالة أم حمزة في العودة إلى غرفتها لتستريح، وقمت برفع الأطباق من على الطاولة رغم اعتراض «رفيف».

- استرِح يا أخي، أنت قادم من سفر ومتعب.

- لست متعبًا يا أختي.

وقفت «رفيف» تفرغ الصحون والأواني وأعنتها على غسلها وتجفيفها، جلس «إياد» على رخامة المطبخ مع لعبته إلى أن انتهينا، أعدت «رفيف» الشاي وجلسنا نتحدث عن أمر مقابلة العمل وعن المؤسسة.

خلدت إلى النوم مبكرًا، واستيقظت قرب الفجر، أديت الفرض وجلست أستغفر وأردد أدعية الصباح، ارتديت البدلة الرياضية التي أحضرتها معي وخرجت من المنزل.

كانت الخيوط الأولى للصباح قد بدأت في الظهور وما زالت الشوارع خالية، أخذت في الركض كعادتي كل صباح.

وعدت بعدها إلى المنزل اغتسلت وأبدلت ثيابي للذهاب إلى العمل، جذبني صوت الضجيج في الصالة، ذهبت لأجد «رفيف» و «إياد» في انتظاري، بادرتني:

- صباح الخير يا «يوسف»، متى استيقظت؟

- صباح الخير يا «رفيف»، منذ الفجر.

- أنا أغبطك على هذا النشاط يا «يوسف»، سأذهب لأعد الفطور.

- لا داعي يا أختي تأخرت على الموعد، سأذهب الآن.

- بالتوفيق، طمئني بعد انتهاء المقابلة.

كانت الساعة لا تزال السابعة، أوقفت سيارة أجرة واتجهت للمؤسسة، وصلت وذهبت إلى مكتب الاستقبال.

- من فضلك لدي موعد مع «أ/ ياسمي».

- لم تحضر «أ/ ياسمي» بعد، من فضلك انتظرها بقاعة الاستقبال هناك.

جلست أنتظرها قرابة الساعة، ظهرت الموظفة واتجهت نحوي قائلة:

- «د/ يوسف» تفضل معي سيتولى «أ/ مجدي» إجراء المقابلة معك.

اتجهت معها إلى مكتب «أ/ مجدي».

أخذت ملف أوراقي وغادرت المكتب والمؤسسة في غضب بعد أن تجاهلني الموظف وعاملني في قلة ذوق، لم ألحظ الفتاة القادمة باتجاهي، اصطدمت بها وهي تصعد الدرج ومعها كوب قهوة وعلبة طعام، طاحت الفتاة على الأرض وتناثرت أغراضها.

تملكني الخجل منها وذهبت نحوها بغرض مساعدتها، لكنها رفضت يدي الممدودة بالمساعدة، وبختني وتناولت مني أوراقها وحقيبتها في غضب، تابعتها وهي تعاود صعود الدرج، كانت في حالة فوضى يرثى لها.

جمعت علبة المخبوزات من الطريق ووضعتها جانبًا، يبدو أن قلة الذوق هي الطابع المميز بين العاملين هنا، وهذه المخلوقة سليطة اللسان هي أشنعهم على الإطلاق، احتفظت بعنوان المقهى المطبوع على العلبة وانطلقت إليه، كان تصميم المقهى مريحًا للأعصاب.

دلفت ولحقت بي فتاة مراهقة ودونت طلبي وعادت الفتاة بعد قليل وهي تحمل الطعام وكوبًا من القهوة، شكرتها وشرعت في تناول فطوري بإحباط.

ارتفع رنين الهاتف وأنا في طريقي للخارج، كانت «أ/ ياسمي» هي المتصلة وطلبت مني العودة للمؤسسة وإجراء مقابلة عوضًا عن التي أجراها معي «أ/ مجدي»، وافقت بعد تردد وانطلقت عائدًا إلى المؤسسة.

اتجهت إلى مكتب الاستقبال واصطحبتني الموظفة إلى مكتب «أ/ ياسمي» ومضت بعدها.

طرقت باب المكتب ودخلت، فوجئت بالفتاة التي اصطدمت بها في الصباح تجلس على رأس المكتب منهمكة في إصلاح كعب حذائها وما زالت آثار الفوضى بادية على ثيابها، رفعت رأسها نحوي وامتقع وجهها بالغضب.

صدمت عندما صارحتها بهويتي، لكن تمالكت نفسها ورحبت بي ودعتني للجلوس.

لقد كانت مهذبة ومنمقة وهي تتحدث معي في الهاتف، كيف تحولت إلى المخلوقة سليطة اللسان التي اصطدمت بي على الدرج.

تولت إدارة الحديث ودعتني إلى فنجان قهوة، واعتذرت عن ما حدث في مقابلة «أ/ مجدي» هذا الصباح، وأخبرتني أنها أعدت بنود العقد منذ أمس وأعطتني نسخة من ملف العقد، كانت مبدعة ودقيقة جدًا في عملها رغم حداثة سنها الواضحة، كانت بنود عقد العمل منصفة تراعي مصلحة الطرفين، لم أجد ما يحتاج للنقاش، وقعت على العقد.

بادرتني قائلة:

- غدًا تتعرف على نظام العمل ومدير المؤسسة.

- غدًا عطلة أسبوعية يا أستاذة أليس كذلك؟

انتبهت في خجل: نعم نؤجل هذا إلى بداية الأسبوع القادم إذًا.

ودعتني وعادت إلى مكتبها، فوجئت بأنها كانت تقف حافية القدمين، يبدو أن صباحها لم يكن أفضل حالًا من صباحي، انصرفت عائدًا إلى شقة أختي.

استقبلتني «رفيف» بترحاب:

- مرحبًا «يوسف» كيف صارت المقابلة؟

- وقعت عقد العمل لكن واجهتني صعوبة في البداية.

قصصت عليها تفاصيل ما حدث معي، بادرتني مدافعة عن بنات جنسها:

– أحقًا ما تقول، أطحت بالفتاة من على الدرج وأفسدت ثيابها دون أن تعتذر؟

– نعم، كنت غاضبًا من الموظف ولم أنتبه للأمر.

– الحمد لله أنها وافقت على إعطائك الوظيفة يا «يوسف» بعد كل هذا.

– سأعود إلى الإسكندرية لأحضر أغراضي وأنتقل إلى شقتي.

– ما زلت لا أصدق أننا سنجتمع أخيرًا في مكان واحد.

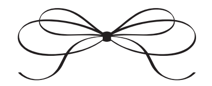
– من فضلك يا «رفيف» أحضري من ينظف الشقة قبل عودتي.

– ولمَ لا تقيم معنا؟

– لا داعي لهذا، تعودت على الإقامة بمفردي وحتى لا أضيق عليكم، سأكون بالشقة المقابلة لك إذا احتجتني.

– حسنًا يا «يوسف» سأجهز الشقة لاستقبالك، متى ستعود؟

– الليلة.



(لعنة الماضي)

«ياسمين»:

أخيرًا انتهى يومي الكارثي، أعدت ترتيب أوراق المتقدمين لشغل آخر وظيفة خالية، وعاودت الاتصال بهم لتحديد موعد إجراء المقابلة معهم، وأعدت ترتيب المكتب وتنظيم الأوراق.

جمعت أغراضي واتجهت إلى منزلي، كنت أشعر بالحر رغم برودة الطقس في مثل هذا الوقت من العام، أغلقت نوافذ السيارة وأدرت مكيف الهواء واندمجت مع الموسيقى.

علقت في الزحام ولم أجد منفذًا أهرب إليه، كدت أترك سيارتي على قارعة الطريق وأعود إلى منزلي سيرًا.

وصلت وأنا في قمة الإرهاق من طول فترة القيادة، وضعت سيارتي في المكان المخصص وصعدت السلم قفزًا.

دلفت إلى داخل الشقة وأنا أهتف في مرح:

- يا أهل الدار مرحبًا.. يا عالم.. يا ناس أنا عدت.

صاحت عمتي عبر المطبخ:

- أبدلي ثيابك يا «ياسمي» سأضع الغداء هيا.

- أخيرًا وصلتِ يا «ياسمي» حمدًا للّه على سلامتك، أنا القادم من الإسكندرية وصلت قبلك وكدت أموت جوعًا وأنا أنتظرك.

استقبلني «كريم» ابن زوج عمتي الراحل بحفاوة، كان شابًا ثلاثينيًا يمتاز ببشرة خمرية ووجه بشوش تزينه نغزتان أضفتا عليه شقاوة محببة وعينين لامعتين.

- أنا لا أصدق يا «كريم» أني عدت إلى المنزل أخيرًا، كدت أبكي على الرصيف حتى أنفذ من بين الزحام، اااااااه.

قلتها وجلست على سجاد غرفة الاستقبال، ألقيت بملفاتي وحقيبتي وحذائي على الأرض.

- يا له من صباح بشع! ليتني لم أغادر منزلي.

انحنى «كريم» والتقط حذائي بدهشة: ما هذا.. «ياسمي» ترتدي نعلًا مرتفعًا ما الذي حدث!

انتبه «كريم» إلى الفردة الخربة وسألني ساخرًا: ماذا حدث للحذاء المسكين؟

- لا بد أن هذا هو يوم نحسي يا «كريم»، العالم كله تآمر ضدي اليوم وتعاون الجميع على إفساد صباحي.

- ماذا حدث لكل هذا يا سمسمتي؟

- بدأت صباحي بتفاؤل ومنيت نفسي بفطور رائع من عند العم «راشد»، علقت بعدها في حادث على الطريق أخرني كثيرًا، وأطاح بي شاب أهوج من على درج المؤسسة وألقى باللوم عليّ.

أجابني ساخرًا:

- وهل ما زال هذا الشاب على قيد الحياة يا «سمسم»؟

رميته بنظرة غاضبة.

- أنا أمزح معك، ماذا حدث بعد ذلك؟

- دبر لي «أ/ مجدي» مكيدة وصرف طبيبًا جديدًا تعاقدت معه على العمل، اتصلت بالطبيب وتمكنت من إقناعه بالعودة بعد أن استمعت إلى ما لذ وطاب من التوبيخ، لك أن تتخيل ما حدث بعد هذا.

- ماذا حدث يا «سمسمة»؟

- تحداني حظي ووضعني في أكثر المواقف سوءًا، تخيل أن الشاب الذي أطاح بي هو نفسه الطبيب.

صاحت عمتي في نفاد صبر:

- «يـــاســمـي» كفاك ثرثرة، انهضي وأبدلي ثيابك وعودي لتناول الطعام.

اتجهت إلى غرفتي، تناولت ثيابًا مريحة واتجهت للحمام، اغتسلت وأزلت التراب العالق بخصلات شعري وجسدي.

وكعادة «كريم» أفسد عليّ استرخائي تحت المياه وراح يستعجلني في الخروج، تركت الحمام مجبرة وتذكرت أن أضع المنشفة على رأسي حتى أتخلص من صياح «روفي» المجلجل، جلست أتناول الطعام مع «كريم» وعمتي، أكملت الحديث عما حدث لي في العمل، ظل كلاهما يضحك من سوء حظي.. بادرني «كريم» ضاحكًا:

- من المؤكد أن هذا ليس أفضل أيامك.

- نعم، على الإطلاق، ليتني ما ودعت فراشي هذا الصباح.

ضحك «كريم» وهو يقول:

- الفراش متاح أمامك على مدار يومين، أتمنى أن أراك نائمة يا سمسمتي الكسولة.

بادرتني عمتي بالسؤال المعتاد:

- هل تناولت فطورك يا «ياسمي»؟

سددت نحوها إحدى نظراتي البريئة قائلة:

- وهل وجدت فرصة لتناول الفطور يا عمتي، كان هناك مؤامرة ضدي على مدار اليوم.

عقدت «روفي» حاجبيها ولم تعلق.

أنهينا تناول الطعام، جمع «كريم» الأطباق، وجلست عمتي تتلو وردها المسائي.

وذهبت إلى غرفتي أحضرت مشط الشعر إلى عمتي، ناولتها المشط وأنا أبتسم.

بادرتني بحنان:

- اجلسي يا «سمسمة» وثبتي رأسك.

جلست على الأرض وجمعت «روفي» خصلات شعري في كفها وقسمتها إلى مجموعات صغيرة، وفكت تشعث شعري برفق، وعقدت لي جديلة السنبلة التي أهواها.

طبعت قبلة على جبينها، وذهبت إلى المطبخ، بادرني «كريم»:

– هيا ساعديني ورتبي الأواني يا «سمسمة».

قمت بتجفيف الأواني وأنا جالسة فوق رخام المطبخ.

انتهينا وعدنا للجلوس مع عمتي، وضعت رأسي على ساقها وربتت بأناملها على رأسي في حنان.

أدار «كريم» التلفاز على إحدى قنوات الأفلام، وذهبت «روفي» للمطبخ وأعدت مشروب السحلب، وأثناء غيابها نهض «كريم» إلى غرفته وعاد ومعه كيس الحلوى الأسبوعي، ناولني شنطة مليئة بالشوكولاتة والحلوى والمقرمشات.

– هيا خبئيها سريعًا قبل أن تقبض علينا «روفي» وبحوزتنا أداة الجريمة.

ضحكت وأنا أقول:

– ستحرمني «روفي» من كوب القهوة الأسبوعية لو رأتنا.

ونهضت مسرعة إلى غرفتي وضعت كيس الحلوى وعدت.

جلسنا بعدها أنا وكريم نتابع فيلم السهرة، ونهضت «روفي» للفراش قبل منتصف الفيلم حتى تستيقظ لصلاة الفجر، ظل «كريم» معي حتى نهاية الفيلم، ودعته ودخلت لغرفتي.

لاحظت شرود «كريم» على مدار الفيلم، أعلم أن مسألة عدم قدرته على الإنجاب تشغله وتثير حزنه، إلى جانب تخلي زوجته عنه وإصرارها على الانفصال.

عدت إلى غرفتي وأخرجت دفتر ذكرياتي، وبدأت رحلتي اليومية مع الذكريات، الجميع يهرب من الماضي وأنا أذهب إليه، بعد أن تأكدت أن دوائي يقبع داخله.

حملت دفتري واتجهت إلى فراشي.

بدأت رحلة البحث في الذكريات القديمة من أول طفولتي السوداء إلى لحظة عودتي من لندن، كنت أعرف أن ما فعله بي «يامن» أثر في شخصيتي، رحت أتساءل كيف استطاع أذيتي بهذا الشكل، في حين أنه كان يدّعي محبتي.

كان «يامن» حنونًا ودافئًا في بداية ارتباطنا، ولم أتوقع أن يتسبب في جرحي، أو أن يعاملني بقسوة، كان هو الوحيد الذي لاحظ وجودي وأصر على الارتباط بي، وأغدق عليّ بمحبته واهتمامه حتى بدأت التعلق به، وتغير بعدها.

عرف نقطة ضعفي واستخدمها ضدي، كنت أهرب من وحدتي معه، فاستغل خوفي من العزلة، ولم يكن لدي أصدقاء أو أقارب وقتها، كنت وحيدة تمامًا وشجعه هذا على تدميري.

كيف سأصلح ما أفسده «يامن»، كيف سأزيل غابات الخوف التي زرعها في قلبي، خوف من الارتباط والتعلق، وخوف من التعرض للرفض أو الخيانة.

كنت في المرحلة الثانوية عندما تمت خطبتي إلى «يامن»، بادرني الحديث قبلها برقة وألح على موافقتي: أنا أعرف يا «حور» أن مدة تعارفنا قصيرة لكن رغم هذا أنا متأكد أنك الإنسانة المناسبة لأبدأ معها حياتي، وأتمنى أن تتركي لي فرصة التقرب منك.

غبت في التفكير لم أعرف بمَ أجيبه.

كنت وحيدة رحيل جدتي دمرني، ولم أقو على مواجهة الحياة بعدها، وفشلت محاولة جدي في التخفيف عني، حاولت الانتحار أكثر من مرة، وأنقذني ظهور «يامن»، وجوده قربي أعادني إلى الحياة.

جمعت بيننا علاقة الجيرة، وكان والده صديق جدي، لكن لم أكن على معرفة جيدة به.

فاجأني طلبه، واحترت لمَ يرغب شاب رائع ووسيم مثل «يامن» في الارتباط بمراهقة لا تمتلك الجمال الكافي لجذب انتباهه وليس لديها ما يميزها، إلى جانب شخصيتها الانطوائية لكنه لم يأبه بهذا، كان يعاملني كأميرة.

كان أول لقاء بيننا داخل المكتبة القريبة من منزلي.

كنت أقف مرتبكة أمام موظف الحسابات، بعد أن أثار الزحام خوفي، اقترب «يامن» من الموظف وتكلف بسداد فاتورة مشترواتي ورفض أن يسترد ما دفعه، فتركته وغادرت في خوف وخجل.

ولحق بي قائلًا:

- اهدأي يا «حور» سأقبل منك تكلفة المشتروات حتى لا تضطري للعودة إلى المكتبة مرة أخرى والبحث عما قمت بانتقائه من جديد.

دفعت ثمن مشترواتي ولكنه رفض أن يتركها وأصر على إيصالي للمنزل، فتركته وذهبت مسرعة وأنا ألعن غبائي وألوم نفسي على الحديث معه.

لحق بي ومنعني عن مواصلة السير:

- «حور» لا داعي للخوف أنا «يامن» جاركم في الفيلا المجاورة، ووالدي هو «كمال» صديق جدك.

- العم كمال هو والدك؟

- نعم لا داعي للخوف، اتركيني أحمل عنك الأغراض يا «حور» لن تستطيعي حملها وحدك.

مشيت إلى جواره مجبرة، حاولت أن أتأخر عنه أو أسبقه في السير، لكنه لم يمنحني الفرصة، ظل يسرع إن أسرعت ويبطئ إن تباطأت، وصلنا الفيلا ووضع المشتروات داخل الحديقة وغادر.

تتابعت زياراته للفيلا مع والده، وأصبح يحوم حولي في كل مكان أذهب إليه، ورأيته يراقبني أثناء ذهابي وعودتي من المدرسة، فواجهته:

- هل تقوم بمراقبتي يا «يامن»؟

- نعم في الحقيقة يا «حور»، ولكن لم أقصد أن أضايقك، أنا كنت أقوم بحمايتك فقط.

قلت في غضب:

- كف عن السير خلفي، أنا بخير.

وتركته بعدها ودلفت إلى داخل الفيلا.

لحق بي: «حور».. «حور».

التفت إليه في نفاد صبر، وسألته في تلعثم:

- ماذا تريد مني يا «يامن»؟

توقعت أن يسخر من لعثمتي لكنه تعامل معي برقة وخيّب ظني.

- اهدأي يا «حور» لم أقصد إزعاجك، أنا أرغب في الحديث معك في أمر هام بالنسبة لي ولم أعد أقوى على كتمانه أكثر من هذا.

- ماذا تريد يا «يامن»؟

- دعينا نجلس أولًا يا «حور».

عدنا إلى الحديقة وجلس «يامن» بالقرب مني.

- أنا أرغب في الارتباط بك يا «حور».

سألته في دهشة وأنا لا أستوعب ما سمعته:

- ماذا يعني هذا الكلام يا «يامن»؟

- يعني أني أريدك أن تصبحي زوجتي يا «حور».

- زوجتك، كيف؟

- كيف أمرها سهل، أتقدم بطلب خطبتك من جدك، وبعدها نقوم بعقد القران ونتزوج بعد انتهائك من الدراسة، وتصبحين زوجتي يا «حور».

- هكذا إذًا، كف عن المزاح.

- أنا لا أمزح يا «حور»، لو وافقتِ الآن سأحضر والدي ونتفق مع جدك على الخطبة.

- كف عن العبث يا «يامن».

- هذا ليس عبثًا يا «حور»، أنا أحبك منذ الطفولة.

- تحبني كيف وأنت لا تعرفني، هذه أوهام.

- ليست أوهام يا «حور»، أنا لم أتوقف عن التفكير فيك منذ أن رأيتك في المكتبة، كنت أنتظر موعد مدرستك في الصباح لرؤياك، وأهملت دراستي بسببك، ولم أعد أواظب على حضور تمريناتي في النادي.

لم أصدق ما قاله «يامن»، وتركته.

في المساء عاد جدي وأخبرني أن «يامن» طلب خطبتي، وسألني عن رأيي، ورفضت في حزم.

لم يستسلم «يامن» للرفض ظل يتبعني أينما ذهبت، وألح على جدي في إقناعي، وبعد ضغوط وافقت على مقابلته ودار بيننا هذا الحديث:

- «حور» أخبريني عن سبب رفضك لي، وسأتغير لأجلك، لكن رجاءً لا تتركيني هكذا أنا لم أعد أقوى على النوم ولا الحديث مع أي مخلوق، أصابني الإحباط واليأس منذ رفضتِ الارتباط بي أرجوكِ امنحيني فرصة واحدة.

لم أقو على الرفض أمام إلحاحه، وافقت.

ورحب جدي بموافقتي كثيرًا، فهو يرى أن «يامن» شاب خلوق ومهذب، ومن أصل طيب.

عدت إلى غرفتي هذه الليلة، وجدت «يامن» قد وضع خارج شرفته لافتة عريضة تحمل كلمة (أحبك «حور») باللغة الإنجليزية والفرنسية وأحاطها بالزينة والبالونات، أغلقت شرفة غرفتي وأنا أتساءل هل جن هذا الشاب، تمت الخطبة.

وبدأت الأحلام المزعجة تهاجم نومي، كل ليلة أستيقظ على صوت شاب لا أعرفه، يحذرني من خطر لا أراه وينصحني بالهرب.

بدأ «يامن» يفرض حصاره حولي، ما بين وجوده المستمر في الفيلا بحجة مساعدتي في المذاكرة، وبين اتصالاته طوال فترة وجودي بالمدرسة، تطور الأمر إلى تفتيشه الدائم لهاتفي الجوال، وعبثه بمقتنياتي ودفاتري.

لم أعد أطيق الاستمرار معه وأخبرته عن قراري بإلغاء الخطبة.

- لمَ يا «حور» أنا لا أطيق العيش بدونك؟

- وأنا لم أعد أطيق عدم ثقتك بي، ومراقبتك الدائمة.

- هل تسمين حبي لك عدم ثقة يا «حور»؟ أنا تحملت تجاهلك الدائم وجفاء معاملتك وأنت تفكرين في هجري.

راح يبكي بعدها، ورق قلبي من جديد واستمرت الخطبة.

منحني «يامن» شعورًا بالاهتمام وعوّض نقصًا كنت أعاني منه منذ طفولتي، كان هو أول شخص يلحظ وجودي ويصر على البقاء معي دون أن يمل مني، بدأ تعلقي به يزداد، ولاحظ ذلك واستغل ارتباطي به في إحكام السيطرة عليّ ومحاصرتي.

كنا قد اتفقنا أن نؤجل عقد القران والزفاف حتى الانتهاء من دراستي.

لكنه أخل بالاتفاق، وفاجأني ليلة حفل اجتيازي الثانوية العامة وطلب مني إتمام عقد القران وتسبب في إحراجي أمام الحضور، رفضت يومها وتركت الحفل في وجوم.

لم يستسلم، حاصرني بإلحاحه ولم يتوقف إلا عندما حصل على موافقتي.

كنت بلهاء وقتها ظننت إلحاحه محبة ورغبة في القرب مني، تفهمت حصاره ومراقبته على أنه اهتمام، كنت أعتقد أن حبه للسيطرة وفرض الرأي احتواء.

دفعت ثمن غبائي من صحتي ومن نفسي، أعطاني درسًا لا تذهب مرارته من حلقي.

تجاهلت خوفي منه ورفضي له قلبًا وقالبًا كل هذا في سبيل أن لا أبقى وحيدة ومنعزلة، كان «يامن» شابًا بهي الطلعة إلى حد يثير اشمئزازي، زرقة عينيه جاءت تتماشى مع بياض بشرته وأكمل شعره الأشقر الناعم الصورة المستفزة.

هناك شيء في ملامحه ينفرني منه مع أنه يجذب الفتيات الأخريات، كنت أحب التنافر وأوقر التمييز والتفرد، أهوى الملامح المتنافرة بجاذبية، ولا تستهويني الأمور المعتادة والمتوقعة، وكان من السهل توقع شخصية «يامن» السطحية.

توقعي الدائم لردود أفعاله أثار حفيظته، حتى جن وأصبح يقوم بالفعل وعكسه، ورغم هذا كله أصريت على البقاء معه تحت غطاء الهرب من الوحدة والرفض.

أيام قضيتها في أرق بفعل الرؤى المفزعة التي أراها كل ليلة، ولم ألحظ أن أحلامي كانت تزداد سوءًا كلما ازداد قرب «يامن» مني.

كنت أرى نفسي كل ليلة، أغوص داخل نفق مظلم وعلى الطرف الآخر يقف طيف شابٍ لا أعرفه يحذرني بصوت عالٍ («حور» اهربي) وأمامي ثعبان أسود ضخم يسد طريق وصولي إلى الشاب، ويهاجمني كلما حاولت الهرب.

وافقت على إتمام عقد القران وأقمنا حفلًا بسيطًا لم يرضِ عشق «يامن» للظهور والمباهاة، لكني أصريت على هذا وهددته بالتراجع عن الموافقة، كانت علاقتنا متنافرة ومع هذا استمرت.

كنت أرتدي فستانًا قصيرًا مطرزًا بوردات من الدانتيل، وزينت خصلات شعري بمشابك صغيرة للشعر. بدأ الحفل ونزلت بصحبة جدي، حضر المأذون وتم عقد القران.

اقترب «يامن» مني وجلس على ركبته وهو يضع خاتم الزواج في إصبعي، وقبل يدي أمام الجميع، وسط التهاني والمباركة، تعمد جذب الأنظار إلينا، كانت حبه للظهور ولفت الأنظار يتنافى مع الرهاب الاجتماعي الذي أعانيه.

أرهبتني نظرات الانتصار والنشوة الواضحة في عينيه وازداد خوفي منه.

انتهى الحفل وصعدنا إلى الطابق الأول وجلسنا داخل الشرفة المطلة على الحديقة، وقف «يامن» أمامي ومد يده نحوي وجذبني بقوة للوقوف بالقرب منه وهمس:

- أخيرًا يا «حور» أصبحتِ ملكي أنا فقط، لن أدعك تفلتي مني منذ اللحظة، لن أتركك تغيبين عن عيني، أنت لي وحدي.

وأدارني بعدها حول نفسي وواصل همساته: أنت فاتنة يا «حور» تمامًا كاسمك.

لم تكن الكلمات التي تفوه بها «يامن» كلمات عشق كالتي تقال في هذه الأوقات بقدر ما كانت تشبه خطابات الانتصار في الحروب، انتصر «يامن» وتمكن من احتلالي بالكامل، كنت مدينة مهجورة وضعيفة سقطت سريعًا في قبضته.

نظراته جعلت جسدي يرتجف من الخوف وضاع صوتي داخل حلقي، اقترب مني فتراجعت إلى الخلف واستمر في الاقتراب حتى التصقت بالجدار، حاصرني بطوله الفارع وجسده الضخم وهمس بصوت يشبه فحيح الأفاعي.

- حذار يا «حور» أن تبتعدي عني مرة أخرى، أتفهمين؟

وجذبني بعدها بين يديه وراح يربت على يدي بقوة آلمتني وأحسست أن عظام كتفي تهشمت، لا يمكن أن أطلق على ما فعله «يامن» عناقًا هذه مسبة لا تليق بحق العناق، اغتيال.. هذا هو الوصف الأنسب، اغتالني وسحق عظامي بين ذراعيه مؤكدًا فوزه.

أخيرًا تحررت من هلعي وحررت نفسي من قبضته وصحت فيه:

- إياك أن تقترب مني مرة ثانية يا «يامن».

- لكن أنت الآن زوجتي يا «حور» ويحق لي أن أفعل ما أريده بك.

قالها بنبرة تهديد جعلت الدم يتجمد في عروقي، ولكن مع هذا استجمعت بقايا قوتي المزيفة وارتفع صوتي من جديد:

- «يامن» لو عاودت الاقتراب مني مرة ثانية سأفسخ هذا الارتباط.

صاح في غضب:

- أفسدتِ ليلة زواجنا بحماقتك، فلا تلومي إلا نفسك يا «حور».

كان هذا بمثابة إعلان عن مرحلة التدمير، الجيوش المنتصرة تدك المدن التي تأبى الاستسلام أمامها، رغم ضعفي وعجزي كنت مدينة شامخة ظلت ترفض الخضوع حتى آخر رمق لها.

انصرف «يامن» غاضبًا بعد أول ليلة من عقد زواجنا، كانت بداية عنيفة، سقط قناع الحمل الوديع الذي كان يختبئ خلفه «يامن»، وظهر الوجه الحقيقي للذئب الكريه.

أبدلت ثيابي ودلفت لغرفتي، غفوت على مذاق دموعي، وهاجمتني أشد أحلامي رعبًا في هذه الليلة.

رأيت نفسي أقف داخل النفق المظلم والثعبان الأسود يعتصرني داخل قبضته، وأنا عاجزة عن تخليص نفسي وصوت الشاب يصرخ في هلع: (قاومي يا «حور» خلصي نفسك منه).

أعدت نفسي إلى الحاضر وأنهيت رحلتي، ربت على كتفي وأنا أهمس لنفسي:

- «حور» كانت مراهقة غبية، سلمت نفسها إلى الذئب وتركته يفترسها، أما «ياسمي» أنثى قوية لن تسمح بأن ينال منها أي مخلوق أو يمسها.

ذهب الماضي إلى غير رجعة، نحن نبحث بداخله عن بداية ننطلق منها لبناء الحاضر.

جففت دمعي واتجهت إلى المرآة ومنحت نفسي ابتسامة، وهمست لنفسي: أنت رائعة فيما عدا فقط تفاصيل صغيرة، مثلًا هذا الشعر المشعث، والعينان المنتفختان، والأنف المحمر من الرشح، عدا ذلك كل ما فيك رائع.

التقطت دفتري وأعدته إلى مخبئه داخل جراب السرير ودلفت إلى فراشي، ووضعت رأسي على الوسادة مستسلمة للنوم، بعد ليلة دامعة.

استيقظت فزعة في تمام السادسة صباحًا، لا أدري بالتحديد ما الذي أيقظني ولم أنم سوى ساعات قليلة، كل ما أتذكره أن الشاب اقترب مني جدًا هذه الليلة، وهمس بحنان:

(سنلتقي يا «حور» اصبري)

كيف أقنع أحلامي أن «حور» ذهبت إلى الأبد.

أنهيت حمامي، واتجهت إلى المطبخ وفي طريقي طرقت باب الغرفة التي ينام فيها «كريم» أيقظته، وذهبت أعد كوبًا من القهوة.

كنت أضع سماعات الرأس في أذني وخصري يتمايل على نغم عود أعشقه، وعقلي منفصل عن العالم تمامًا، استدرت فجأة وصدمني وجود «كريم» الواقف خلفي، أزلت السماعات وصرخ «كريم»:

- أخيرا عدتِ إلى كوكب الأرض، ما سر حبك لهذا العود الحزين؟

تجاهلته قائلة:

- تأخرنا، ارتدِ ثيابك.

تركت كوب القهوة بعد أن أفسد «كريم» شهيتي بظهوره المفاجئ.

- لا أدري يا «ياسمي» ما الذنب الذي فعلته في حياتي حتى أقضي صباح كل عطلة في الركض خلفك في الطرقات الخالية، وفي مثل هذا الطقس البارد.

تقمصت الجدية والتهديد قائلة:

- «كريم» كف عن الثرثرة تأخرنا، سأتركك وأذهب وحدي.

رفع يديه في استسلام ورد:

- لا لا، سمعًا وطاعة يا مستبدة، ليتني أقوى على التخلي عنك.

تركته وعدت إلى غرفتي، أخرجت زيًا قطنيًا خفيفًا وانتعلت حذائي الرياضي.

وخرجت إلى الصالة ولحق بي «كريم».

- «ياسمي» ما هذا ستصابين بالبرد، درجة الحرارة منخفضة جدًا، ارتدي معطفك.

- «كريم»، كل أسبوع تدور بيننا المناقشة ذاتها، ألم تسأم؟

فتحت باب الشقة وانطلقت أعدو على الدرج ولحق بي «كريم» متذمرًا.

- ما سر كرهك للمصاعد؟ ستدمرين صحتي بجنونك هذا يا «ياسمي».

- تقصد أني أحافظ عليها، أليس كذلك؟

خرجت من البناية واستقبلتني رياح الشتاء الباردة، صحت:

- مستعد يا «كريم».

صاح من خلفي: «ياسمي» انتظري لحظات أضع كوفيتي.

تجاهلت ثرثرته وبدأت الركض، كان شعاع الصباح لم يكتمل بعد والضباب يعانق السماء في شكل بديع، حمسني على مواصلة الجري لوقت أطول، ولم أشعر بتذمرات «كريم» ومحاولته اللحاق بي.

توقفت عن العدو بعد ساعة فقدت خلالها الشعور بما يدور حولي.

– يا الله يا «ياسمي» توقفي لم أعد أقوى على الوقوف.

صاح بها «كريم» وتوقف ليجلس في أحد مقاعد انتظار الحافلات.

توقفت وجلست جواره لم أعد أقوى على كتمان وجع ساقي.

نهضنا بعد دقائق، واتجهنا إلى كافتريا داخل إحدى محطات تعبئة الوقود تقدم مشروبات ساخنة وأطعمة لذيذة.

دفع «كريم» باب المطعم لأجلي ودلفنا للداخل معًا واتجه هو لطلب الطعام.

– «ياسمي» هل أحضر لك طلبك المعتاد؟

– نعم، فطيرة بالزبدة والشوكولاتة مع القهوة المخفوقة ولا تنس طلب «روفي».

– استريحي وسأحضره.

جلست أتأمل روعة السماء الملبدة بالغيوم الرمادية، أعشق أجواء فصل الشتاء.

عاد «كريم» وهو يحمل علب المخبوزات وأكواب القهوة المخفوقة، غادرنا المحل وأخذنا سيارة أجرة إلى المنزل، استخدمت المصعد مرغمة، ووصلنا الشقة.

– صباح الخير يا «روفي».

صاح بها «كريم» مناديًا عمتي لكنها لم تكن استيقظت من غفوتها بعد، اعتادت أن تنام قليلًا بعد صلاة الفجر.

وضع «كريم» الفطور على الطاولة ومضى إلى غرفته.

- «ياسمي» سأبدل ثيابي وألحق بك.

أومأت له برأسي أي نعم، تناولت ثيابي ودلفت إلى الحمام، أنهيت حمامي على عجل وخرجت، كانت عمتي قد استيقظت من سوء حظي، وبدأت محاضرة كل صباح عن تجفيف شعري بعد الحمام.

- «ياسمي» باللّه عليكِ أخبريني ماذا أفعل معك، كم مرة أطلب منك أن تهتمي بنفسك؟ جففي شعرك قبل الخروج.

قاطعتها قائلة: «كريم» استعجلني، ونسيت تجفيفه.

ثارت عمتي:

- «ياسمي» أنت حتى لم تكلفي نفسك عناء وضع المنشفة فوق رأسك مثل باقي الخلق.

تدخل «كريم» ضاحكًا: اهدأي يا «روفي» هذه هي «ياسمي» ابنة أخيك ماذا نفعل بها.

ووجه حديثه لي: جففي شعرك يا «ياسمي» وسأعيد تدفئة الفطور.

وقفت عمتي تعد قهوتها المفضلة وانتهى «كريم» من تجهيز الفطور، ووضعنا الفطور على المائدة، وجلسنا نتناوله.

شكا «كريم» إلى عمتي ما فعلته به هذا الصباح من استيقاظ مبكر وركض سريع.

رمتني بنظرة عتاب قائلة:

- مجنونة، «ياسمي» أنت تتحاملين على جسدك، قلبك لن يحتمل هذا الجهد، تؤذين صحتك بهذا الجنون اليومي (عمل، رياضة، ركض) عظام ساقك لم تلتئم بشكل جيد ولن تحتمل.

- لا تقلقي يا «روفي» لم يعد لدي قلب تركته مع «حور»، سأنهض لتمشيط شعري.

قلتها بكل المرارة التي تعتمل داخل نفسي، سيظل التأنيب يطالني دومًا مهما فعلت، نهضت وتركتهما متجهة إلى غرفتي.

سدد لها «كريم» نظرة لوم وهو يقول: لقد آلمتِها يا «روفي»، رفقًا بها.

- أنت لا ترى ما تفعله بنفسها منذ عادت من الخارج، وهي تواصل العمل من الصباح إلى المساء، وتذهب إلى صالة الجيم بعدها، وتتجاهل تناول الطعام، ولا تنام سوى ساعات قليلة.

سكتت «روفي» قليلًا في حزن وأكملت بحيرة:

- أخبرني يا «كريم» ماذا أفعل وأنا أراها تقتل نفسها، لقد سدت أبواب مساعدتها في وجهي، ترفض تقبل نفسها ومواجهة ماضيها باستماتة. أحيانًا أتمنى لو أنها بقت في الخارج حتى لا أضطر إلى مراقبة ما تفعله بنفسها.

توقفت «روفي» عن الحديث، ولم يجد «كريم» ردًا على مخاوفها، فهو أيضًا لا يطيق ما تفعله «ياسمي»، يخشى أن لا يحتمل قلبها هذا الجهد.

دلفت إلى غرفتي هاربة من مواجهة عمتي، أعلم مدى قلقها عليّ، لكن لا حيلة لي، الراحة تجعل التفكير في الماضي يهاجم رأسي بضراوة، ولا أجد من يعينوني على العبور من هذه المرحلة، أشتاق للعودة إلى الصلاة والدعاء، لكن أخشى أن يعاودني الشعور بأن أبواب السماء مغلقة في وجه صلاتي ودعائي.

لذا اخترت البقاء في المنتصف لا طاعة ولا معصية، لكن هذا الوضع تأباه روحي ويرفضه قلبي.

ارتديت ثيابي وقررت الذهاب إلى شقتي هربًا من البقاء مع عمتي و«كريم»، وضعت دفتر ذكرياتي مع حاسوبي النقال داخل حقيبة الظهر، وغادرت غرفتي.

وجدت «كريم» وعمتي بغرفة الاستقبال، بادرتهما قائلة:

- لدي عمل، سأنهيه وأعود لن أتأخر.

- «ياسمي» ألا يمكن أن تؤجليه إلى الغد؟

- لا يا عمتي أود البقاء في المنزل غدًا.

استسلمت عمتي لموقفي، صاح «كريم»:

- أحتاج لتوصيلة إلى النادي يا «ياسمي».

- حسنًا استعد وسأنتظرك.

وجه «كريم» دعوة لعمتي للذهاب معه:

- «روفي» هيا استعدي وتعالي معي، جميع صديقاتك يسألن عنك في كل مرة أذهب فيها.

رفضت «روفي»، بادرتها:

- «روفي» لا داعي للكسل، هيا اذهبي مع «كريم» وسألحق بكما، لم نخرج معًا منذ فترة.

ضحكت «روفي» قائلة:

- حسنًا ما دمتِ ستأتين أنت أيضًا.

ونهضت تستعد.

جلست أستمع إلى أحد الموشحات الأندلسية التي أعشقها وأنا أردد معها.

غصن بانٍ مال من حيث استوى

بات من يهواه من فرط الجوى

خافق الأحشاء موهون القوى

كلّما فكّر في البين بكى ويحه يبكي لما لم يقع

«يوسف»:

وصلت إلى شقة الإسكندرية بعد عناء بالسفر.

وضعت ملابسي وأغراضي الضرورية داخل حقيبتين، وأحكمت غلق شقتي وتركت البناية، استقليت سيارة نقل وحملت دراجتي البخارية وعدت إلى القاهرة مرة أخرى.

وصلت في العاشرة وأنزلت الحقائب والدراجة البخارية بمعاونة السائق، أدخلت دراجتي داخل البناية، وحملت الحقيبتين للمصعد، وصلت وطرقت باب شقة أختي.

- من؟

- أنا «يوسف».

- تفضل تفضل، حمدًا لله على سلامتك.

- سلمك الله يا حبيبتي، من فضلك أحضري مفاتيح شقتي حتى أضع حقائبي.

ذهبت «رفيف» وعادت وهي تحمل مفاتيح الشقة.

اتجهت إلى شقتي ووضعت الحقائب بغرفة نومي وتركت ترتيب الأغراض للغد.

عدت إلى شقة أختي.

- تفضل يا «يوسف» لقد أعددت العشاء.

سرت معها إلى طاولة الطعام.

- «رفيف» أين «إياد» والخالة؟

- ذهبا إلى النوم مبكرًا.

- دعينا نتناول الطعام سريعًا فأنا في حاجة شديدة للنوم.

- هل أعجبك توضيب الشقة؟

- سلمت يداك رائعة، غدًا سأفرغ حقائبي.

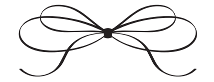
أنهيت تناول العشاء، وودعت أختي، وذهبت إلى شقتي اغتسلت ودلفت إلى غرفتي، وجدت كأس حليب وأقراص مسكن تركتهم «رفيف»، تناولتهم ونمت.

«ياسمين»:

استغرقت عمتي و«كريم» وقتًا في الاستعداد، جاءت عمتي تحمل حقيبة وضعت بها عصائر وبعض المخبوزات التي كانت تتقن صنعها في المنزل، تمامًا كعادتها عند الذهاب للنادي، فهي تحب أن تشارك صديقتها المخبوزات التي تعدها.

أخرجت السيارة واتجهت لمدخل البناية في انتظارهما، استقرت عمتي بالمقعد الخلفي، وجلس «كريم» إلى جواري وانطلقت.

وصلنا النادي القريب، ودعتهما وانطلقت إلى شقتي.



(الــخـيـانـــــة)

اتجهت إلى الشقة التي ورثتها عن والدي، كانت الشقة في حالة فوضى، بعد عودتي من السفر أعدت تنظيفها وتجديد الأثاث بها، اعتدت الذهاب إلى هناك على فترات للعمل أو لتحميض الصور.

وصلت واتجهت إلى غرفتي، وضعت الحقيبة وأخرجت دفتري وأعددت كوبًا من القهوة السوداء، أحضرت صورة أمي واحتضنتها ورحت أتطلع إليها في شوق.

كانت والدتي قد التقت بوالدي أثناء فترة الدراسة وأحبته، وأصرت على الزواج منه رغم تقاليد عائلتها التي ترفض الزواج من خارج العائلة، وأقنعت عائلتها بالأمر رغم اعتراضهم الشديد، تزوج الشابان وعاشا معًا في سعادة.

لكن ميلادي أفسد سعادة والدي وحرمه من محبوبته، لم تقو والدتي على تحمل آلام الوضع وتوفيت أثناء ولادتي، أصبحت ذكرى ميلادي هي ذكرى رحيل أمي.

اضطر جدي إلى رعايتي بعد أن رفض أبي بقائي معه، ولفظتني عائلة أمي، لم أرَ والدي إلا مرةً واحدةً خلال حياتي وليتها لم تحدث.

كان يتفنن في إيذائي والسخرية مني طوال فترة العطلة التي قضاها معنا في منزل جدي، راح يعايرني بلون بشرتي وبشعري ويسخر من قصر قامتي

وصغر حجمي، حتى استخدامي ليدي اليسرى في تناول الطعام والكتابة سماه إعاقة قائلًا: الشيطان وحده يفعل هذا، أنت تشبهينه.

بدأت دموعي تنساب وأنا أناجي والدتي في شوق:

- أشتاق إلى رؤياك يا أمي، أرغب بسماع صوتك ولو لمرة واحدة، أتمنى أن ألقاك وأخبرك بما حدث معي، أنا متعبة جدًا.. أحتاجك، يشتاق ثغري أن يتذوق لقب «ماما»، لو أنك هنا هل ستهتمين بي؟ أم سترفضينني كما فعل والدي مدعيًا أني تسببت في قتلك، هل كان وجودك سيغير مجرى حياتي؟ ويمنع عني كل ما تعرضت له.

لو أن هناك فرصة واحدة أستبدل فيها عمري وأمنحك إياه في مقابل لحظة عناق أقضيها بين ذراعيك، وأستمع فيها إلى صوتك، وتباركني لمسات يدك الحانية وهي تربت خصلات شعري.. مأساتي أني لا أملك أي ذكرى عنك.

أشتاق أن تتغمدني دعواتك كل صباح، وأن يستقبلني وجهك كل مساءٍ حين عودتي إلى المنزل، أشتاق أن أضع رأسي على ساقك، فتلامسين خصلاتٍ شعري بأناملك وأنا أحكي لك ما حدث معي على مدار يومي.

أدرت أغنية من تأليف «محمود درويش» (أحن إلى خبز أمي، وصوت أمي وقهوة أمي) كانت كلماتها تعبر عني، استمعت إليها وأعدت تكرارها.

غرقت في موجة نحيب وتساؤلات أنهكتني نفسيًا، لم أعد أقوى على البقاء في الشقة أكثر من هذا، جمعت حقيبتي وغادرت الشقة منهكة القوى، عدت إلى سيارتي، وصوت جوالي يصدح بكلمات الأغنية ودمعي ينساب غزيرًا معها، قدت سيارتي في الطرقات بلا هدف.

دق هاتفي الجوال، تناولت الهاتف، كان «كريم» المتصل: آلو «ياسمي» أين أنتِ؟

- أنا أنهي أمورًا متعلقة بالعمل وفي طريقي للعودة الآن.

- حسنًا عودي إلى المنزل، تركنا النادي عندما تأخرتِ.

- حسنًا يا «كريم» لن أتأخر.

أخذت طريق العودة لمنزلي، كان الليل قد أسدل ستاره، وبدأت أشعر بإعياء شديد يجتاح كامل جسدي وصعوبة بالرؤية، وصلت البناية وصففت سيارتي، وطلبت المصعد، وبدأ الدوار يضرب رأسي، طرقت الباب ولم أدر بأي شيء بعدها.

كان «كريم» يقف في الشرفة لحظة وصولي، فتح لي الباب، تعثرت وأنا أدلف للداخل من شدة الإعياء،ساندني «كريم» حتى المقعد القريب.

جاءت عمتي بعد سماعها صوت باب الشقة يفتح ويغلق، وقفت على باب الغرفة قلقة:

- ماذا حدث يا «كريم»؟

- لا شيء يا «روفي» جاءت «ياسمي» من الخارج شاحبة اللون، وكانت ترتنح بشدة، ساندتها إلى غرفتها وساعدتها على الدخول إلى فراشها، يبدو أنها أصيبت بنوبة برد.

- يا الله هذا ما حذرتها منه، أرأيت يا «كريم» نتيجة عنادها؟

- اطمئني يا «روفي» ستكون بخير.

- اذهب أنت للبقاء معها، سأعد لها مشروبًا ساخنًا يدفئها وأعود إليك.

عدت إلى الغرفة بعد قليل، كانت «ياسمي» دخلت في فراشها.

وناولت الخالة «روفي» أقراص المسكن والمشروب الساخن، تجرعتهم «ياسمي» بلا وعي وغفت، وضعت «روفي» الغطاء على جسدها، وتركناها لتستريح.

بادرتني بقلق ولوم:

- أرأيت؟ أخبرتك أنها تتعمد إرهاق نفسها، كنت أتوقع هذا الانهيار، الحمد لله أنها لم تقع خارج المنزل أو أثناء القيادة.

- اهدأي يا «روفي» وستكون بخير.

- أخشى أن تعاودها نوبات الحمى والهذيان السابقة يا «كريم».

- ما رأيك أن أتصل بطبيبتها في لندن؟

- لا أعرف، «ياسمي» ستغضب أنت تعلم أنها ترفض الاعتراف بحاجتها إلى المساعدة ورفضت متابعة علاجها في مصر، أنت لا تعلم كيف أعاني معها، باتت نوبات اضطراب النوم لا تتركها.

- إذًا لا بد من عرضها على مختص، أو محادثة الطبيبة.

- دعني أفكر بالأمر يا «كريم»، «ياسمي» عنيدة ومتمردة أخشى أن يصل غضبها لمعاودة السفر والهرب من إلحاحي عليها.

استيقظت وأنا لا أشعر بالوقت ولا أتذكر متى عدت للمنزل، نهضت من الفراش مبكرًا، حملت منشفتي واتجهت نحو الحمام، وذهبت إلى «عمتي» بعدها.

- صباح الخير «روفي».

- صباح الخير، ماذا حدث أمس يا «ياسمي»؟

- لا أتذكر، انتهيت من عملي وأصابتني نوبة إعياء أثناء عودتي.

استكملت عمتي الحديث:

- «ياسمي» لقد عدتِ إلى المنزل وأنت في حالة هذيان، كيف وصلتِ لهذا الحد من الإهمال؟

- أنا متعبة وجائعة يا «روفي».

نهضت عمتي وأمرتني قائلة:

- اذهبي ومشطي شعرك وارتدي ثيابًا أخرى، الطقس بارد، سأصلي وأعد الفطور.

تجاهلت ما قالته «روفي» واتجهت إلى المطبخ، كان الصداع يشق رأسي نصفين، أعرف أنه بسبب إهمالي للطعام في الفترة الأخيرة، كنت أتضور جوعًا.

فتحت البراد، أخرجت أواني الطعام المتبقي من الأمس، وضعتها على رخام المطبخ وجلست إلى جوارها، كنت أتناول الطعام من داخل الأواني مباشرة حين دخلت «روفي» إلى المطبخ و«كريم» معها.

صاحت عمتي:

- ماذا تفعلين؟ ألم أخبرك أن تبدلي ثيابك الصيفية هذه، هل أعيش مع قطة، حتى القطط لا تتناول الطعام بهذا الشكل يا «ياسمي»، ستصابين بالبرد، اذهبي بدلي ثيابك وعودي.

قفزت للأرض وعدت إلى غرفتي، أبدلت ثيابي وعدت سريعًا إلى المطبخ، جلسنا نتناول الفطور وذكرت «عمتي»:

- لدي عمل بالمؤسسة، لن أعود قبل المساء، تدبرا أمر الغداء.

رد «كريم»:

- لا تقلقي يا «روفي» سأتولى أمر الغداء، لن أترك ابنة أخيك تموت جوعًا، سأستغل عودة شهيتها للحياة.

اندمجت مع الأكل ولم ألتفت لحديثهما، أنهيت طعامي، واتجهت إلى البراد وتناولت علبة العصير ورفعتها إلى فمي مباشرة.

بعد طول ترقب صاحت «روفي»:

- «ياسمي» لدينا اختراع يدعى كاسات.

أنزلت علبة العصير وأخبرتها ببساطة:

- لا بأس لقد أنهيتها.

غادرت «روفي» المنزل وعاد «كريم» للنوم، جمعت الأطباق وأعدت ترتيب المطبخ.

أعددت كوبًا من القهوة وذهبت إلى غرفتي.

عدت إلى الدفتر وسافرت مع ذكرياتي إلى فترة عقد قراني بـ«يامن».

تغيرت معاملة «يامن» معي بالتدريج، لكن كان يخفي سوء معاملتي في حضور جدي ويهددني بالانفصال لو شكوت إلى جدي سوء تصرفاته معي.

كان يسمي شكواي إلى جدي فتنة ويهددني بعقاب الله لو فعلتها، وكنت بلهاء أتحمل إهاناته وأسير خلف أوامره مخافة أن يعرف جدي وينهي ارتباطنا وتضيع مني فرصة الزواج إلى الأبد.

توفي جدي وأعلن «يامن» الحرب، وضعني تحت المجهر وراح يراقب كل تحركاتي ويحاول السيطرة على كل تصرفاتي، حاولت مقاومته لكن خوفي

وضعفي جعلني أستسلم في النهاية، وليته رضي باستسلامي هذا، راح يتفنن في تعذيبي حتى يحكم قبضته حولي.

- ماذا تريد يا «يامن»؟

- أريد حقي عليك في الطاعة، كلامي نافذ عليك منذ هذه اللحظة ولن أسمح لك بأي جدال أو ترهات بعد اليوم.

- وهل عارضت كلامك من الأساس!

- نعم أنت تتصرفين وفق هواك، هناك نظام جديد ستلتزمين به من الآن يا «حور»، صار للهاتف موعد محدد وأنا فقط من أتصل بك، وحذارِ أن تمسيه لأي سبب آخر، وللمتصفح وموقع التواصل موعد مفهوم؟ إياك أن تفكري في الدخول إلى موقع التواصل قبل أن أتصل بك وأكون موجودًا معك على الجهة الأخرى وأتابع ما تقومين به على الموقع.. فهمتِ.

- هل ستراقب صفحة التواصل الخاصة بي يا «يامن» وتتجسس على مراسلاتي؟

- أنت تطلقين عليه تجسسًا يا «حور» لأنك ترتكبين مصائب وتريدين إخفاءها عني.

- الأمر ليس كذلك وعلى كل حال، موافقة ولكن على شرط أن أفعل المثل معك.

نزع «يامن» ما وصل إليه من خصلات شعري وصاح: هل جننتِ يا «حور»، هل صارت لك القوامة؟

- سأفعل ما تقوله يا «يامن»، لكن اترك شعري.

- إما أن ترتدي الحجاب كاملًا يا «حور» أو سأقوم بجز شعرك، لن أحتمل وزرك.

- أي وزر يا «يامن»؟

- وزر فتنة شعرك الطويل عديم الفائدة هذا، كان من الأفضل أن يتحول شعرك إلى جسد حتى تشبهين به النساء.

- «يامن» ما دمت لا أرضي ذوقك لمَ لا تتركني؟

- لأنك ملكي يا «حور» أنت وشعرك المشعث هذا، وجسدك النحيل، وعينك المنذرة بالشؤم كغيمة الشتاء.

- لا أحد يمتلكني يا «يامن»، أنا حرة نفسي ومسؤولة عن أفعالي.

- أنا زوجك لست أي أحد يا مخبولة، ألم يكن من الأفضل أن تلتحقي بمعهد تدرسين فيه كيف تعاملين زوجك يا «حور»، عوضًا من أن أبتلى أنا بغبائك وشناعة ردودك.

- أنت ارتبطت بي وأنت على علم بحقيقتي أنا لم أخدعك.

- نعم وأنا أيضًا كنت مثلك لا أنكر لكن هداني الله، ولن أتحمل أن تطوقي عنقي بذنوبك وأفعالك.

- إذًا دعني إلى أن يهديني الله مثلك يا «يامن».

- لا يا «حور» باللين أو بالعنف ستتأدبين وهذا آخر ما عندي، أنا سأسافر إلى عملي، وإياك أن أعود وأجدك خالفتِ أيًا مما أمرتك به هل تفهمين، الثياب الطويلة هي رداؤك منذ الآن، شعرك ووجهك لا يراه غيري، ومكانك هو بيتك حتى عودتي، فهمتِ؟

- دع شعري فهمت يا «يامن»، اطمئن لن أغادر المنزل.

وبدأت أستسلم بعد أن أعيتني المقاومة، وجودي مع «يامن» أفضل من اللاشيء، غدًا نتزوج وألتهي أنا بأطفالي وينشغل هو بعمله، لكن كان «يامن» يعود في كل عطلة أسوأ حالًا.

هاتفني ليخبرني بعودته ولم يطق الصبر حتى أبتلع طعامي وأجيبه، جاء إلى منزلي وقام بإصدار أحكام عرفية جديدة.

- لمَ لا تجيبين على الهاتف يا «حور»، هل تتجاهلينني؟

- كنت أتناول طعامي يا «يامن»؟

- ليتني أرى أثرًا لهذا الطعام على جسدك يا «حور»، أخبريني أين تذهب كميات الطعام التي تتناولينها، أوقعني سوء حظي في طفلة، لا.. حتى الأطفال لديهم ما يعوض المرء بفطنتهم ومرحهم، وقعت مع خرقاء بلا ملامح، خالية من كل شيء. سأذهب الآن لأستريح من عناء السفر، انتظري مني اتصالًا الليلة يا «حور» وإياك أن تتأخري في الرد.. هل هذا مفهوم؟

انتظرته الليلة بأكملها وغفوت وأنا أضع رأسي على حامل لوحاتي، بعد أن أصبح الرسم هو نافذة هروبي الوحيدة من جنون «يامن»، استيقظت فزعة على دقاته فوق باب المنزل.

- «حور» أيتها الحمقاء أما زلت نائمة، ألم أخبرك أن تنتظري اتصالي؟

- انتظرتك طوال الليل.

- نعم وتنتظريني طوال النهار ما دمت أخبرتك أن تنتظري، ماذا لديك أهم مني؟

لمح حامل اللوحات واتجه نحوه في حنق وتابع حديثه متهكمًا:

– ما دمت تجيدين الرسم هكذا لمَ لا تقومين بنقل وجهي إلى لوحاتك الحزينة يا «حور»، كي أرضى عنك وتحل عليك بركة طاعتك لزوجك.

– لا أريد للوحاتي أن تزداد حزنًا يا «يامن».

– حسنًا، ودّعي الرسم والجامعة يا «حور»، لن أتحمل وزر دراستك الفارغة هذه.

– لمَ يا «يامن» ما بال جامعتي؟

– الرسم حرام، وأنا لن أتغاضى عن الحرام لأجلك، يكفي أن ورطتِني بك في الدنيا دعيني أصلح الأمر في الآخرة حتى أفوز بالجنة.

– وهل أنا أعيقك عن هذا الفوز، ما دخل دراستي؟

جذبني من شعري وهو يهتف:

– «حور» يا عديمة الفائدة لم تصرين على عصيان أمري؟

– إذا كانت هذه وسيلة لتطفيشي يا «يامن»، دعنا ننفصل بهدوء وسأرد لك كل ما أحضرته ومعه تعويض مادي عما أنفقته أثناء ارتباطنا.

كان الرد هو أن رفعني في الهواء وألقى بي أرضًا، ارتطم رأسي بقوة ولم أشعر بشيء، أفقت بعد فترة، رحل «يامن» وتركني خارج حدود الوعي.

يعرف أني لن أقوى على تركه لهذا يفعل بي ما يشاء، ويعلم أني لا أملك من يحميني منه، فيعاملني كيفما يحلو له، لعنة اللّه على ورطتي بك يا «يامن».

عاقبني بالخصام، لم يعد يتصل بي، وأرسل رسالة يحذرني من دخول موقع التواصل عقابًا على سوء أدبي، رضخت بعد طول مقاومة لم تجلب لي سوى الأذى النفسي والعنف الجسدي.

كنت مثل الشعوب الضعيفة التي تستسلم لمغتصبيها وهي ترجو أن يخلصها الله منهم وتتحرر، لكن في حالتي لم يعد هناك أمل للتحرر، دفعت ثمن مجازفتي بطلب الانفصال.

ضقت ذرعًا بالحصار المفروض حولي، دلفت إلى صفحتي الشخصية ولم أبالِ بتهديدات «يامن»، وجدت محادثة بيني وبين صديقة مشتركة مع «يامن» وبالطبع لم أكن أنا المتحدثة، كان «يامن» هو من يتحدث من صفحتي الشخصية.

- «شذى»، لمَ تتجاهلين رسائلي ولا تجيبين الهاتف؟

- «يامن»؟

- نعم.

- ماذا تفعل هنا؟ ألا تخشى ظهور «حور» ورؤيتها المحادثة؟

- «شذى» دعك من تلك الغبية وأجيبيني.

- حسنًا، «يامن» أخبرتك في آخر مرة أني لن أتحمل هذا الوضع مرةً أخرى، إما أنا أو «حور» وأنت اخترتها.

- أنا لم أخترها، كيف تقارنين نفسك بها، «شذى» أنت حبيبتي الوحيدة وستصبحين زوجتي.

- وماذا تسمي علاقتك بـ «حور»؟

- غلطة، تهور سميها مثلما يحلو لك، كل ما كنت أريده هو الحصول عليها، كانت مغرورة ومتكبرة، أردت فقط كسر أنفها المتغطرس.. ولم أجد طريقة سوى هذه.

- إذًا اتركها.

- ليس الآن، أبعد أن أصبح لديها تركة وميراث ضخم؟ دعيني أعوض ما أنفقته خلال عامين في هذه اللعبة.

- أنت تكذب يا «يامن» أنت تحبها وتغار عليها.

- لا تكوني ساذجة، أحب من.. تلك الغبية؟

- ما سر إصرارك على تركها الجامعة وتغيير ثيابها، أنت حتى تخشى عليها من الخروج وحيدة، كل هذا وليس حبًا؟ أنت مجنون بـ«حور» يا «يامن».

- هذا لم يحدث يا «شذى»، شخصية «حور» كانت مختلفة تمامًا عما اعتدته وأردت تجربة الاقتراب منها فقط، أنت تعرفين هذا الأمر جيدًا، منذ معرفتي بها وأنا أخبرك بكل شيء، لم أتصرف يومًا دون علمك وموافقتك.

- كان هذا في بداية معرفتك بها فقط يا «يامن»، لكن بعدها تغيرت معي، منذ أن تم عقد قرانكما وأنت مجنون بها، تغار عليها وتحاول فرض سيطرتك حولها.

- نعم فعلت ذلك لأكسر غرورها، الرقة والتدليل لم يجديا نفعًا مع «حور» هي لم تصدق حبي، وظلت ترفضني وتتحين الفرصة لهجري، أردت فقط الانتقام منها.

- الانتقام! كيف.. بخوفك عليها أم بزواجك منها؟

- «شذى» أجيبي على الهاتف وسأشرح لك الأمر أو دعينا نلتقي، امنحيني فرصة واحدة.

- لا يا «يامن» انتهت الفرص، اشرح ما تريده هنا والآن ولا أريد معرفتك بعدها.

- مسألة الخروج والغيرة وكل هذا كان من تخطيط «حسام» بعد أن فشلت الرقة والحب في التأثير على «حور»، أنت تعرفين أن «حور» تهتم بالجوانب الدينية جدًا، لذا رأى «حسام» أن هذه هي نقطة ضعفها. ألم تلحظي التغيّر الذي طرأ عليها، تركها الجامعة، ارتداؤها الحجاب الكامل، حتى إني أجبرتها على الخضوع الكامل لي، فقط لأنها تعتقد أن هذا فرض عليها وأنها لو اعترضت ستدخل النار.

- نعم، بالفعل لم أعد أراها في الجامعة.

- أرأيتِ الآن أني لم أخدعك يا «شذى».

- نعم لكني انتظرتك كثيرًا.

- امنحيني شهرًا واحدًا فقط تحصل على ميراثها وأقنعها بعد ذلك أنني أحتاج بعض المال لمشروع أو أي سبب آخر، وسأخترع بعدها سببًا للانفصال وأتركها.

- هل تظن أنها بهذه الدرجة من الغباء؟

- ليس غباءً هي تثق بي يا «شذى» على اعتبار أني ملتزم ومتدين وكل ما أطلبه منها هو الشرع.

- لقد وثقت في الشيطان بشحمه ولحمه يا «يامن».

- ههههه، هي من أجبرتني على ذلك، هل ستمنحيني فرصة يا «شذى»؟

- حسنًا يا «يامن» أمامك شهر بعدها سأخبر «حور» عن كل شيء.. اتفقنا.

- اتفقنا لكن بدون نبرة التهديد هذه، حتى لو أخبرتِ «حور» لن تقوى على فعل أي شيء لأنها تخاف من أن أتخلى عنها وأتركها وحيدة.. أفهمتِ؟

- حسنًا، يا «يامن» سأثق بك هذه المرة.

- لدي مفاجأة لك يا «شذى»، قدمت على طلب عطلة ما إن تتم الموافقة عليها سأصحبك لرحلة سفاري.. ما رأيك؟

- موافقة لكن بشرط.

- أمرك حبيبتي.

- توقف عن رؤية «حور» والحديث معها حتى موعد حصولها على الميراث.

- أنا أتجاهلها هذه الأيام وانقطع الحديث بيننا لم أعد أطيقها.

- معك حق.

- أجيبي على الهاتف هيا.

- وهو كذلك مع أني أصبحت أخافك الآن جدًا، أخشى أن تفعل بي مثل «حور».

- لا يا «شذى» أنت غيرها، أنت أنثى ناضجة وفاتنة بل رائعة الجمال، أما «حور» مراهقة غبية وبشعة، تتلعثم أمام أي مخلوق وتفضحني، إياك أن تقارني نفسك بها مفهوم؟

- إلى اللقاء سأنتظر اتصالك.

- إلى اللقاء يا حبيبتي.

قرأت الرسالة المتروكة وأنا في حالة صدمة وعدم استيعاب، نسخت المحادثة، وحذفتها من صفحتي الشخصية، حتى لا يعرف «يامن» أني قرأتها وعرفت بأمر خيانته، أعدت قراءة المحادثة مرات ومرات وأنا لا أصدق حديثه عني، يا الله! خائن وأحمق.

لقد فعلت كل ما كان يطلبه مني، رضخت لسيطرته، تحملت ساديته وتعذيبه المستمر وإهانته الدائمة، بعد كل هذا يرغب في التخلي عني وهجري بعد أن تعلقت به، أنا لن أطيق الحياة دونه، أما يكفيني رحيل جدي، كيف أجعله يرضى عني.

دخلت في نوبات بكاءٍ ونحيب حتى غفوت من شدة التعب والحزن.

استيقظت من نومي فزعة وتذكرت أمر المحادثة، أخبرت نفسي أنها مجرد حلم مزعج وليست حقيقة، لكن تذكرت أني نسختها داخل شريحة نقل البيانات فذهبت أتأكد إن كانت موجودة بالفعل أم مجرد خيال.

كانت حقيقية، كل هذه الفترة وهو يخطط لتدميري وإيذائي، كل هذا لأني رفضته في البداية، لم يكتفِ بالحال التي وصلت إليها بسببه، ما زال يطمع في سرقة ميراثي، يا الله ماذا أفعل أنا لم أكن أطيقه لكن تعلقت به، وهو لن يتركني أفلت من يديه، ولو تركته سأضيع تمامًا، ليس لي سواه.

يا الله نجني منه.. ماذا أفعل! لو أخبرت «يامن» بما رأيت سيتركني، من سيلتفت إلى فتاة في قبحي، ولو بقيت إلى جواره سيتخلى عني ويومًا ما سيتركني، هكذا كل الطرق مغلقة.

بعد أسبوع من الكرب قضيته وحيدة بين البكاء والتفكير، دون أن أجد من ألجأ إليه فكرت في الإقدام على الانتحار لكن خوفي من الله، وشوقي لرؤية أمي في الجنة منعني، الموت هو الحل الوحيد لعزلتي هذه.

في النهاية لم أعد أقوى على مواجهة حزني، دلفت إلى صفحتي الشخصية هربًا من التفكير في حالي، صادفتني منشورات متبادلة بين «يامن» و«شذى» على الصفحة العامة، أصبحت خيانته علنية.

أليست هذه هي الفتاة التي كان ينهاني عن الحديث معها ويخبرني أنه يخشى أن أتأثر بها!

لم أطق البقاء في الصفحة الشخصية التي شهدت خيانة «يامن»، أغلقتها وبدأت الدخول من حساب جديد تحت اسم «Don’t let me» كان هذا اللقب أمنية أكثر من كونه اسمًا لصفحتي، كنت أتمنى وجود شخص واحد يرغب بوجودي ويتمسك بي ولا يدعني أفلت منه دون أن يؤذيني.

بدأت استخدام الصفحة بعيدًا عن مراقبة «يامن»، شاركت في صفحات كثيرة تنوعت بين مجال الأدب والتاريخ، أرسلت متابعة إلى عدد من الكتاب، كنت أعشق الكتابة بكل أنواعها، وتجرأت على وضع تعليقاتي والدخول بمناقشات مع الآخرين.

تجاهلت طلبات الصداقة والمحادثات التي كانت تأتيني، أعلم أن الحديث على موقع التواصل محض أوهام، وحتمًا لو رآني أحد هؤلاء على أرض الواقع سينفر مني ويرفض الحديث معي.

أرسل لي شاب يدعى «زياد» طلب صداقة، كنت أقوم بمتابعة كتابته دومًا، وأهتم بالتعليق على ما يقوم بوضعه على صفحته، قبلت صداقته دون تردد.

بدأ بعدها الحديث معي، سألني عن رأيي في صفحته الشخصية، وبعدها صرنا نتناقش كل ليلة عن كتاباته وآرائه، وهكذا تطور الحديث بيننا لحديث شخصي، بات يخبرني عن إقامته في الخارج وشعوره الدائم بالغربة والعزلة، وعن ظروف عمله الصعبة، أقحمني في كافة شؤونه الخاصة.

كان يعمل جراحًا بمشفى في الخارج، ولا يجد وقتًا أو صحبة للخروج والترفيه عن نفسه فأصبح موقع التواصل الاجتماعي وسيلة الترفيه الوحيدة لديه.

أخبرني أنه قام بتقديم طلب منحة دراسية في إحدى الجامعات من أجل استكمال رسالة الدكتوراه الخاصة به، وأنه ينتظر الرد على طلبه، وأن

أوضاعه ستتحسن حتمًا لو تم قبوله في هذه الجامعة وسيتم بعدها نقله للعمل بالعاصمة.

أصبح حديثي مع «زياد» وسيلة هروب من التفكير في «يامن»، وظلت محادثاتنا تدور حول دراسته وعمله، أو عن الكتب التي انتهيت من قراءتها، ألح على التعارف بي بعد فترة، لكنّي رفضت ونهرته.

لم تتحمل عمتي دخول الفيلا بعد وفاة جدي، كانت تذكرها بعائلتها الراحلة وتثير حزنها، وكنت أرفض البقاء معها عندما تأتي لزيارتي.

لذا أقامت في شقتها، وألحت عليّ في الانتقال للعيش معها لكنّي رفضت، كانت تحاول التواصل معي بإصرار، لكن ما فعلته معي في الماضي جعلني أغلق أبواب المودة بيننا.

انشغلت عمتي في إجراءات إعلان الوراثة وتقسيم التركة وإدارة أملاك جدي، وتدهورت صحة والدي في الخارج، أخبرتني عمتي أنها تستعد للذهاب إليه، أجّل «كريم» دراسته وعاد من أجل مساعدتها.

زارتني عمتي وأصرت على لقائي، أخبرتني عن قرب موعد سفرها إلى والدي وحاولت أن تضغط عليّ لأذهب معها.

- أعلم أنه أذاكِ يا «حور» لكن قد تكون هذه هي النهاية، لن تستطيعي وداعه.

- أنت لا تدركين ما فعله بي، لا تحاولي إقناعي برؤيته، الأمر منتهٍ، هو قام بوداعي منذ اللحظة الأولى لميلادي.. أنسيتِ؟

- هداكِ الله يا «حور»، رجاءً حافظي على نفسك واستعدي للدراسة، سأحاول المرور بك قبل سفري.

رحلت عمتي، وجلست أفكر في أمر دراستي، كنت قد انقطعت عن الدراسة طوال العام الماضي بسبب «يامن»، كنت وقتها في السنة الدراسية الأولى ولم أذهب إلى جامعتي، حاول جدي أن يثنيني عن قراري بلا جدوى، خبأت لوحاتي بعيدًا عن أعين «يامن» بعد أن أصر على تمزيقها لأنها حرام أيضًا، لم أقو على التخلي عنها.

تركت التفكير في «يامن» ودلفت إلى صفحتي على موقع التواصل، شد انتباهي صفحة مختصة بعلم النفس والصحة النفسية باسم «صحتك النفسية»، تابعت منشورات الصفحة وشاركت بالتعليق على المقالات التي تقوم الصفحة بنشرها، كانت خبرتي بمجال علم النفس معدومة تمامًا.

من خلال المقالات التي قرأتها أدركت أن لدي بعض الاضطرابات الشخصية، لكن لا أدري هل أنا مريضة نفسية، بدأت تساؤلاتي تظهر على كل مقال، كانت ردود المختصين مقتضبة فبحثت عبر المتصفح عن الأسئلة التي تشغلني ولكن لم أوفق في الحصول على إجابة.

قرأت مقالًا يتحدث عن الشخصية المرضية (السادية، المازوشية، النرجسية).

ووجدت بعدها عدة أنماط للشخصية، منها شخصية (الضحية، المنقذ والجاني والمحقق) هل تنطبق شخصية الضحية مع شخصيتي؟ هل أنا إنسانة اعتمادية وأنانية كما يدّعي «يامن»!

وجدت أن صفات «يامن» تتشابه مع عدة أنماط للشخصية المرضية، هل وقعت في مريض نفسي، أضفت تعليقًا على المقال وطلبت شرح الشخصيات الثلاث لكن لم يأتني رد نهائيًا.

بعد فترة من انقطاع «زياد» عن موقع التواصل، أرسل لي يخبرني أنه تم قبول التحاقه بالجامعة، وهو الآن يستعد للانتقال إلى المدينة الجامعية واستلام عمله في المشفى الجديد.

ودّعني على أن يعاود الحديث معي بعد وصوله إلى السكن الجامعي، ودّعته ودعوت له بالتوفيق وسلامة الوصول.

انقطعت عن استخدام موقع التواصل الاجتماعي لفترة قصيرة، تمالكت نفسي خلالها وحاولت التغلب على وجعي من خيانة «يامن»، وعدت إلى الرسم، رسمت وجه فتاة غير مكتمل الملامح.

عدت إلى موقع التواصل الاجتماعي، وجدت طلب محادثة في انتظاري من شخص يدعى Just You، لفت معنى الاسم انتباهي، أن يكتفي شخص بوجودك أنت فقط ولا يرى غيرك أمنية أخرى من أمنياتي.

أن يقول لي أحدهم أنت فقط من تهمني، أنت التي اخترت البقاء معها للأبد، أنت فقط من سأكون لها للأبد.. هاه أوهام، لن تحدث، حتى «يامن» سيهجرني لأجل «شذى» حبيبته، وسأصبح أنا مجرد صبارة وحيدة تقبع داخل عزلتها والجميع يخشى الاقتراب منها.

قرأت محادثة Just You.

- أعتذر عن تطفلي عليك، أنا طبيب في صفحة «الصحة النفسية»، معذرة لم أتمكن من الرد على استفساراتك في التعليقات، لأن الإجابة تحتاج مقالات طويلة، ما رأيك أن نواصل الحديث عبر المحادثة وسأجيب على استفساراتك؟

وافقت على طلب الصداقة، أرسلت إليه:

- شكرًا على وقتك.

وصلتني رسالة منه في مساء اليوم:

- السلام عليكم أختي.

- وعليكم السلام.

- كان استفسارك عن شخصية الضحية والمنقذ والجاني والمحقق.. أليس كذلك؟

- نعم.

- حسنًا، سأوافيك بتعريف لكل شخصية ونكمل بعدها. شخصية الضحية أو المجني عليه: شخصية اتكالية تعتمد على غيرها، وتبحث دومًا عن قائد أو منقذ تسير خلفه، لا تجيد مواجهة المواقف، أنانية واستغلالية ولا تهتم بالمحيطين بها.

لكن هذه الصفات لا تنطبق على شخصيتي، أنا قاومت سيطرة «يامن»، خوفي من الوحدة هو ما جعلني أرضخ له.

أرسل الطبيب بعدها.

- هل واجهتِ صعوبة في التعريف؟

- لا شكرًا لك، لكن ماذا عن باقي الأنماط؟

- شخصية المنقذ: عند بداية معرفتها تتصرف بمحبة وكرم، تهتم بمن حولها تنقذ المحيطين بها من الضغوط، يتصرف صاحبها بنبل، يظهر الجانب السيئ عندما يحوز صاحب شخصية المنقذ على ثقة الطرف الآخر.

هذا التعريف ينطبق على «يامن» خلال فترة الخطبة.

- هل لديك استفسار أختي؟

- لا، شكرًا لك.

- حسنًا، هذا هو الجانب الآخر في شخصية المنقذ، شخصية الجاني: شخصية تحب فرض السيطرة على الطرف الآخر، تبحث عن الشخصيات الهادئة وتبدأ بالالتفاف حولها، تستمتع عندما تنجح في السيطرة، هذا يمنحها شعورًا بالفوز، ترغب في الطاعة العمياء من شريكها، تصبح عدوانية في حال واجهت الرفض.

هذه شخصية «يامن» من البداية إذًا وكنت أظن أنه تغير معي.

- هل الأمر واضح حتى الآن يا أختي؟

- نعم تفضل.

- شخصية المراقب: تتعامل مع الآخرين بحذر، تتجسس على حياة الشريك وتفرض عليه مراقبة وحصارًا صارمًا، تتغذى على نقاط ضعف الطرف الآخر وتستخدمها ضده.

ما هذا كل هذه الصفات موجودة في شخصية «يامن»، هل أصبح متعدد الشخصيات؟

- لكن يا دكتور هل يمكن أن يجتمع أكثر من نمط في شخص واحد؟

- نعم، الأنماط السابقة وجه واحد يتبدل وفق الموقف، وأحيانًا يتم تبادل أنماط الشخصية على حسب العلاقة، شخصية الجاني في علاقة تتحول إلى ضحية في علاقة أخرى، أو تلعب شخصية المراقب دور المنقذ وهكذا..

أصابني الوجوم، هذه الأنماط تنطبق على «يامن» بالفعل، أوقعت نفسي في شرك إنسان مريض، عدت للبكاء والخوف لا أدري ماذا أفعل وإلى أي مدى سيصل جنون «يامن».

- هل يمكن تغيير شخص يمتلك هذه الصفات يا دكتور؟

- نعم ممكن لكن من خلال طبيب مختص، هذه الأنماط يصاحبها دومًا داء النرجسية، والشخص النرجسي يجيد كسب تعاطف الآخر ومن الممكن أن يقنعك أنه يحاول التغيير وإن اضطر للبكاء والتوسل. لكن داخله راضٍ عن نفسه، هذا بالإضافة إلى أن الشخصية النرجسية تفتقر إلى شعور التعاطف مع الآخرين، الجانب العاطفي لديهم متوقف، والجانب الحسي لا يعمل.

ماذا أفعل مع «يامن»، أواجهه بخيانته فيضطر إلى تغيير معاملته معي، أم أبتلعها في صمت حتى لا يجن ويضيق من حصاره حولي أكثر.

- هل يمكن أن تغفر خيانة شخص دون مواجهته؟

بادرني بسؤال:

- ولمَ لا تتم المواجهة والعتاب أولًا؟

- وما جدوى العتاب، ليس لديك سوى خيارين إما أن تبقى أو ترحل؟

أجابني: حتى تنتهي الصفحة السيئة دون رواسب قديمة مثل الشك أو الشعور الدائم بالظلم، ونبدأ بعدها صفحة جديدة.

أجبته في جزع:

- لأنني لو واجهته سيتركني؟

- وماذا لو تركك؟ ألم الخيانة أعظم من الهجر بكثير يا أختي.

- لا.. ألم الهجر أكبر، سأعود وحيدة منبوذة من جديد، سأقضي عمري داخل غرفتي، لن أجد صديقة تتحمل لعثمتي وثقل ظلي، لن أعثر على شاب يقبل الارتباط بي.

- أختي هل أنماط الشخصية التي تكلمنا عنها تنطبق على هذا الشخص؟

أفقت من انفلاتات لساني، لم أجبه.

- دكتور.. معذرةً أنا متعبة الآن وسأذهب للنوم.

- لا عليك، في حفظ الله، نكمل في وقت لاحق.

أغلقت المحادثة والحاسوب، تناولت أقراص المهدئ ونمت.

تركت دفتري وجلست أفكر، كيف وصلت إلى هذا الضعف، لماذا لم أواجه «يامن»؟ كنت أقوى منه، وكان يدرك هذا، استغل نقاط ضعفي لصالحه، وساعدته بسكوتي عن إهاناته، خوفي من الوحدة ألجمني، وافتقادي الثقة بنفسي مكّنه مني.

لم أعد أقوى على شعور المرارة بداخلي، أحتاج إلى الراحة من ذكرياتي السيئة، خرجت إلى غرفة الاستقبال وتحدثت مع «كريم»:

- «كريم» سأذهب لصالة الجيم، هل ترغب في شيء؟

- لا تتأخري «ياسمي» سأعد الغداء.

عدت لغرفتي أبدلت ثيابي وذهبت إلى صالة الرياضة القريبة من منزلي، انتهيت بعد مدة طويلة من الإنهاك الجسدي ومع هذا لم يهدأ عقلي، عدت إلى المنزل من جديد.

- أين أنت يا «كريم»؟

- في المطبخ يا «ياسمي».

اتجهت إليه، واستقبلني مازحًا.

- أهلًا بالبطلة، هيا أبدلي ثيابك واستريحي، سأضع البيتزا في الفرن وألحق بك.

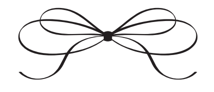
عدت لغرفتي، تناولت ثيابًا جديدة وأخذت حمامًا سريعًا، جاء صوت «كريم» من الخارج: «ياسمي» كفاك استحمامًا ستذوب بشرتك من المياه.

جمعت شعري داخل المنشفة وخرجت إلى غرفة الاستقبال، ناولني صحن البيتزا، كانت شهية للغاية، انتهينا من تناول الطعام، وأخبرني أنه سيغادر الآن.

«كريم» يمتلك مطعمًا مشهورًا للمعجنات في مدينة الإسكندرية أمام شاطئ البحر مباشرة اشتراه بعد عودته من لندن، كان يملك خبرة في الإدارة إلى جانب مهارته في إعداد المعجنات والفطائر، وأصر على الإقامة وحيدًا في الإسكندرية، لكنه داوم على قضاء العطلات معنا.

غادر«كريم» المنزل، قبل عودة عمتي.

عاودني الشعور بالإعياء من جديد، اتجهت لغرفتي وتناولت حبوبًا تساعدني على النوم غفوت بعدها ولم أشعر بعودة «روفي».



(طيفها)

«يوسف»:

استيقظت من نومي منزعجًا وتبادر بذهني «حور»، بات التفكير فيها إجباريًا لا أعرف كيف أتهرب منه، واليوم رأيتها بمنامي مرةً أخرى.

رأيت نفسي أقترب منها وهي تمد يدها بالتحية هاتفة ها قد التقينا، أفقت بعدها على صوت فتاة يناديني في منامي، نهضت وذهبت للوضوء وصليت ركعات السنة والفجر ودعوت الله.

- يا الله إن لم تكتب لي لقياها في حلالك فاصرفني عنها يا رب لا تجعلها سبب فتنة واجعلها خيرًا وبركة.

أبدلت ثيابي وخرجت للعدو، عسى أن يحسن نسيم الصباح من مزاجيتي، عدت إلى البيت قرب السابعة، أعرف أن «رفيف» لا تستيقظ مبكرًا ولم أرغب في إزعاجها، دلفت إلى شقتي.

فتحت حاسوبي النقال، وعدت إلى قراءة محادثاتي مع «حور»، أرسلت في إحدى المرات نسخة من محادثة تمت بين خطيبها وصديقته كشفت خيانته لها، كان خطيبها يتحدث عنها بسوء أمام الفتاة.

لكن عند قراءتي المحادثة هذه المرة اتضحت أمامي حقيقة لم أنتبه لها من قبل، لو أن «حور» قبيحة وبشعة وغبية حقًا كما وصفها، لمَ لفتت أنظاره إذًا من البداية ولمَ حاول الاستحواذ عليها؟

حتمًا كان لديها شيء مميز لفت نظر شخص مريض كخطيبها، وجعله يرغب في امتلاكها، كانت مميزة وأراد الوصول إليها وفشل، لذا استخدم العنف معها.

من الواضح أنها تفتقر إلى الثقة في النفس، هذا هو سبب وقوعها به.

أفقت من تفكيري على طرقات باب الشقة، استيقظ «إياد» وأرسلته أمه ليحضرني، رفعته عن الأرض وعدت معه إلى شقة أختي.

- صباح الخير.

- صباح الخير يا «يوسف»، هل استيقظت مبكرًا يوم العطلة؟

- نعم قرب الفجر.

- لا أدري من أين تأتي بهذا النشاط، ابق مع «إياد» سأذهب وأعد الفطور.

تركتني مع «إياد»، جلسنا نشاهد قناة الأطفال المفضلة لديه، كان يعشق أفلام الرسوم المتحركة، اندمجت معه بحركاته العفوية وتعبيرات وجهه البريئة.

دعتنا «رفيف» إلى الطاولة وتناولنا الفطور معًا، وحملت الأطباق إلى المطبخ، وأخذت أختي «إياد» للاغتسال.

جلسنا نتحدث إلى وقت موعد الصلاة، أخذت «إياد» وذهبنا للجامع.

- يوسف بالله عليك لا تغفل عنه.

- قلت لك اطمئني هذه ليست المرة الأولى التي أصحبه فيها.. أليس كذلك؟

- حسنًا يا «يوسف»، الله خير حافظًا.

ودعتها وأخذت الدراجة ووضعت «إياد» أمامي وانطلقنا، ظل يصيح فرحًا طوال الطريق إلى الجامع، انتهينا من صلاة الجمعة.

- هل ترغب في تناول المثلجات يا «إياد»؟

صاح بحماس: نعم، نعم، نعم.

قلت له مازحًا:

- اهدأ ستفضحنا.

ابتعت له علبة مثلجات وقطع حلوى لنا جميعًا وعدنا للبيت.

استقبلتنا «رفيف» بالصياح: مثلجات في الشتاء يا «يوسف» حتى يصاب بالبرد.

- اهدئي لن يصيبه مكروه، كفي عن مخاوفك قبل أن تتحول إلى وساوس يا «رفيف».

وتدخلت الخالة مؤيدة لكلماتي حتى هدأت ثورة «رفيف».

وضعت الحلوى بالبراد وعاودت الجلوس معهم، اصطحب «إياد» جدته للغرفة كي تشاركه اللعب.

سألتني في استنكار «رفيف»:

- «يوسف» ما الذي أيقظك مبكرًا.

– لو أخبرتك ستسخرين مني كعادتك، وأنا نلت كفايتي.

– «حور» أليس كذلك؟ هل ما زلت تراها؟

– انقطعت أحلامي بها لفترة وعادت من قريب.

قصصت عليها رؤيا الأمس.

– لدي إحساس أنك ستراها قريبًا، ولذا سألتك اليوم عنها.

– بشرك اللّه بالخير يا «رفيف»، أنا أدعو اللّه دائمًا أن يجمعني بها.

– رؤياك الليلة تبشر بلقائها قريبًا يا «يوسف»، تذكرت أمرًا جعلني متفائلة.

– ما هو يا أختي؟

– تذكرت أنك أخبرتني أنك كنت تستيقظ على صوت فتاة تناديك في منامك كل فترة، أليس كذلك؟

– نعم أكملي.

– وهذه الرؤيا انتهت بظهور «حور» أليس كذلك؟

– استغرقت في التفكير ووصلت لنتيجة واحدة، الرؤى لم تنتهِ بظهور «حور» الرؤى صارت أكثر وضوحًا.

– شاركني بما تفكر فيه.

– الصوت الذي كان يناديني من فترة، هو نفسه صوت «حور» في الرؤى.

عاد «إياد» بعد أن ذهبت جدته للراحة وتركته.

– سأذهب لأرتب حقائبي وسأمر عليكم بالمساء.

- حسنًا لا تتأخر.

تركتها ودخلت شقتي.

وراودني الأمل في لقاء «حور»، هذه أول مرة تتحمس فيها «رفيف» للرؤى، وأنا أستبشر بحماسها.

دخلت إلى غرفة نومي وباشرت ترتيب حقائبي وظل عقلي منشغلًا بـ«حور».

«ياسمي»:

استيقظت من نومي في الرابعة صباحًا، منذ فترة لم أنعم بالنوم هكذا، اليوم رأيت الشاب الذي يأتيني في المنام على فترات، لم يستمر الحلم كثيرًا، همس بكلمة واحدة (أنا هنا) واستيقظت بعد ذلك.

تركت الفراش سريعًا، وذهبت للاغتسال والاطمئنان على عمتي التي لم أرها منذ البارحة.

- صباح الخير «روفي» كيف حالك؟

- صباح الخير «ياسمي» ما هذا النشاط؟

- نمت مبكرًا البارحة.

- نعم عدت ووجدتك تغطّين في النوم، على غير العادة.

- كيف كان يومك؟

- رائع، لكن منهكة جدًا وما زال لدي الكثير من الأمور لم أنتهِ منها.

(قالتها وعلامات الإنهاك بادية على ملامحها تؤكد اعترافها).

- لماذا لم تنالي قسطك من النوم إذًا يا «روفي»؟

- نهضت لصلاة الفجر.

رمقتني بنظرة عتاب، أعرف أن تركي للصلاة يزعجها.

- حسنًا عودي أنت للنوم، سأغتسل وأعد الفطور لنفسي.

- اهتمي بنفسك «ياسمي» أصبحت عائمة داخل منامتك من قلة الطعام.

- لا تقلقي تصبحين على خير.

تركتها واتجهت لأغتسل وأعد فطوري، تناولت طعامي وأبدلت ثيابي.. انتقيت أحد الفساتين التي عدت بها من لندن باللون السماوي الرائع وبخصر مرتفع وارتديت معه قبعة، وتركت شعري ينسدل أسفل منها.

انطلقت للعمل، كانت الساعة السادسة صباحًا والطرقات لا تزال خاوية من المارة، أدرت لحني المفضل وأنا أراقب قطرات المطر المتساقطة، وودت أن أرقص تحت الغيوم والمطر.

توقفت عند محل العم «راشد».

- صباح الخير.

- صباح الخير «ياسمي» أنت مبكرة هذا الصباح.

- نعم، هربًا من الزحام.

- صباح الخير «ناريمان» من فضلك أعدي طلبي المعتاد.

جلست أنتظرها لدقائق، عادت وهي تحمل علبة الفطور وكوب القهوة، وضعت النقود بجيب مئزرها وانطلقت وسط اعتراضها هي والعم «راشد»، كان يرفض أن أقوم بدفع ثمن الطعام.

منذ بدأت معرفتنا تتوطد وعلمت ما يعانيه بسبب الغلاء وزيادة إيجار المحل، فكرت في حل وأوكلت إليه أمر إعداد الطعام الخاص بأي اجتماع أو مناسبة تقيمها المؤسسة، ساعده ذلك وكان بمثابة دعاية للمحل، وأصبح بعدها يعاملني بألفة وود مثل «ناريمان» حفيدته.

وصلت إلى المؤسسة، واجهت صعوبة في صف السيارة كالعادة رغم خلو المكان وأخيرًا غادرتها وأنا أحمل حقيبة العمل والفطور ورحت أتلفت يمينًا ويسارًا خوفًا من مجنون آخر يفسد صباحي.

وصلت إلى مكتبي في سلام ودون حوادث، كانت الساعة لا تزال السابعة، لدي الكثير من الوقت، هنّأت نفسي بالوصول المبكر، أخرجت حاسوبي النقال، أثناء تناولي الفطور.

أنهيت استكمال الملفات الخاصة بالأطفال دون الخامسة، وأضفت حالة الطفل الأسرية مع بيان حالته النفسية، ترك لي «د/ باسم» فوضى لا تنتهي داخل قسم التأهيل النفسي.

أفقت على طرقات الباب:

- تفضل.

- صباح الخير «أ/ ياسمي».

- صباح الخير «د/ يوسف»، تفضل.

يا الله هل يزداد وسامة يومًا عن يوم، كان يضع عطرًا جذابًا من خلاصة الورد، ويرتدي بلوفرًا صوفيًا خفيفًا من الأحمر الداكن مع بنطال باللون الرمادي الغامق، أوقفني عن تحديقي فيه.

- إحم إحم..

قلت محاولة إخفاء خجلي أمامه:

- معذرةً شردت في أمر بخصوص الحالات التي ستتولى الإشراف عليها.

- أشركيني في الأمر لو أمكن يا أستاذة.

- حسنًا لا أدري ما هو الأفضل، هل نبدأ بترتيب الملفات وفق الهجاء أم على حسب درجة استجابة كل حالة للعلاج؟

- أرى أن الأفضل هو ترتيبها وفق درجة الاستجابة.

- حسنًا «د/ يوسف» سأبدأ.

اتصلت بالبوفية وطلبت كوبين من القهوة السوداء أحدهما دون سكر.. عادتي السيئة أنني أنسى أخذ رأي الآخرين.

رمقني «د/ يوسف» بنظرة نافذة مع بعض الاستغراب لكن لم يعلق.

- هذه ملفات الحالات تحت سن خمس سنوات التحق أغلبهم بالنظام الدراسي داخل المؤسسة إلى جانب عملية التعديل السلوكي.

قمت بنسخ الملفات على شريحة نقل البيانات وناولته إياها، أخرج جهاز الحاسب الخاص به وأوصلها.

طمأنته بخصوص وجود مكتب خاص به أثناء عمله:

- سنضطر للعمل معًا في مكتبي إلى أن ننتهي من تنظيم الملفات وينتهي ترتيب المكتب الخاص بك يا «د/ يوسف».

- حسنًا ليس لدي مشكلة في هذا.

عاود التركيز في الملفات.

وللمرة الثانية أطلت النظر إليه، هناك أمر يجبرني على التطلع في ملامحه، ربما بروز عظام وجنتيه، كان يمتلك جاذبية محببة وزادت ذقنه النابتة من وسامته، لكنّ الحزن المرسوم على ملامحه يعكر صفوها.

رفع «يوسف» رأسه أثر طرقات عامل البوفية على الباب، ضبطني متلبسة بمراقبته:

- تفضل ضعها على المكتب.

تشاغلت بالعمل هربًا من عين «يوسف» التي ضبطتني، عاد للتركيز في شاشة حاسوبه وواصل عمله، وعدت إلى ترتيب الملفات.

انتصف النهار وما زلنا لم ننتهِ من ترتيب الملفات ومراجعتها.

رفع رأسه أخيرًا:

- «أ/ ياسمي» أود المرور على الحالات الخاصة التي انتهيت من مراجعتها اليوم.

- حسنًا، ما رأيك أن نقوم بهذا الآن يا دكتور.

- جيد يا أستاذة.

- حسنًا احتفظ بأسماء الحالات التي أنهيتها.

(كانت معظم الحالات التي اطلع عليها «يوسف» دون الخامسة وأغلبهم يعاني من حالات رهاب اجتماعي، انطوائية، اضطرابات النوم وتشتت في التركيز، ساهمت هذه العوارض في تأخر النطق والتفاعل الاجتماعي لديهم).

- حسنًا أنا مستعد.

اصطحبته عبر الدرج إلى المبنى المقابل حيث تتم العملية الدراسية داخل المؤسسة، وصلنا للطابق الأول، دلفت إلى مكتب «أ/ حنان» الأخصائية الاجتماعية وأجريت تعارفًا سريعًا بينها وبين «د/ يوسف»، وأخبرتها أنه أصبح المشرف على قسم التأهيل النفسي والتعديل السلوكي.

وبعد أن تبادلا التحية، بادرتها:

- «د/ يوسف» يود مقابلة هذه الحالات، وناولتها قائمة الأسماء وأنا أواصل: من فضلك أرسلي في طلبهم بالترتيب.

– حسنًا وهو كذلك «أ/ ياسمي».

دقائق وبدأت الضجة تعلو أمام باب المكتب، أعرف جيدًا صاحبة هذا الصوت الرنان «ساندي» طالبة مراهقة لم تتخطَ السادسة عشرة من عمرها، تعاني من إهمال الأهل وتجاهلهم التام وتبحث عن الشعور بالاهتمام بشتى الوسائل، وصل الأمر إلى دخولها في عالم المخدرات مع محاولات متكررة لإيذاء نفسها.

كنت أتابع حالتها مع الطبيب المختص، وأتابع تعامل المدرسين معها.

أخيرًا وصلت الحجرة مراهقة بيضاء البشرة متوسطة القامة والطول ذات شعر قصير قرمزي متوهج، وتعج هيئتها بالفوضى بداية من أذنها الممتلئة بالأقراط وانتهاءً ببنطال ممزق لا يكاد يواري ساقيها مع كنزتها الصوفية التي تظهر أكثر مما تخفي.

أحضرتها مدرسة اللغة العربية وهي في حالة عصبية شديدة.

– تفضلي «أ/ منال»، ساندي رجاءً انتظريني أمام المكتب.

صاحت «ساندي» معترضة:

– أنا لم أرتكب شيئًا صدقيني «ياسمي» لم أكد أدخل الفصل حتى بدأت «أ/ منال» في اضطهادي.

قاطعتها قائلة:

– ليس الآن «ساندي» هيا للخارج وانتظريني حتى أنهي الأمر مع «أ/ منال».

– ولكن..

قاطعتها في حزم، فخرجت وهي ترمقني بغضب.

- ماذا حدث «أ/ منال»؟

- ثياب «ساندي» لا تليق بمؤسسة تعليمية، وتسببت بلفت انتباه زملائها وسخريتهم منها، وأثارت الفوضى منذ وصولها وعطلتني عن الدرس.

رمقتها بتفحص، أعلم جيدًا أن «أ/ منال» لا تطيق «ساندي» وتطلق على ثيابها عريًا وتبرجًا.

- «أ/ منال» لا شأن للمؤسسة بهذا نحن لا نحاكم الطلاب على طريقتهم في انتقاء ثيابهم.

- لكن «أ/ ياسمي» يجب أن توضع لائحة بشروط الزي داخل المؤسسة منعًا للفوضى التي تحدث داخل الصف وتعيق المدرس مثل ما حدث الآن.

- نعم، أوافقك الرأي بخصوص هذا الأمر «أ/ منال» لكن هنا مؤسسة تعديل سلوكي بالمقام الأول و«ساندي» مريضة لدينا وتتعمد فعل كل ما يلفت الأنظار إليها، كان عليك تجاهل الأمر والسيطرة على الطلاب بحزم تمامًا كما لو كانت الفوضى بسبب اختلاف على لعبة كرة القدم مثلًا.

زفرت بحنق:

- حسنًا شكرًا لوقتك «أ/ ياسمي» سأذهب لألحق بما تبقى من وقت المحاضرة.

أعلم جيدًا أنها تراني قدوة سيئة للطلاب خاصةً فئة المراهقين منهم، سمعت تعليقها هذا بأذني عند أول يوم باشرت فيه العمل، لذا لم أعبأ نهائيًا برد فعلها.

ما يهمني حقًا هو نجاح عملية تعديل السلوك للطلاب لدينا وإنقاذهم من الانحراف، وتجنيبهم إيقاع الأذى بالنفس والآخرين.

أمثال «أ/ منال» لا يدركون طبيعة اختلاف النفس البشرية، ويريدون فرض آرائهم على الجميع دون معارضة.

هذا الأمر يخالف الطبيعة والقوانين التي يسير بها الكون منذ الأزل فالاختلاف هو الوضع الطبيعي بين البشر، وقبول الآخر والترفق به هو جوهر عملية التغيير السلوكي، أما الرفض سيجعل الطلاب يقاومون عملية التغيير حتى لو كان فيه مصلحتهم.

- «أ/ حنان» رجاءً اطلبي من السكرتارية إحضار «ساندي».

دخلت «ساندي» غاضبة، وصفعت باب المكتب في ضجة.

- تفضلي يا آنسة «ساندي».

قلتها بنبرة عتاب أدركتها هي وجلست أمامي وبدت أكثر هدوءًا، بادرتها:

- ماذا حدث في الفصل يا «ساندي»؟

- المخلوقة الشنيعة «منال»...

قاطعتها بحزم:

- عدلي من أسلوبك يا «ساندي» إن أردت مواصلة الحديث.

أجابتني بتذمر: حسنًا. «أ/ منال» بدأت اضطهادي كالعادة منذ وصلت إلى الصف.

- كيف؟ رجاءً أخبريني بالأمر مباشرةً «ساندي».

- دخلت إلى القاعة وبادرت بالاعتذار عن تأخري من «أ/ منال»، أذنت لي بالدخول، وصلت إلى مكاني المعتاد وبادرني «جاسر» بالسخرية والبذاءة، لم ألتفت إليه لكنه ظل يواصل التفوه بكلمات لا تليق، تدخل «سيف» لإيقافه وعلا صياحهما، وانتبهت «أ/ منال».

- وأين كانت «أ/ منال» منذ البداية يا «ساندي»؟

- اليوم هو موعد المطالعة، وانشغلت عنا «أ/ منال» بتصويب أوراق اختبار الأسبوع الماضي.

- حسنًا يا «ساندي»، عودي للقاعة الآن يكفي ما فاتك.

صاحت في استنكار وبنبرة اتهام:

- أهذا كل شيء!

- لا، غدًا سأحضر «جاسر» إلى مكتبي وأجلس معه، أنا مشغولة اليوم، لكن جلست معك رغم هذا، لم أكن لأؤجل لقاءك إلى الغد.

- حسنًا شكرًا لك يا «ياسمي».

منحتني ابتسامة صافية وقد سرها اهتمامي بها، وعدم تأجيل الحديث معها للغد، في حقيقة الأمر كنت أحبها رغم الفوضى التي تتسبب بها، أرى فيها جزءًا مني، كنت أعاني مثلها في الماضي من افتقاد الاهتمام.

التفت إلى «د/ يوسف»، كان يتابع ما يجري دون تدخل، بادرته بالاعتذار:

- أعتذر عن هذه العطلة يا «د/ يوسف»، لكن رأيت أنها فرصة لتتعرف بـ«ساندي» على الطبيعة.

- لا عليك كنت سألتقي بها في النهاية، ما حدث الآن أعطاني فكرة واضحة عن شخصية «ساندي».

- حسنًا سأتركك الآن تباشر لقاءك مع الأطفال، أعتذر جدًا عن عدم قدرتي على التواجد، لدي مقابلات مع موظفين جدد وقد تأخرت، سأنتظرك في مكتبي.

- حسنًا سألحق بك عندما أنتهي.

عدت إلى مكتبي وطلبت من مكتب الاستقبال أن يرسل المتقدمين لشغل وظيفة ملقن اللغة الإنجليزية، أوشك اليوم على نهايته ولم أنجز سوى القليل من العمل المتكوم فوق رأسي.

أحتاج لموظفة تساعدني في إدارة المكتب وتنظيم المواعيد، لكن كل من سبق ووظفتهن للعمل معي أثرن جنوني ولم أجد من تتحمل الاستمرار معي، مشكلة النسيان وسقوط المواعيد والتفاصيل الصغيرة من رأسي، جعل العمل معي كارثيًا.

كنت أقوم بإجراء آخر مقابلة، عندما قاطعتني طرقات الباب، وتلاها ظهور «د/ يوسف».

- مرحبًا يا دكتور هل انتهيت؟

- نعم، قمت بمقابلة قائمة الحالات التي حددناها.

- رائع، هل يمكنك انتظاري قليلًا؟

- حسنًا، يا أستاذة.

قالها ومضى يجمع أوراقه من على الطاولة.

أنهيت المقابلة وأنا في حالة مزاجية سيئة، لم أجد بين كل المتقدمين من لديه الخبرة التربوية والعلمية إلى جانب إتقان اللغة الإنجليزية، كل منهم يظن أنه يجود بنفسه ويضحي من أجل المؤسسة.

اللعنة، ما هذا الكم من الغباء، اللعنة، أغبياء، غباء مركب، أين ذهبت عقول هؤلاء؟ كيف تخرجوا من الجامعة، من الغبي الذي وافق على منحهم شهادة دراسية.

اقترب «يوسف» من المكتب وهو يردد واحد.. ثلاثة.. خمسة.

توقفت عن السب، سددت له نظرة غاضبة مع علامات استفهام، وسألته باستنكار:

- نعم؟

- لا شيء يا أستاذة أجمع الذنوب التي أحصاها لسانك، كل سبة وجهتيها إلى أحدهم تحتسب ذنبًا عليك.

خجلت من الرد عليه.

أكمل هو: استغفري.

وافقته: حسنًا يا «د/ يوسف» شكرًا لك.

واصلت الحديث:

- لحظات سأجمع أغراضي ونذهب للاجتماع بمدير المؤسسة «د/ محمد» كما اتفقنا أمس.

- حسنًا، يا أستاذة أنا بانتظارك.

لا أدري لم شعرت بالارتياح لحديثه، على الرغم أنه لم يكن سوى ملاحظة عابرة.

جمعت أغراضي وخرجنا من مكتبي.

- مكتبك يقع هنا يا دكتور بالغرفة المقابلة، غدًا نحصل على المفتاح الخاص بك من «أ/ مجدي» وتستلم كارنية العمل.

تمتم بهدوء: إن شاء الله.

(شردت: يا الله متى تنتهي الملفات العالقة بيننا وينتقل إلى مكتبه، قربي منه يثير ارتباكي).

- هل سنكمل السير!

- هاه، أعتذر عن شرودي يا دكتور، هيا بنا المكتب يقع بالطابق الأخير.

صعدت الدرج قفزًا ولحق بي مرغمًا.

- هل المصعد معطل يا «أ/ ياسمي».

- لا يا «د/ يوسف» أنا لا أجيد التعامل مع المصاعد.

رمقني بنظرة استغراب وواصلنا صعود الدرج.

وصلنا لمكتب «د/ محمد»، رحب بنا.

- «د/ محمد» أعرفك بـ«د/ يوسف».

- أهلًا وسهلًا تفضلا.

- ما نوع قهوتك يا «د/ يوسف»، أم تفضل مشروبًا آخر؟

- قهوة بحليب من فضلك بدون سكر.

أجاب «يوسف» وهو يتطلع حول المكتب.

تجاهل «د/ محمد» سؤالي بعكس ما فعل مع «يوسف».

تحدثت إلى نفسي بسخرية: ماذا تفضلين يا «أ/ ياسمي»؟ أفضل كوبًا من القهوة المخفوقة بنكهة الفانليا، حسنًا «ياسمي» هانم.

انفجر «د/ محمد» ضاحكًا من تهكمي، بينما قام «يوسف» بإخفاء ابتسامته.

أنهينا التعارف على وعد من «د/ محمد» بالاجتماع بنا غدًا.

ناداني «د/ محمد» مرة أخرى أثناء توجهي للخارج.

- «ياسمي» هناك اجتماع مجلس إدارة اليوم ستحضره عمتك هل ستشاركيننا؟

- لا، سأغادر الآن لم أعد أقوى على مواصلة العمل.

واتجهت خارج المكتب بعد أن ودعته، عدنا إلى أدراجنا، وأثناء مروري أمام الطابق الثاني اصطدمت بـ«ساندي» الطالبة التي كانت بمكتب الأخصائية اليوم.

- ماذا تفعلين هنا يا «ساندي» بعد موعد الانصراف؟

- كنت أبحث عنك «ياسمي».

قلت مازحة ونحن نواصل نزول الدرج:

- خيرًا، اصدميني هيا.. ماذا فعلتِ هذه المرة يا «ساندي»؟

تجاهلت الرد ونظرت إلى «د/ يوسف» في فضول.

قدمته إليها: «د/ يوسف» مشرف قسم التأهيل النفسي وتعديل السلوك.

صاحت بحماس وهي تتطلع إليه: حقًا.

أجابها: نعم.

مدت يدها لمصافحته وهي تقول: «ساندي» أدرس بالصف الثاني الثانوي وصديقة «ياسمي».

تجاهل «يوسف» يدها الممدودة واعتذر مواصلًا التعارف بها.

وصلنا إلى خارج المؤسسة، ودعنا «يوسف»، واتجهت إلى سيارتي، صاحت «ساندي» بجواري فجأة:

- انظري لقد جاء إلى العمل وهو يقود دراجة بخارية.

لم أصدق ما قالته «ساندي».

تطلعت بدهشة إلى حيث تشير، نعم حقًا لقد فعلها، لكن كيف هذا، بدا لي شخصية رزينة ومتزمتة للغاية، لم أتوقع هذا الأمر منه.

- ربما لا يملك ما يكفي لشراء سيارة يا «ساندي».

صاحت «ساندي» بانبهار:

- «ياسمي» هذه الدراجة تعادل ثمن سيارة على أحدث طراز، هذه من أشهر الماركات.

- حسنًا أنت أدرى مني بذلك الأمر، «ساندي» أخبريني ماذا سنفعل بك الآن.

- نحن أصدقاء، أليس كذلك «ياسمي».

- نعم «ساندي» أصدقاء طبعًا، لكن رجاءً ادخلي السيارة وهاتي ما لديك فأنا أتضور جوعًا وتعبًا.

دخلت «ساندي» السيارة وانطلقت باتجاه منزلها، كانت هناك علاقة صداقة تجمعنا داخل وخارج المؤسسة، وكثيرًا ما نتنزه معًا، إلى جانب أني أقوم بتدريبها على التصوير الفوتغرافي وأحرزت تقدمًا معها في تعديل سلوكها المضطرب.

- «ياسمي» لا أريد العودة للمنزل، «جاسر» هناك وتوعدني اليوم بالانتقام.

- الانتقام، لم يا «ساندي»؟

- لأنني اتخذت جانب «سيف» في صف «أ/ منال».

- أين عائلتك يا «ساندي»؟

- لديهم الليلة دعوة عشاء ولن يعودوا قبل منتصف الليلة.

نظرت لها في حيرة، فواصلت هي حديثها في إلحاح:

- رجاءً «ياسمي» أريد البقاء معك ليس لدي مكان أذهب إليه ورفاقي متجهون إلى حفل غنائي ولا أريد الذهاب معهم، لأن «جاسر» سيلحق بي.

(يا الله أنا متعبة جدًا اليوم وأيضًا لا يمكنني أن أتخلى عنها لكن أين سأذهب بها)

أعادتني من شرودي: ها يا «ياسمي» هل سأبقى معك؟

- بالتأكيد يا «ساندي».

صاحت «ساندي» وهي تطوق عنقي في فرح:

- حسنًا إلى أين سنذهب يا رفيقة؟

- لا أدري أنا منهكة، دعينا نمر على شقتي ونحضر الطعام من هناك، لكن قبل كل شيء أطلقي سراح عنقي يا «ساندي».

رحبت بالفكرة للغاية، عدلت اتجاهي إلى الطريق المؤدي لشقتي، وصلنا الشقة وتركتها تطلب مطعم البيتزا، ألقيت بجسدي المنهك على الأريكة.

عادت ساندي وجلست جواري بعد أن قامت بتشغيل جهاز الموسيقى على أعلى صوت.

- ماذا سنفعل يا «ياسمي» كيف سنقضي الوقت؟

- تحدثي عن نفسك يا حلوتي أنا مقتولة من التعب، سأتناول الطعام معك وأذهب للنوم ولا تزعجيني قبل الساعة العاشرة.

- هل ستتركيني وحيدة هكذا؟

- لا، لديك فيلم فوتوغرافي لم يتم تحميضه، اطبعي الصور وإياك أن تحرقيها.

- حقًا، «ياسمي» أنت رائعة.

ونهضت من جواري، وهي تقفز وتتمايل راقصة على أنغام الموسيقى وتدعوني للنهوض معها.

رفضتُ، فواصلت «ساندي» الحديث:

- ما رأيك في الطبيب الجديد، هل لاحظت بشرته البيضاء وخصلات شعره الناعمة التي تتبعه أينما التفت؟

- لا، لم ألحظ يا «ساندي»، أنا لا أتطلع إلى الشباب على قدر الإمكان.

- نعم نسيت قوانينك الصارمة. (قالتها بضحك). هل لاحظتِ أنه لا يرتدي خاتمًا بإصبعه.

– لا، لم ألحظ شيئًا يا «ساندي»، كفى ملاحظات عنه.

لم تعبأ بما قلته وأكملت بحماس:

– وهذا يعني أنه غير مرتبط.

– وليكن يا «ساندي» ما دخلي أنا.

– ربما يحدث بينكما إعجاب ويتطور إلى حب وزواج، كلاكما يليق بالآخر يا «ياسمي» أنت فاتنة و«يوسف» وسيم للغاية.

قاطعتها بحزم:

– كفى أوهام يا «ساندي» هذا لا يحدث سوى بالأفلام الهندية فقط.

– لمَ يا «ياسمي»؟ أرى أنكما متشابهان.

– «ساندي»، شاب مثل «يوسف» دائمًا ما يبحث عن فتاة شقراء وذات ملامح غربية.

(تذكرت في نفسي ما فعله «زياد» معي يوم أرسلت له صورتي الفوتوغرافية).

لم أنتبه إلى ردي إلا متأخرًا.

رمتني ساندي بنظرة دهشة وبادرتني في استنكار:

– لكن أنت فاتنة يا «ياسمي» شعرك طويل وبشرتك برونزية خلابة.

قاطعتها: هيا نرقص.

وقفزت من الأريكة، أطلقت سراح شعري، وراح خصري يتمايل على أنغام وجعي، كنت أعوض بالرقص رغبتي في البكاء.

علقت «ساندي» في انبهار:

– «ياسمي» أنت كائن هلامي ترقصين وكأن لا عظام لديك.

– ارقصي كلما زاد الوجع بداخلك، دعي خصرك يثأر مما فعله الحزن فيك.

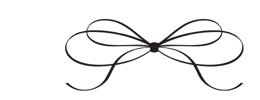
قاطعنا صوت جرس الباب.

كان عامل توصيل البيتزا حضر، سددت الفاتورة، وجلسنا أنا و«ساندي» نتناول البيتزا والمشروبات الغازية، انتهيت من الطعام واتجهت لغرفتي.

نادتني «ساندي»:

– «ياسمي»، هل يمكن أن أستعير ألوان الرسم؟

– حسنًا «ساندي» لكن حذار من إثارة الفوضى مثل كل مرة.



(انــــهــــيــــار)

ذهبت إلى حجرتي ومعي دفتري وسحبت نفسي إلى الماضي.

لم ينقطع حديثي مع الطبيب على موقع التواصل الاجتماعي خلال هذه الفترة، كنت أرسل إليه استفسارًا جديدًا كل ليلة، ويجيبني بطول بال.

استيقظت من نومي فزعة، بعد حديثي مع الطبيب، رأيت يدًا سوداء تمتد إلى عنقي وتطوقها بقوة، والشاب يواصل نداءه: اهــربـي يا «حور» أنقذي نفسك. حاولت تخليص نفسي لكن صاحب اليد الملتفة على عنقي كان أقوى مني.

شعرت بالجوع لأول مرة منذ فترة، تركت غرفتي واتجهت إلى المطبخ، تناولت زجاجة مياه غازية وكيس مقرمشات، وعدت إلى غرفتي، وضعت الحاسوب بجواري ودلفت إلى صفحة التواصل الاجتماعي.

بدأت محادثة مع الطبيب:

- السلام عليكم، أعتذر عما بدر مني البارحة، لم أقو على طنين الأفكار في رأسي، وكنت بحاجة إلى النوم، اعذرني على إزعاجي المتواصل لك، وإهداري وقتك.

أمضيت النهار بين القراءة وتصفح موقع التواصل الاجتماعي، جاء رد الطبيب على رسالتي في المساء:

- وعليكم السلام، لا عليك أنا أيضًا كنت في حاجة إلى الراحة، لا تعتذري أنا من تطفلت عليك وعرضت مساعدتي، وأنت لم تهدري وقتي هذا واجبي، دعينا نكمل الحديث.

هل أواصل الحديث بعد زلة لساني الماضية أم أنسحب، لمَ لا أواصل عسى أن يساعدني على إيجاد حل، لا داعي للخوف منه هو لا يعرفني والحديث بيننا متوقف على «يامن» فقط.

عاود المراسلة: أنت هنا أختي؟

- نعم معك يا دكتور.

- هل نكمل؟

نعم، تفضل.

- لدي سؤال.. هل أنماط الشخصيات التي ناقشناها تتطابق مع الشخص الذي تحدثنا عنه البارحة؟

- نعم كلها فيما عدا شخصية الضحية، هو يرى أنني شخصية أنانية واستغلالية، لكن أنا لا أشعر أن شخصية الضحية تعبر عني.

- شخصية الضحية لا تنطبق عليك بالفعل.

- أود إطلاعك على أمرٍ ما، ربما يساعدك على فهم شخصية خطيبي.

- حسنًا تفضلي أختي.

في لحظة تسرع أرسلت إليه نسخة من محادثات «يامن» مع «شذى».

تأخر في الرد وضجت رأسي بالظنون، هل سيصل إلى «شذى» ويخبرها فتخبر «يامن»؟ هل سيجعلني أدفع ثمن تسرعي هذا؟!

أفقت من هلعي، وهل ترك «يامن» شيئًا مؤذيًا إلا وفعله بي؟ لعنة اللّه على ضعفي أمامه، يفترض أن يخاف «يامن» من معرفتي بهذه المحادثة وليس العكس.

- عليك تركه فورًا، أنماط الشخصية تنطبق عليه بالفعل وهو من الشخصيات السادية، ولن يتوانى عن إيذائك بأي شكل. شخصية الضحية لا تنطبق عليك هذا هو سبب رغبته في تدميرك، اهربي منه ولا تستمري في هذه الزيجة، إذا تمكن من الوصول إليك لن يتركك إلا مدمرة، أنت مجرد تحدٍ بالنسبة إليه إما أن يحصل عليك أو يقضي عليك.

- نعم لكن «يامن» يحبني.

- حبه لك مرضي وعنيف، اسمعي نصيحتي وابتعدي عنه.

أرسلها الطبيب، وملأ الضجيج رأسي، أهرب إلى أين.. إلى من؟

- إلى أين أهرب أنت لا تعرف وضعي، ليس لدي مكان أذهب إليه، ولا أعرف إلى من ألجأ، ولو ابتعدت عن خطيبي سأصبح وحيدة تمامًا وأنت لا تعرف مرارة الوحدة التي أتجرعها.

- أن تصبحي وحيدة أفضل من أن يدمرك، هناك أشياء داخل الإنسان لو ذهبت لا تعود مرة أخرى، استعيني باللّه وافسخي الخطبة.

- هذا قدر اللّه، «يامن» هو بلائي.

- لو فرضنا أن خطيبك هذا ابتلاء من اللّه، فيجب عليك دفع هذا الابتلاء والفرصة ما زالت موجودة أمامك، استعيني باللّه وسيعوضك خيرًا إن شاء اللّه.

أيسخر مني؟ حتمًا هو لا يعرف الحقيقة التي أعاني منها.

أرسلت إليه:

- حديث خطيبي عني صحيح يا دكتور، أنا بشعة قبيحة منبوذة ولا أحسن الحديث أو التصرف أمام الغير، من سيرضى بالزواج من فضيحة مثلي؟

- أنت لم تستوعبي ما تناقشنا فيه بالأمس، «يامن» هذا شخصية نرجسية وسادية ولذته الوحيدة هي السيطرة عليك وتحطيمك.

تحطيمي... أنا محطمة بالفعل منذ ميلادي، لن يجد «يامن» ما يدمره، والدي سبقه وحطم كل شيء.

انتبهت على رسالةٍ من الطبيب سألني: هل ما زلتِ مصرة على البقاء معه؟

- وهل لدي حلول أخرى، أنا تعلقت بوجوده، حديثه المهين أفضل من الصمت المطبق المحيط بي، جنونه وسيطرته أفضل من العزلة، أنا سأغير نفسي من أجله، نعم لن أعارضه بعد اليوم وسأطيعه دومًا.

- هل تظنين أنه سينسى رفضك القديم له، أعيدي قراءة المحادثة، لقد اعترف أنك تغيرتِ بالفعل ومع هذا سيواصل تدميرك، قوة شخصيتك واضحة أمامه حتى أثناء خضوعك لذا لن يتوقف عن إيذائك.

- ولو تركته سيؤذيني أيضًا في كل الحالات لن يتركني، في آخر مكالمة بيننا أخبرني أنه سيقدم على قتلي لو فكرت في هجره أو التخلي عنه. في آخر زيارة له صارحته أنني أفكر في الانفصال عنه لانعدام التوافق بيننا، رفعني عن الأرض وأطاح بي وتركني فاقدةً الوعي.

أجابني:

- الحديث على المحادثة غير مجد، رجاءً أرسلي رقمك وأقسم أني لن أسيء إليك، الأمر يحتاج إلى محادثة صوتية.

لم أعرف ماذا أفعل، إن وافقت وأرسلت رقمي، سيعد هذا خيانة وسيحاسبني الله عليها، أغلقت حاسوبي وتركت موقع التواصل الاجتماعي.

قضيت أيامًا وليالي وأنا أفكر في حديثي مع الطبيب، أدركت الآن حقيقة «يامن» لكن ما الجدوى ليس لدي من يحميني منه لو تركته، هذا هو ابتلائي وسأصبر.

عند هذه النقطة ضجّ رأسي بالتساؤل من جديد، أين الله في كل ما يحدث حولي؟! أين الله من وحدتي؟

لمَ ابتلاني الله بخطيبي هذا، أنا تحمّلت كل شيء تعرضت له منذ طفولتي، لم أشُكُ يومًا، كنت أصبر، لم أر والدتي يومًا، وحرمني والدي من القرب منه، وأخيرًا فقدت جدي وجدتي، لم كل هذا يا إلهي؟! إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي.

ظننت أن «يامن» هو ابتسامة الحياة لي بعد طول عزلة وحرمان، لم أعرف أن الحياة تمقتني إلى هذه الدرجة، أنا لم أجبره على الارتباط بي فلمَ يعايرني الآن بشكلي؟ لم أدّعِ يومًا أنني شيخة.

أنا بالكاد أصلي وأصوم وأحفظ وردي، لمَ لم يتركني على حالي هذه؟ أنا لم أمنعه من الالتزام، هل من التدين أن يتحدث عني بسوء مع فتاة أخرى ويخطط لأذيتي؟

العجيب ليس ما يفعله «يامن»، العجيب هو ما أفعله في نفسي، هناك رغبة داخلي في البقاء معه رغم الأذى الذي يسببه لي، لا أدري ما سببها.. هل حقًا خوفي من الوحدة هو سبب بقائي مع مجنون مثل «يامن» أم أنني أدمنت إيذاء نفسي على يد «يامن».

وبدأت نوبة انهيار، كنت أبكي وأنتحب ويعلو صراخي ونشيجي، ولأول مرة أبوح بكل الأمور التي حاولت دفنها داخلي منذ طفولتي حتى لحظتي البائسة هذه.

أكان دعاؤها لا يرفع أم ذهبت كل صلواتها سدى، أو ربما قلبها لم يكن يومًا خاشعًا فنجها يا الله.

قضيت أيامًا طويلة في غرفتي وحيدة، تأبى معدتي تناول الطعام، ويجافيني النوم، وأنتحب حتى تورمت عيني، وبح صوتي من الصراخ، عادت الدادة من عطلتها وفوجئت بحالي، اتصلت بعمتي وأخبرتها عن حالتي.

كنت أشعر أني وحيدة، كتمثال عرض حبسوه داخل عارضة زجاجية، وتخلوا عنه وتركوه وحيدًا، يتأمل المارة ويحاول عبثًا أن يلفت أنظارهم إلى وجوده، وعندما نجحت في لفت أنظار أحدهم قام بتحطيمي وقضى على بقايا صبري.

علمت بمجيء عمتي فذهبت لاستقبالها بمنامتي القصيرة وشعري المشعث، كانت الأرض تميد بي والدوران يضرب رأسي، وبدأ جسدي يثأر مني لإهمالي تناول الطعام.

ما بال الدرج صار طويلًا بهذا الشكل، اشتد بي الدوران وسقطت من الدرج، جاءت عمتي على صوت سقوطي.

كنت أهذي بكلام غير مفهوم، رحت ألومها على مشاركتها في التخلي عني مثل الجميع، كنت أرتجف والحرارة تشع من جسدي، وخرجت من دائرة الوعي.

وأفقت بالمشفى، أدركت أني فقدت الوعي جراء هبوط حاد بالدورة الدموية، الفحص الطبي أظهر أن لدي ضعفًا في عضلة القلب، ونقص نسبة

عنصر الحديد وبعض الفيتامينات الكثيرة إلى جانب انخفاض مستوى الضغط والسكر في جسدي.

عاتبتني عمتي على ما أفعله بجسدي وصحتي، لمَ لا تلوم نفسها عما فعلته بي هي الأخرى.

غادرنا المشفى وتفكيري كله مركز في «يامن»، ماذا لو عرف أني غادرت المنزل، بل ماذا سيفعل لو ذهب إلى غرفتي ووصل إلى حاسوبي النقال، سيرى صفحتي الشخصية الجديدة وحديثي مع شباب غيره.

لعنة الله على «يامن» الخائن، أنثى غيري كانت ستنفصل عنه منذ وقع نظرها على رسائل خيانته، لكن أنا عاجزة وغارقة في ارتباطي المدمر به.

فتحت «ساندي» باب الغرفة وانطلقت كطلقة عشوائية، ارتعبت جراء اقتحامها المفاجئ لخلوتي، أخرجتني من ذكرياتي السوداء.

- يا الله! «ساندي» كم مرة أخبرتك عن طرق الباب.

- عذرًا «ياسمي» نسيت واعتقدت أنك تغطين في النوم.

- وهل نومي يعطيك الحق في اقتحام غرفتي هكذا ككتيبة من قوات المارينز.

سددت لي نظرة بائسة من إحدى النظرات التي تتصنعها، ابتلعت غضبي:

- ماذا هناك يا «ساندي»؟

- لدي فرط طاقة لا يحتمل، عادت رغبتي في تناول المخدر يا «ياسمي».

- اهدأي يا «ساندي»، سنخرج طاقتك فورًا.

(أنا من يرغب الآن في تعاطي المخدرات، كنت قد اعتدت نوبات فرط الطاقة التي تنتاب «ساندي» منذ أن توقفت عن التعاطي، وبدأت أعرف كيف أواجه الأمر).

اتجهت إلى خزانة ثيابي، أخرجت ملابس رياضية لي أنا و«ساندي».

- «ساندي» هيا ارتدي هذا واستعدي لنمضي.

اتجهت إلى الصالة ووجدت «ساندي» قلبت الشقة رأسًا على عقب وأحالت الصالة إلى مكب نفايات.

لا أدري من أين تأتي بكل هذا الكم من الورق والزجاجات الفارغة، حتى كتبي العزيزة لم تسلم من جنونها، ابتلعت غضبي وجمعت القمامة وأعدت ترتيب كتبي داخل المكتبة من جديد.

ذهبت أبدل ثيابي، وأفزعتني «ساندي» وهي تقرع الباب بنفاد صبر.

- هيا تأخرنا يا «ياسمي».

خرجت إليها وأنا أحاول تمالك أعصابي وأردد: لله الأمر، لله الأمر.

- تأخرنا على ماذا يا مصيبتي؟

صاحت:

- لا أدري لكن أنا سئمت انتظارك.

- هيا اجمعي أغراضك، يومًا ما سأجبرك على تنظيف الشقة كاملة عقابًا لك على هذه الفوضى.

ضحكت «ساندي» وهي تقفز تجاه باب الشقة.

عدنا إلى السيارة، أخرجت حذاءً رياضيًا وانتعلته في قدمي وانطلقنا بعدها في اتجاه الصالة الرياضية.

وصلنا بعدما كدت أفقد سيطرتي على عجلة القيادة من أفعال «ساندي» طوال الطريق، وتشتت انتباهي بين الطريق وبين صراخي: أدخلي رأسك، أدخلي ذراعك، كفي عن القفز بالمقعد الخلفي.

- هيا «ساندي» وصلنا.

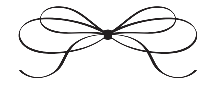
- «ياسمي» لمَ وقفتِ بعيدًا عن البناية هل سنسير كل هذه المسافة؟

- لن نسير، سنركض هيا «ساندي».

تركتها وسط تذمراتها وبدأت الركض، فلحقت بي مرغمة، قضيت ساعتين في التمرين مع «ساندي».

- هيا نذهب يا «ياسمي»، أنا لم أعد أقوى على الحركة رجاءً أرغب في النوم بشدة.

- حسنًا أبدلي ثيابك والحقي بي في السيارة.



«يوسف»:

استيقظت من نومي فزعًا بسبب حلم مزعج رأيت فيه «حور».

كانت تجلس في حزن وتنتحب وتردد Don’t let me، أثار الحلم شعوري بالشجن والفقد وكأني فقدت أحدهم على أرض الواقع وليس مجرد حلم، نهضت من فراشي.

اغتسلت وأديت صلاتي، وأخرجت ثيابي من الخزانة استعدادًا ليوم عملٍ جديد، ما زال الوقت مبكرًا على الذهاب، جلست أقرأ في المراجع الخاصة بدراستي.

إلى أن جاء موعد ذهابي، نهضت وارتديت ثيابي سريعًا، وانطلقت إلى المؤسسة، وصلت هناك قرب الثامنة.

وجدت «ياسمي» بدأت العمل مبكرًا، رحبت بي وناولتني ما أنهته من ملفات وبدأت العمل، تزايد شعوري بأنني سبق ورأيتها، وددت أن أسألها هل سبق وأن التقينا لكن منعني الحرج عن إشباع فضولي.

في منتصف اليوم ذهبنا نتفقد بعض حالات الأطفال التي انتهينا من تفنيدها، تأخرنا قليلًا بسبب مشكلة مع إحدى الطالبات، أعجبني أسلوب «ياسمي» في تدارك الأمر، أنهيت عملي بلقاء سريع مع مدير المؤسسة.

أثناء مغادرتي العمل لفت انتباهي العلاقة بين «ياسمي» والطالبة المراهقة، كانت بينهما علاقة صداقة وود لا علاقة موظفة وطالبة.

عدت إلى منزلي بعد طريق طويل، وصعدت إلى شقة «رفيف».

- مساء الخير تفضل يا «يوسف».

- مساء الخير أختي.

- لمَ لم تمر بي قبل ذهابك إلى العمل يا «يوسف»؟

- لم أرغب في إزعاجك يا «رفيف».

- ما هذا الحديث يا «يوسف» أنت أخي ومرحب بك في أي وقت، كنت أنتظرك على الفطور.

- لا عليك يا «رفيف» تعوض في مرة أخرى.

- كيف حالك مع الوظيفة الجديدة يا «يوسف»؟

- بدأت استيعاب نظام العمل والأمور تسير بشكل جيد.

- بالتوفيق يا «يوسف»، اذهب واستبدل ثيابك حتى نتناول الغداء.

- معذرة يا «رفيف» سأذهب إلى التمرين أولًا.

- لمَ لا تستريح يا «يوسف» وتؤجل التمرين أنت منهك من العمل.

- لم أذهب إلى التمرين منذ فترة، سأستريح عند عودتي.

- حسنًا يا «يوسف» لا تتأخر سأنتظرك.

غادرت شقة «رفيف» وعدت إلى شقتي، أبدلت ملابس العمل بأخرى تناسب التمرين وانطلقت من البناية نحو الصالة الرياضية القريبة.

أديت تمريناتي وعدت إلى شقتي، اغتسلت وارتديت منامتي، وذهبت إلى شقة أختي.

- مساء الخير يا حبيبتي.

- مساء الخير يا «يوسف» تفضل سأعد العشاء فورًا.

- هل ترغبين في المساعدة يا «رفيف».

- لا داعي، أعددت الطعام وسأحضره إلى الطاولة.

انتهيت من العشاء وجلست أتحدث مع أختي:

- كيف حال الخالة يا «رفيف».

- بخير لكنها تصر على السفر غدًا.

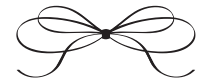
- لكن فيما العجلة مع من ستذهب؟

- أخبرتني أنها تشتاق لرؤية ابنتها وعائلتها بالبلدة، وسيأتي ابن أخيها لاصطحابها في الصباح.

- حسنًا دعيها وراحتها.

نهضت «رفيف» تجمع بقايا الطاولة، ساعدتها واستأذنت للذهاب إلى النوم، هربًا من سيل أسئلتها حول العمل والموظفات وأحلامي عن «حور».

دلفت لشقتي وذهبت إلى فراشي مباشرةً واستسلمت للنوم.



«ياسمين»:

خرجت «ساندي» من صالة الرياضة ودلفت إلى السيارة، واستغرقت في النوم إلى أن وصلنا أسفل بنايتها، ودّعتها وأخذت الطريق المؤدي إلى شقتي، وصلت وأنا منهكة القوى، اتجهت إلى الحمام، اغتسلت وأبدلت ثيابي واتجهت للفراش، لم تكن عمتي عادت من المؤسسة بعد.

استيقظت قرابة الثانية صباحًا على وجع رهيب برأسي، نهضت من فراشي وتناولت قرصًا مسكنًا، وضعت رأسي على الوسادة وحاولت العودة إلى النوم لكن تملك مني الأرق، وعادت أحداث الماضي تمر أمام عينيّ.

استسلمت بعد أن فقدت رغبتي في النوم وأخرجت دفتري..

عدت من المشفى في سيارة «كريم» بعد أن أصر على توصيلي للمنزل والاطمئنان عليّ، كنت أرتدي منامتي، ودب الخوف بداخلي من أن يراني «يامن» بهذا الشكل، لا أدري هل كان يقرأ أفكاري حتى يظهر في لحظة خروجي من السيارة ويراني!

وصلت إلى غرفتي وظهر «يامن» أمامي بسرعة الضوء، لم يسألني عن سبب خروجي هكذا، لم يترك لي فرصة الشرح، جرني من شعري وراح يكيل لي الضربات.

جاء «كريم» ومعه عمتي على صوت صراخي خلصوني من بين يديه، وأكمل «يامن» عراكه مع «كريم»، وراح يجلجل بصوته وهو يهينني: هل وصل بك الانحراف إلى هذا الحد يا «حور». أعود من عملي لأراكِ تتسكعين مع

شاب غريب بثوب لا يليق، هل جننتِ؟ تساهلي معك هو السبب، سيتم زفافنا في أقرب وقت وأعيد تأديبك من جديد.

كنت مكومة على نفسي أسفل المنضدة وجسدي يرتجف في هلع، أنفي مدمي وينزف على أثر ضربات «يامن»، لم أقو على الرد عليه من شدة إعيائي، لكن عمتي تكفلت بهذا.

– انس زواجك من «حور» يا حقير، غدًا سننهي هذه الزيجة المشؤومة ونخلصها منك.

جن «يامن» وصاح بجنون:

– «حور» أيتها الحمقاء.. هل سلمتِ رأسك إلى عمتك مرة أخرى، أنسيتِ أنها لفظتك في الماضي من أجل زوجها وابنه، وعادت الآن لتنهب ميراثك وتجردك من منزلك وستلقي بك وحيدة مرة ثانية.

نجح «كريم» أخيرًا في إخراج «يامن» من الفيلا بعد وصلة من الإهانات والفضائح، الحقير فتش في دفتري واطلع على أسراري، هذا المجنون لم يترك إبرة خيط دون أن يعبث بها.

ساعدتني عمتي على النهوض ووضعتني في فراشي، وأحضرت كمادات باردة ومسحت الدم عن أنفي وضمدته.

وسألتني عن طبيعة علاقتي بـ«يامن» وهل سبق وأن قام بإيذائي، تهربت من الرد عليها.

تناولت حبوب الدواء وأقراص المهدئ وذهبت في النوم بجسد تزينه الكدمات الخضراء والزرقاء، وضع «يامن» بصمات يده على كامل جسدي لكن بشكل غير مألوف.

ما جدوى بقائي مع هذا المريض، لو تزوجت منه حتمًا سألفظ أنفاسي بين يديه وسيبكي ويحزن على فراقي وكأنّه لم يتسبب بقتلي، علاقتنا المريضة لا علاج لها سوى الانفصال، لن يقوى جسدي على استيعاب المزيد من الضربات.

رحت أردد هذا الحديث لنفسي، وجانب مني يأبى التخلي عن «يامن»، ما زلت أهوى طريقته في محاصرتي، تعقبه لي يشعرني باهتمام عشت أفتقده على مدار عمري، حتى تفتيشه في أشيائي أجده يثير شعورًا بالمتعة داخلي.

لكن لم أعد أحتمل إهاناته واعتداءه المتواصل عليّ، إلى جانب خيانته وكذبه، آه لو ينصلح حاله.

استيقظت في المساء على ألم يجتاح رأسي ويحتل جسدي بأكمله، جاءت عمتي ومعها العشاء، تناولت القليل من الطعام حتى أستطيع تناول دوائي.

راحت عمتي تراقب ملامح وجهي الموشومة ببصمات «يامن» في قهر وغضب، أخبرتها أني سأعود إلى النوم، تركتني ومضت، لم يكن لدي رغبة في النوم لكن أردت أن أبقى وحيدة.

أحضرت حاسوبي ودخلت إلى صفحتي على موقع التواصل الاجتماعي.

وجدت عدة رسائل اعتذار من الطبيب، عن طلبه رقم هاتفي، ولم يتوقف عن محادثتي منذ أن تركته في آخر محادثة.

أرسلت إليه: سأنتظرك الليلة في موعدنا المعتاد. دخلت إلى صفحة الطبيب الشخصية وجدت منشورًا مضى عليه أيام.

(لو أننا نلتقي ونتعانق فتلتحم أجسادنا وتصبح كيانًا واحدًا يتقاسم القلب، لو أني أستطيع الوصول إليك وانتشالك من العزلة، لو أن دمك يمتزج بشراييني فـ أحملك داخل جسدي، وقلبي ينبض بداخلك لأختبئ بين حنايا

صدرك. فيجد كلٌ منا بالآخر وطنه وعالمه، إن غفت عينك تبقى عيني ساهرة ترعاك وتتفقدك، وإن غفت عيني سهوًا تلتقيك روحي في سماء الحلم).

يا الله، هل يمكن أن يحدث هذا في عالمنا، هل يمكن أن أجد من يحبني إلى هذه الدرجة؟ حتمًا لا هل جننتِ يا «حور»، كانت فرصتي الوحيدة مع «يامن» وها أنا أفقدها.

استلمت رسالة من «زياد»:

- السلام عليكم، كيف حالك؟ وصلت إلى المدينة الجامعية، واستلمت عملي الجديد، ستبدأ الدراسة الأسبوع القادم، الوضع هنا أفضل، دعواتك لي بالحصول على درجة الدكتوراه.

- وعليكم السلام، حمدًا لله على سلامتك.

- سلمك الله، كيف حالك؟

- أنا بخير، كيف حالك أنت يا «زياد»؟

- الحمد لله.

- موفق بإذن الله، «زياد» هل الدراسة سهلة؟

- نعم المناهج غير معقدة، والامتحانات بسيطة، هل تفكرين بالدراسة هنا؟

- نعم يا «زياد».

- وعائلتك هل ستسمح بذلك؟

عائلتي! ضحكت ساخرة من سؤاله، عن أي عائلة يتحدث سأغادر من هذه البلدة وأذهب إلى مكان لا يعرفني فيه أحد، ولا أعرف فيه أحدًا.

- لا أظن أنّي سأواجه أي مشكلة مع عائلتي.

- هل ستتحملين الغربة؟

- نعم ليس لدي مشكلة في هذا.

تأخر «زياد» بالرد، وبعد فترة وصلتني رسالة طويلة منه:

- إجابتك أراحت قلبي وأنقذتني من حيرتي، أنا معجب بتفكيرك وشخصيتك منذ بداية حديثنا، كنت دائمًا تستحوذين على إعجابي بآرائك وتفكيرك، في البداية ظننت أن الأمر مجرد إعجاب أو تعوّد وينتهي. لكن عندما انقطعت عن محادثتك بسبب ظروف انتقالي، أدركت حقيقة شعوري نحوك وترددت في مفاتحتك في الأمر نظرًا لظروف سفري، لكن بما أنه لا مانع لديك من السفر، هل توافقين على الارتباط بي؟

صدمتني إجابته، لم أتخيل أن يفاتحني في الارتباط.

- لكن أنت لا تعرفني جيدًا ولم ترني من قبل.

أجابني دون تأخير:

- صدقتِ، أنا لا أعرف بياناتك أو لقبك أو عنوانك أو شكلك، لكن أعرف تفكيركَ وأسلوبك في الحديث وأعرف روحك الطيبة، وردود أفعالك.

كنت أقرأ كلماته في غير استيعاب، يا له من يوم غريب! بدأ بالضرب وانتهى بعرض الزواج من شخص رائع وناجح، لديه آلاف من المعجبين على مواقع التواصل الاجتماعي، لكن هل تراه سيقبل بي؟ لا، أفيقي يا «حور» كفاك عبثًا، كل ما أطمع فيه أن يساعدني على الالتحاق بإحدى الجامعات هناك.

سكت لثوانٍ في انتظار ردي ولما تأخر جوابي أكمل:

- أما مسألة أن يرى أحدنا الآخر فهذا أمر بسيط، مسألة الشكل لا تأتي ضمن أولوياتي، من النادر أن يلتقي الإنسان شخصًا يشبهه ويعرف كيف يحتويه.

متى ستظهر الكاميرا الخفية وتنتهي هذه المزحة، هكذا خطر لي، هذا مجرد «يامن» آخر ومعاناة أخرى، لا شكرًا أنا نلت كفايتي ولم أتخلص بعد من تعلقي بـ«يامن».

عاود الحديث قائلًا:

- رجاءً سامحيني على صراحتي لكنها جاءت بعد طول كتمان، ولم أعد أقوى على إخفاء شعوري تجاهك أكثر من ذلك، كل ما يشغلني الآن هو معرفة ردك، سأذهب إلى عملي الآن ومعك مهلة للتفكير، فكري جيدًا وسأكون في انتظار قرارك.

امتنعت عن الرد عليه.

انتبهت إلى محادثة Just You، أرسل لي:

- أنت هنا أختي؟

أجبته: نعم يا دكتور.

- كيف حالك؟ انشغلت عليك طمئنيني عليك.

- أنا الحمد لله، شكرًا لك دكتور.

- أين كنت الفترة الماضية؟

كان يستفيض بالحديث والسؤال عني على غير عادته، مع أن حديثه معي مقتضب دومًا ولا يتخطى حدود الإجابة عن أسئلتي..

أجبته:

- أنا بخير يا دكتور.. فيما عدا أني كنت بالمشفى، وانفصلت عن خطيبي.

- مشفى! لمَ؟

أجبته سريعًا:

- هبوط بالدورة الدموية.

- اها، حمدًا لله على سلامتك، ما هو السبب؟

- عدم تناولي الطعام بشكل جيد لفترة طويلة، إلى جانب السهر والأرق الدائم.

- لماذا يا أختي، ماذا حدث لكل هذا؟

أخبرته عن «يامن»، عن خوفي من الانفصال عنه، وعن شعوري الغريب باللذة من مراقبته لي واستبداده بي.

- الأمر له عارض نفسي، لديك شعور بالرفض وعدم الاستحقاق نتج عنه الرغبة في إيذاء الذات.

- ماذا؟ هل تقصد أني مريضة نفسية مثل «يامن»؟

- لا بالطبع ليس بهذا الشكل هذه مسألة بسيطة، عدة جلسات تأهيل نفسي نبحث خلالها عن سبب شعورك بعدم الاستحقاق ويتم علاجه.

- لا أرغب بجلسات نفسية.

- أختي نتائج الشعور بعدم الاستحقاق مؤذية وأنت جربتِ بعضها، فكري في الأمر.

- لن أجرب شيئًا أنا خسرت خطيبي آخر من بقي لي، أنا بليت بفقد كل من يقترب مني إما بالموت أو التخلي.

- كلامك يعتبر نوعًا ما اعتراضًا على قضاء الله، اهدأي وثقي أن الله قدر لك الخير، خطيبك إنسان مريض لا يصلح العيش معه، أنت تستحقين أفضل منه، لكن شعور عدم الاستحقاق الموجود داخلك يحجب عنك الرؤية بشكل واضح.

- لا يهم، انتهى كل شيء وانتهيت، أضعت ثلاثة أعوامٍ من عمري سدى، والنتيجة لم أحصل على شيء.

- الأمر مهم، وقد يتطور إلى رغبة في إيذاء نفسك دون وعي، الأمر يصل أحيانًا للانتحار، دعينا نعالج هذا الشعور قبل أن يتفاقم.

- من أخبرك أني لم أحاول الانتحار، حاولت عددًا لا بأس به من المرات وأقلعت عن المحاولة بعد فشلها، مذاق الشربة ومشروب الكربون جعلوني أتوقف.

- اهدأي ودعينا نصل معًا إلى سبب شعورك بالنقمة تجاه نفسك.

- لا أرغب في الوصول إلى شيء، أنا أعرف سبب شعوري وأعرف من تسبب فيه، ومتى تسبب به، شكرًا لمساعدتك سأذهب إلى النوم.

هل يعقل أن أكون ولدت وحيدة بالفطرة! أو أن يكون الله خلق لكل إنسان نصفًا آخر يسكن إليه فيما عداي؟

أغلقت المحادثة مع الطبيب وأنا في حالة غضب لا أدري هل أنا غاضبة من نفسي أم عليها.

قررت أن أجيب على محادثة «زياد»، أرسلت إليه:

- أتظن أنك قادر على الارتباط بفتاة قبيحة؟

(لا أدري لمَ عاودت الرد على «زياد» رغم أني قررت تجاهل عرضه الزواج مني).

أغلقت الحاسوب وتناولت أقراص المهدئ وعدت إلى النوم، غدًا سينتهي كل ما بيني وبين «يامن» إلى الأبد، فيا لصبرٍ ضاع سدى!

جاءت عمتي في الصباح وهي تحمل الطعام وعلب الدواء.

- هيا لنتناول الفطور.

- لا طاقة لي بالطعام.

- أعلم يا «حور» أنه ليس لدي خاطر عندك، لكن والدتك لن تحتمل أن تراك هكذا وهي الآن تراك ولن يرضيها هذا، هيا قاومي نفسك.

حسنًا هي تعرف الثغرة التي تنفذ من خلالها، اقتربت من المنضدة ناولتني كوب الحليب وأعدت لي شطيرة، تجرعت ربع الكوب ولم أقو على مس الطعام.

- أنت لم تتناولي شيئًا يا «حور».

- لا أقوى على أي شيء، من فضلك اتركيه جانبًا.

- حسنًا تناولي الدواء إذًا.

وأعطتني بعدها حبوب دوائي وناولتني كوب عصير، تجرعتهم في صعوبة.

- هل حدث جديد في أمر خطبتي بـ«يامن» يا عمتي؟

- بالأمس ذهبت إلى عائلة خطيبك مع «كريم» والدكتور «محمد» صديق جدك، التقيت بوالده وأخبرته عن ما فعله «يامن»، ذهل مما قلته، واعتذر مني بخجل وأسى عن همجية ابنه، حاولت والدته إصلاح الأمور، لكني كنت حازمةً معهما، وسيحضر المأذون اليوم وينتهي الأمر.

- حقًا.. بهذه البساطة.

- نعم يا «حور» لكن أخبريني لماذا لم تخبريني أو تخبري عائلة خطيبك بما كان يفعله؟

- لأن هذا يسمى فتنة يا عمتي، و«يامن» حذرني من الحديث أو الشكوى، هذه أسرار لا يصح أن تخرج للغير ولم أرغب في خسارته.

- ما هذا الهراء الذي أدخله هذا المخبول برأسك يا «حور»، هذه ليست فتنة يا ابنتي، كدت أن تلفظي أنفاسك بين يديه، كيف تحملت جنونه؟

- لا داعي للحديث يا عمتي انتهى الأمر، أليس كذلك؟!

- حسنًا يا «حور» أنا مضطرة الآن إلى الذهاب لمتابعة سير إجراءات إعلان الوراثة وتقسيم تركة جدك، سأعود سريعًا، استريحي الآن.

ذهبت عمتي وتركتني وحيدة، غادرت فراشي وذهبت للاغتسال، هالني كم الكدمات التي تملأ جسدي، تفنن «يامن» في إيذائي هذه المرة، كان يثأر لنفسه بكل ما أوتي من قوة، انتهيت من حمامي وعدت إلى غرفتي، لا أعرف ماذا سأرتدي للقاء «يامن»، لا أرغب في ارتداء الزي الذي فرضه عليّ، سيعتقد أني ما زلت أطيعه وأخاف منه.

وقفت حائرة أمام خزانة ثيابي لم أجد سوى ثياب النوم والثياب التي أجبرني عليها «يامن»، بعد أن تخلص من كل ثيابي التي كنت أرتديها قبل معرفتي السوداء به.

أخيرًا وجدت عباءة باللون الأبيض، كان «يامن» قد أحضرها لي لأستقبل والديه بها، بعد أن ملأ خزانة ثيابي وحياتي باللون الأسود.

ارتديتها وبدت مناسبة تمامًا لهذا الظرف السعيد، انفصال «شمشون الجبار» عن «حور»، شخصية شمشون تليق بـ«يامن» جدًا، بعقليته المتطرفة في كل شيء في الحب والكراهية، في القسوة والحنان، حتى في الالتزام والانفلات، من تعاطي المخدرات وكؤوس الخمور إلى القوامة السوداء التي فرضها على رأسي.

كنت غبية أسير خلف ما يقوله مغمضة العينين دون حيلة، مع «يامن» لا يوجد سوى طريق واحد إما أن أرضى بما يقوله أو أنفصل عنه.

أفقت متأخرة بعد رحيل جدي وبعد أن أدمنته، بعدما كنت أنفر منه ولا أطيقه، أدمنت وجوده وسيطرته، كان يملأ حياتي الخاوية، كان جدي يتركني وحيدة طوال النهار ولا يعود إلا في المساء.

ولم أجد من أتحدث معه سوى «يامن» ظل يلاحقني حتى اعتدت وجوده وسقطت فيه، لم أقو على التعايش مع تطرفه ولم أطق هجره.

جاء الخلاص بعد أن رفعت رايتي البيضاء وأذيت نفسي لأجله، ما الفائدة وقد دمر كل شيء؟

«حور».. وصل نداء عمتي من الطابق الأسفل وصعدت بعدها:

- «حور» استعدي يا بنيتي المأذون حضر ومعه «يامن» وعائلته.

- حسنًا، اذهبي يا عمتي إليهم، سألحق بك.

- أتحتاجين مساعدة.

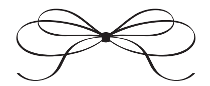
- لا، شكرًا يا عمتي.

وقفت أمام المرآة حائرة كيف أخبئ كدمات وجهي وآثار لطمة «يامن» المطبوعة على وجنتي، أسدلت شعري على وجهي وحاولت أن أداري ما يمكن مداراته، لا داعي أن يرى العالم كله ذلي وضعفي.

نزلت إلى الطابق الأسفل، استقبلتني عائلة «يامن» بالأسف بعد أن ظهرت تصرفات ابنهم واضحة، ولم يرفع «يامن» عينيه عني، راح يتطلع نحوي بتوعد، انتهت إجراءات المأذون ونلت لقب مطلقة دون أن أصبح زوجة، تسلل «يامن» إلى جواري وتوعدني بالانتقام والتأديب وانصرف الجميع بعدها.

الآن أصبحت حرة بعد ثلاثة أعوام من الاستعمار، خرجت من تحت يد «يامن» محطمة كمدينة مدمرة هجرها الفرح إلى الأبد، غادرني شعور الثقة في النفس وفي الآخرين، لكن لا بأس سأعيد بناء ما دمره «يامن».

نعم ما إن أستلم نصيبي من ميراث جدي سأهاجر إلى الخارج وأبدأ في مكان جديد، لا مفر من مواجهة الوحدة.



(الـــرفـــض)

- «يـــــاسمي» هل استيقظتِ؟

أفقت من ذكرياتي على وجود عمتي بالغرفة:

- نعم يا «روفي».

- ما الذي أيقظك، ما زال الوقت مبكرًا؟

- حلم مزعج يا عمتي.

- استعيذي بالله «ياسمي» واقرأي المعوذات ونامي، هيا.. غدًا يوم طويل ولدينا اجتماع مجلس إدارة هام.

- لن أقوى على البقاء دقيقة بعد العمل يا «روفي».

- هذا اجتماع خاص بنظام سير العمل هذا العام ويجب عليك الحضور يا «ياسمي»، أنت عضو أساسي في المؤسسة.

قالتها عمتي بحزم وغادرت الغرفة.

أعلم أن عمتي غير راضية عن غيابي من اجتماعات مجلس الإدارة، لكن أكره البقاء وسط هؤلاء الأشخاص في غرفة واحدة، نظراتهم وتهكمهم الدائم على أسلوبي في العمل يتلف أعصابي، في كل اجتماع تأكلني أعينهم

المتفحصة وكأنّي كائن هبط من الفضاء، كل هذا بسبب صغر سني وهيئتي التي تجعلني أبدو أصغر من عمري.

للّه الأمر، سأحضر لأجل «روفي» فقط.

عدت إلى دفتري..

نادتني عمتي كانت تجلس في الحديقة.

- «حور» هل قررتِ ترك الحجاب؟

- نعم يا عمتي.

- لماذا يا «حور» هل كنت تضعينه لأجل «يامن» أم من أجل اللّه... أنا لا أطلب منك العودة إلى تغطية وجهك، لكن الحجاب فرض على المسلمة.

- ليس الآن يا عمتي هناك الكثير من أمور ديني لا أعرفها أريد البحث عنها أولًا، سأسيء إلى الحجاب لو ارتديته الآن وسأصبح منافقة.

- دعي عن رأسك الهراء الذي أقنعك به هذا المخبول يا «حور»، أفعاله ليست من الدين في شيء ولا أدري كيف تركتيه يسيطر عليكِ بهذا الشكل.

- وهل كان لدي حل آخر! «يامن» كان يهوى فرض سيطرته وأنا قاومته كثيرًا.

- لا يا «حور» أنت تركتِ له نفسك يفعل بك ما يشاء، خضوعك جعله يصل إلى هذه الدرجة من السادية معك.

- أنا لست السبب في هذا، أنتم ألقيتم بي إلى «يامن»، تخلى عني الجميع وألقيتم بي لأول عابر.

– من تقصدين بأنتم هذه يا «حور»؟

– وفاة والدتي، رفض والدي، وتخليك عني، ورحيل جدي وجدتي.

– الموت قدر يا «حور» وسنة الحياة أنا أيضًا تألمت لفراق والديّ، وأصيب والدك بصدمة من فقدان والدتك أفقدته السيطرة على نفسه.

– نعم أصبح الآن هو الضحية وصرت أنا المذنبة.

– لا يا «حور» لم أقل هذا اسمعيني يا ابنتي.

– لا من فضلك يا عمتي دعيني أتكلم حافظت على كتماني طويلًا، لكن فاض بي الكيل، والدي لفظني منذ طفولتي وهو سبب تدميري.

بعدما رفض وجودي معه ورمي بي إلى جدي، كنت أسأل كل يوم عن والدتي فيخبروني أنها في السماء، أسأل عن والدي فيخبروني أنه سافر، وأتساءل لمَ لم يصحبني معه فلا أجد جوابًا.

كنت أراقب الأطفال مع آبائهم فأتمنى أن يصبح لدي أب مثلهم، حاول جدي سد غياب والدي لكن لم يستطع بسبب عمله ومسؤولياته، تعايشت مع غياب والدي بشكل جيد، حتى عاد من الخارج ودمر حياتي واختفى بعدها.

قاطعتني عمتي مدافعة عما فعله أخوها:

– هذا حدث بالماضي، انسي ما حدث يا «حور»، والدك الآن يقبع بين الحياة والموت.

– ما حدث في الماضي دمرني، تخيلي كيف يمكن أن يتحول حرف «راء» يتيم إلى لعنة في حياتك لمجرد أنه يخرج من على طرف لسانك حرف «لام».

والدي كان يستلذ بسؤالي عن اسمي فأجيبه ببراءة اسمي «حول» فيسخر مني، وكان يجعل «كريم» ينفر مني ويدّعي أمامه أني قاتلة أتخفى في هيئة طفلة، وأني شؤم وقتلت زوجته.

كان ينظر لي باشمئزاز كلما حاولت الاقتراب منه، ويجذبني من طرف ثيابي ويلقي بي بعيدًا عنه، في حين أنه راح يلهو ويلعب مع «كريم»، كنت أراقب في صمت وقلبي يتمزق، أنا ما زلت أذكر موضع طعناتك أنت وأبي.

راحت تستمع إليّ مشدوهة مما تحويه ذاكرتي الطفولية.

- حسنًا يا «حور» نحن بشر نخطئ كثيرًا ولا يوجد إنسان كامل.

- حسنًا أنا لم أخطئ في حق والدي أو حقك، قضيت فترة طويلة وأنا أبكي على غيابك، لم تكلفي خاطرك بتوضيح سبب هجرك لي، جعلتيني أخاف الاقتراب من الآخرين خشية أن يتركوني ويرحلوا مثلما فعلت.

هل جربت معنى أن تكوني وحيدة ومنعزلة باختيارك نتيجة الخوف من الهجر، كنت أتمنى أن يصبح لدي أصدقاء أخرج معهم وأقضي وقتي بينهم.

كنت أراقب زملائي في المدرسة يتحدثون ويضحكون معًا، وكلما حاولت الاقتراب منهم نفروا مني وسخروا من بشاعتي وتلعثمي، كنت أجلس وحيدة في الصف الأخير منبوذة من الجميع.

اصطنعت أصدقاء وهميين ورحت أحدثهم وأشاركهم فطوري حتى موعد عودتي من المدرسة.

لم أجد مخلوقًا يتحدث معي أو يهتم بي سوى المربية، كانت تساعدني على تبديل ثيابي وتقدم لي الطعام وتضعني أمام التلفاز أو أمام كتبي المدرسية وتتركني وتمضي، أنت لفظتيني بعدما اعتدت وجودك

أعماني شعور المرارة وتحدثت بغضب، حاولت عمتي تهدئتي دون جدوى، وفي النهاية اضطرت للاستماع لحديثي القاسي.

- صدقيني يا «حور» لم أقصد يا ابنتي، الجميع أخبرني أنك صغيرة السن ولن يؤثر غيابي عليك، أنا لو أعلم أن زواجي أو تركي لك سيؤذيك ما كنت أقدمت عليه.

- أنا لا أتحدث عن زواجك يا عمتي أعلم أن هذا حقك، أنا أتحدث عن شعور التخلي الذي أهديتِني إياه، أن يتقرب منك إنسان ويحيطك برعايته واهتمامه فتعتادين على وجوده ويتركك بعدها ويرحل دون توضيح السبب.

أنت لم تكلفي نفسك عناء شرح الأمر، تركتِني أخمن الأسباب، وحتى عندما شب طوقي لم تحاولي التقرب مني ومعرفة سبب رفضي لك.

- نعم أعترف أني استسلمت لإصرارك على تجنبي ولم أحاول التقرب منك، لم يخطر ببالي أن هناك سببًا يجعلك ترفضين الحديث معي سوى أنك شخصية انطوائية، يا «حور» ما رأيك أن نبدأ معًا صفحة جديدة؟

سكتّ.. أرغب أن أسامحها وأن نبدأ من جديد، لكن أخشى أن تتخلى عني، لن أتحمل تجربة التخلي مرة ثانية.

- لن أسيء إليك يا «حور»، سأصلح ما حدث بيننا في الماضي، أعدك بهذا يا ابنتي.

- حسنًا، لكن أنا تغيرت عن الماضي، ربما تجدين صعوبة في التعامل معي.

نهضت عمتي وجلست إلى جواري وهي تربت على يدي قائلة:

- لا تقلقي يا «حور» سأعرف كيف أعيد العلاقة بيننا، لن أتخلى عنك هذه المرة حتى لو واجهت صعوبة في التفاهم معك، ساعديني وسنصل إلى حل.. ما رأيك؟

- حسنًا موافقة.

- جيد، عندما أعود من السفر ستأتين للإقامة معي، دعينا نترك هذا المكان بذكرياته السيئة، اتفقنا يا «حور»؟

- حسنًا، اتفقنا.

- هناك ملف في المكتب فيه بيان بميراثك من جدك مع رقم حساب باسمك في البنك وضعت فيه نصيبك، وبطاقة بنكية، ترك جدك وديعة مالية من أجل دراستك، أرباح المؤسسة السنوية ستصل إلى رصيدك كل عام.

- شكرًا لك يا عمتي، متى أنجزتِ كل هذا؟!

- في الأيام الماضية يا «حور»، هذا ما شغلني عنك.

- «يـــــــاسمــــــي» أما زلت مستيقظة؟

كان هذا صوت عمتي يصدح من الخارج، لا أعرف من أين جاءت بهذه الحنجرة الصاخبة.

خرجت لعمتي: صباح الخير«روفي».

- صباح الخير يا ابنة أخي العزيزة.

قالتها بسخرية، أدركت حينها أنها ناقمة عليّ، سألتها:

- ماذا حدث يا «روفي»؟

- لا شيء «ياسمي»، أنا من يتساءل عن سبب كراهيتك لنفسك، لمَ تحرمينها من الراحة والنوم ومن الطعام، لمَ تصرين على عزلها عن العالم.. لمَ كل هذا؟

- سأخبرك وللمرة الأخيرة يا «روفي»:

أنا أنام جيدًا وأحافظ على تناول الطعام لكن على قدر ما يحتاجه جسدي، نحن نتناول الطعام كي نعيش وليس العكس، أنا لا أرهق نفسي أنا أعرف قدر طاقتي ومقدار احتمالي، وقريبًا سأثبت لك هذا.

انطلقت بعدها غاضبة نحو الحمام ولم أترك لها فرصة الرد، أنهيت وقوفي تحت صنبور المياه البارد سريعًا، ولم أعبأ بتجفيف شعري عن قصدٍ وعناد، خرجت واتجهت إلى المطبخ أعددت كوبًا كبيرًا من القهوة.

ووقفت عمتي تراقب عنادي معها وتصرفاتي الطفولية دون تعليق.

اتجهت إلى غرفتي وبدأت أستعد للعمل، وضعت أوراقي والحاسوب داخل حقيبتي، أخرجت بعدها فستانًا قصيرًا باللون القرمزي المصنوع من خامة الحرير ومطرز بالدانتيل، طويته داخل حقيبة حفظ الثياب، وأحضرت حذاءً أسود مرتفعًا عن الأرض.

اليوم يوم المواجهة، وليكن لعمتي ما أرادت، سأحضر الاجتماع بأفضل ما لدي، ولن أسمح لن أسمح لأي مخلوق أن يسخر مني.

ارتديت ثيابًا رياضية، وأحضرت زجاجة عطر مميزة أحتفظ بها للمناسبات، وانطلقت إلى صالة الرياضة.

أمضيت قرابة الساعة والنصف في تمارين تعتمد على الثبات والتركيز، أقف على يد واحدة وجسدي ممتد للأعلى، وتارة أتعمد القفز ما بين حلقات

حديدية معلقة بالقرب من سقف الصالة تاركة جسدي يطير في الهواء بين الحلقات المتباعدة.

كنت أعمل على استعادة تركيزي من خلال هذه التمارين، أردت أن أثبت لنفسي أني ما زلت تلك الفتاة التي منحوها لقب المعجزة في لندن وكتبت عنها المجلات.

أبدلت ثيابي ودلفت إلى سيارتي واتجهت إلى العمل، وأنا أتحدث إلى نفسي:

- لا داعي للقلق سنفاجئهم، آن الأوان لظهور المارد الكامن المكبوت بداخلك، أيام وسنسرق إعجابهم ونحوز على دهشتهم، فقط اصبري.

وصلت أمام مدخل المؤسسة أخيرًا، لم أقو على ضبط موضع إيقاف السيارة، تركتها في وسط الطريق، ودلفت إلى البناية وأنا أسير بحذر داخل حذائي المرتفع خوفًا من الانزلاق.

وصلت إلى المكتب والتقيت «يوسف» قادمًا من المصعد.

- صباح الخير. (بادرته بتحية الصباح بحماس).

- صباح الخير. (قالها بعبوس).

دلفت إلى المكتب ولم أعلق، طلبت البوفية وسألته:

- ماذا تود أن تشرب؟

- قهوة مخفوقة من فضلك.

قمت بطلب كوبين من القهوة المخفوقة وتناولت حاسوبي النقال وباشرت العمل.

- لقد انتهيت من ترتيب هذه الملفات وبإمكانك مراجعتها والاطلاع عليها يا دكتور، أثناء إجرائي عدة مقابلات للوظيفة الشاغرة، وسنواصل متابعة باقي الحالات فيما بعد.

- حسنًا «أ/ ياسمي»، بإمكاني استكمال عملي بالخارج إن أردت.

- لا داعي لذلك سأنتقل إلى طاولة العمل، علينا الانتهاء سريعًا فلدينا اجتماع هام في نهاية اليوم.

أجريت اتصالًا بمكتب الاستقبال وطلبت إرسال الأشخاص المتقدمين لشغل وظيفة ملقن اللغة الإنجليزية، أمضيت ساعتين في مقابلات عمل لا جدوى منها سوى إضاعة المزيد من وقتي، عدت إلى مكتبي.

كان «يوسف» مندمجًا مع الملفات، سألته:

- هل انتهيت يا «د/ يوسف» من مراجعة الحالات التي معك؟

- ليس بعد لكني أوشكت على الانتهاء.

- حسنًا.

أجريت اتصالًا بمدام «نيفين» والدة «جنى».

- صباح الخير مدام «نيفين» معك «أ/ ياسمي» من مؤسسة «المستقبل».

- أهلًا وسهلًا «أ/ ياسمي».

- أهلًا بك مدام «نيفين»، أرجو أن لا أكون أزعجتك باتصالي.

- لا، تمامًا يا أستاذة، تفضلي.

- حسنًا، أود تحديد موعدٍ مناسب معك للاتفاق على تنظيم الحفل.

– حسنًا «أ/ ياسمي» حددي موعدًا يناسبك.

– هل يناسبك غدًا في الساعة العاشرة؟

– اتفقنا.

أنهيت المكالمة وجاءني اتصال من مكتب «د/ محمد» يطلب لقائي أنا و«د/ يوسف».

– «د/ يوسف» لدينا اجتماع الآن مع «د/ محمد».

وضع الحاسوب النقال على المكتب ونهض في كسل.

– حسنًا، هيا بنا.

انتظرت أن يسبقني إلى الخارج، لكنّه ظلّ واقفًا بانتظاري، اتجهت إلى أسفل المكتب تناولت حذائي وارتديته وسط دهشة «يوسف»، واتجهت للخارج.

تعمد السير أمامي باتجاه الطابق العلوي، لاحظت فارق الطول بيننا رغم ارتدائي حذاءً مرتفعًا.

وصلنا لمكتب «د/ محمد».

– أهلًا، أهلًا بالشباب، تفضلا.

– شكرًا لك «د/ محمد». (قالها «يوسف» وهو يلتقط أنفاسه من صعود الدرج سريعًا).

– هل أرغمتك «ياسمي» على صعود الدرج.

ابتسم «يوسف» ووجه «د/ محمد» حديثه لي:

– حسنًا «ياسمي»، ماذا فعلت بخصوص تعيين ملقن للغة الإنجليزية؟

- لا شيء، أجريت مقابلات مع المتقدمين اليوم وأمس ولم أجد من يصلح.

بدأ صوته يعلو وهو يقول في انفعال:

- كيف هذا «ياسمي» أسبوع كامل ونحن في هذا الوضع.

قلت بنفاد صبر وقد ساءني انفعاله عليّ أمام «د/ يوسف»:

- حسنًا وماذا لدي لأفعله «د/ محمد»، أغرقت الصفحات الإلكترونية والمجلات بإعلان عن الوظيفة، واقتطعت ساعات من يومي في مقابلات غير مجدية.

- إما أن تجدي من يقوم بهذه الوظيفة قبل نهاية الأسبوع أو أن تقومي بها أنت يا «ياسمي» حتى نخفف من ضغط العمل على المحاضرين الموجودين.

قلت في استنكار:

- أقوم بها أنا! وماذا عن عملي من سيقوم به يا «د/ محمد»؟ ألا يكفي أنني أعمل ما يزيد عن اثنتي عشرة ساعة أقضي نصفها بين وظيفة إدارة شؤون العاملين والطلاب وذويهم والنصف الآخر في تطوير الموقع الإلكتروني والألعاب الخاصة بالمؤسسة.

- انتهى الحديث يا «ياسمي»، تدبري الأمر بمعرفتك. ماذا فعلت في مسألة تنظيم الحفل؟

- تحدثت إلى مدام «نيفين» وسنلتقي غدًا.

تكلم «د/ محمد» موجهًا حديثه إلى «يوسف»:

- أرجو ألا تصيبك عادات «ياسمي» الغريبة بالعدوى، حتمًا العمل بالقرب منها يثير الجنون، أعانك الله يا «يوسف».

تشاغلت بفك سوار حذائي عن قدمي بعد أن بدأت تئن، وأجابه «يوسف» في إخلاص دون يرفع عينيه نحوي:

- على العكس، العمل مع «أ/ ياسمي» مريح للغاية، ويذكّرني بدقة سير العمل في لندن.

ابتسمت في زهو من هذا المدح غير المقصود.

- حسنًا، جيد جدًا يا «يوسف»، واسمح لي أن أرفع الألقاب.

- نعم طبعًا يا «د/ محمد».

أكمل «د/ محمد» حديثه باقتراح أن نقوم أنا و«يوسف» بإلغاء التعامل الرسمي بيننا.

صحت من فوري: لا. (زوال الكلفة يزيد الألفة).

فوجئت بصوت «يوسف» يرددها معي، التقت أنظارنا في دهشة.

رمقنا دكتور «محمد» بتفحص ووجه حديثه إلى «يوسف»:

- أرى أن «ياسمي» لن تبذل مجهودًا في فرض قوانينها عليك يا «يوسف». الآن دعونا نبدأ الحديث حول العمل، تفحصت ملفك العملي يا «يوسف» وتأكدت أنك جدير برئاسة قسم التأهيل النفسي.

- شكرًا يا «د/ محمد» على هذه الثقة، أتمنى أن أكون عند حسن ظنك.

- إن شاء الله، تستطيع أن تشرك «ياسمي» في عملك وتستفيد من معرفتها بالحالات الموجودة بالمؤسسة.

- حسنًا بالتأكيد يا «د/ محمد»، يسعدني الاستفادة من خبرة الأستاذة عند تفرغها.

- لا تهتم بتذمرات «ياسمي»، هي تعشق العمل ولديها طاقة لا تنتهي.

- حسنًا يا دكتور.

- إذًا أترككما الآن تواصلان العمل، «د/ يوسف» مكتبي مفتوح لك دائمًا، وسأنتظرك بالاجتماع.

- حسنًا بإذن الله سأحضر طبعًا.

عدنا إلى المكتب.

- هل ترغب في شرب القهوة يا دكتور.

- نعم رجاءً.

قمت بطلب القهوة وبعدها أدرت موسيقى لفرقة ثلاثي جبران التي اعتدت سماعها لمواجهة ضغط العمل.

رفع «يوسف» رأسه نحوي مستنكرًا وعاد سريعًا إلى حاسوبه دون تعليق.

كانت ألعاب الذكاء الموجودة على صفحة المؤسسة تحتاج إلى تطوير بجانب تطوير الموقع الإلكتروني الخاص بنا، انهمكت في العمل.

أفقنا على قرع الباب.

- تفضل.

- جئت لأشكرك على مساعدتك يوم أمس.

- لا شكر بين الأصدقاء يا «ساندي»، أليس كذلك؟

- نعم بالتأكيد، أنتِ الصديقة الوحيدة التي أثق بها يا «ياسمي».

دارت من خلف المكتب واقتربت حيث أجلس، أخرجت من حقيبتها علبة شوكولاتة مختلفة النكهات وناولتني إياها.

- ما هذا يا «ساندي»؟ هذا ليس عيد الصداقة.

- نعم لكن الهدايا لا يلزمها وجود مناسبات، أليست هذه قوانينك «ياسمي».

- اها، نعم.

- تقبّلي هديتي إذًا حتى أنصرف قبل أن يتركني الباص.

نهضت وأنا أضمها نحوي في محبة صادقة.

غادرت «ساندي» المكتب، فيما ظل «يوسف» يرمق الفراغ أمامه وهو شارد الذهن

بادرني:

- «ساندي» تعاني الخوف من الرفض، أليس كذلك؟

- نعم، هل استطعت تكوين فكرة بخصوص حالتها يا دكتور؟

- نعم، خوف من الرفض إلى جانب اضطراب الشخصية الأحادية، مع عدم استقرار حالتها المزاجية.

- وصفك لحالتها دقيق جدًا رغم أنك لم تطّلع على تقارير ملفها الطبي.

- نعم اكتسبت هذا من ملاحظتي لها، لديها عدة أعراض واضحة (اضطرابات أسرية وافتقاد الاهتمام من جانب الأهل والانتقاد والسخرية الدائمة إلخ....) أليس كذلك؟

- نعم بالفعل يا دكتور.

- هل واجهت أي نوع من العنف أو خطر الاعتداء؟

- نعم لديها ابن عم يدعى «جاسر»، دائم التعرض لها، وهو أيضًا مريض لدينا.

- ما هو وضعه النفسي.

- شخصية نرجسية تميل للسيطرة ويأبى الاعتراف بحالته، ويرفض الاستمرار في البرناج التأهيلي.

- حسنًا أخبريني إلى أي مدى تطورت حالة «ساندي».

- تعاطي مخدرات، محاولة الانتحار، تعمّد إيذاء النفس، تقمّص شخصيات وهمية عبر مواقع التواصل وإيقاع الأذى بغيرها، هذا اختصار لحالتها، التفاصيل في الملف مستفيضة.

- هل حققت أي تقدم مع برنامج العلاج؟

- نعم توقفت عن التعاطي منذ ثلاثة أشهر، ونوبات إيذاء النفس انخفضت.

- جيد، أرى أنك حققتِ تقدمًا كبيرًا في حالتها يا أستاذة.

- نعم حالة «ساندي» يسهل التعامل معها عن حالة «جاسر».

- سأباشر متابعة «جاسر»، وواصلي متابعة البرنامج العلاجي مع «ساندي»، وأنا معك لو احتجتِ للمساعدة.

- اتفقنا إذًا.

وعاد كل منا إلى حاسوبه، وعندما حان موعد الاجتماع اتجهنا إلى قاعة الاجتماعات ودار بيننا حديث حول أعضاء مجلس الإدارة:

- هناك مسألة أود لفت انتباهك إليها يا «د/ يوسف».

- حسنًا تفضلي.

- ستبدأ الآن معركة شرسة مع باقي أعضاء مجلس الإدارة، لأن الجميع يرى أني غير كفء لتولي هذه المسؤولية نظرًا إلى صغر سني.

كان «يوسف «يستمع إلى كلماتي في استنكار.

أكملت الحديث: ستواجه أيضًا نفس الأمر، بما أنك شاب صغير السن من وجهة نظرهم ولم تتدرج في السلم الوظيفي قبل حصولك على هذا المنصب.

- حسنًا، أفهم من ذلك أننا سنقدم استقالتينا اليوم.

- لا، الأمر لن يصل إلى هذه الدرجة، أنا عضو مجلس إدارة ولدي أسهم تمنع اتخاذ مثل هذا القرار ضدي، إلى جانب دعم عمتي و«د/ محمد».

أطال النظر نحوي في استغراب لكن دون تعليق.

تابعت الحديث:

- لكن أعدك سيتعمد الجميع التقليل من شأننا، الإيذاء النفسي هو سلاحهم الوحيد، لذا أردت لفت انتباهك لا تدعهم ينالون منك، أو يضطرونك إلى الاستقالة.

- لو أنك في مثل وضعي هذا هل ستلجئين للاستقالة؟

- بالطبع لا، سأثبت جدارتي.

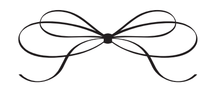
– وأنا سأفعل مثلك، هيا بنا استعدي للمعركة.

قالها في حماس، وبدأ الاجتماع، ثلاث ساعات من الهجوم المتواصل، لم يتخلّ «يوسف» عني، ودافع عن الأفكار التي طرحتها بخصوص تنظيم الحفل والميزانية، كما لو كانت أفكاره، نجحنا في الحصول على موافقة الأعضاء بشأن أسلوب إدارة الحفل السنوي ووضع خطة الميزانية.

أنهيت الاجتماع والصداع يغزو رأسي، غادرنا غرفة الاجتماع، ودعت «يوسف» واتجهت إلى المنزل.

عدت إلى غرفتي وأنا أجر ساقي إلى الفراش بصعوبة، منذ الصباح لم تواتِني فرصة تناول الفطور، وكل أكواب القهوة التي تجرعتها انقلبت إلى حريق داخل أمعائي الملتهبة.

أعلم أني على شفا استئصال أمعائي نتيجة قرحة المعدة.



(الحـــاجـــز)

وصلت إلى فراشي منهكة القوى، تجاهلت تبديل ثيابي وذهبت في نومٍ عميق.

ساعات قليلة واستيقظت فزعة على صوت شاب يناديني في المنام (حـــور، حـــور).

اتجهت إلى غرفتي، تناولت منشفتي وذهبت إلى الحمام، ملأت المسبح بالمياه الدافئة واستلقيت داخله، أحتاج إلى الاسترخاء بعد ضغط طويل في العمل والتمرين إلى جانب عودتي للتفتيش في الماضي.

عدت إلى مرحلة ما قبل الحادث، بدأت علاقتي بعمتي تتحسن قبل سفرها إلى والدي.

خطر على بالي أن زواجي من «زياد» يصلح كبداية جديدة، ويكفي أن بيننا اهتمامات مشتركة وأنه شاب خلوق وطموح وسيكون إلى جواري أثناء سفري للدراسة في الخارج.

أحضرت حاسوبي النقال ودخلت إلى موقع التواصل الاجتماعي ومن حسن الحظ وجدت رسالة من «زياد».

- لا أدري كيف أثبت لك أن ما يهمني هو جمال الخلق والروح، أما الشكل فهو من عند الله، والله سبحانه لم يخلق شيئًا قبيحًا، الجمال أمر نسبي لا تشغلي بالك به، أنا راضٍ بما قسمه الله لي، ويكفيني حسن خلقك ونضج عقلك.

قرأت رسالة «زياد» وأرسلت إليه:

- السلام عليكم، لقد فكرت بأمر الزواج يا «زياد»، وقررت أن أمنح نفسي فرصة للتعارف عليك، لكن في البداية هناك بعض الأمور التي يجب أن تعرفها عني.

أرسلت إليه بياناتي الشخصية، وأخبرته بمسألة فسخ زواجي.

مضت ساعة قبل أن تصل رسالة جديدة من «زياد».

- وعليكم السلام يا «حور»، يا صاحبة أرق اسم سمعته، لا يمكنني أن أصف لك سعادتي بموافقتك، الزواج والخطبة أمور قدرية لا دخل لنا فيها، ولا تشكل فارقًا بالنسبة إليّ، ويكفي أنك صارحتيني بالأمر.

تأخرت في الرد.

- أين أنتِ يا «حور»؟

- معك.

- حسنًا، سأرسل إليك صورتي الشخصية الآن.

كان شابًا مقبول الشكل، لم يكن في وسامة «يامن» وأراحني هذا الأمر، لكن هل سيرضى بي بعد أن يرى صورتي، يا الله أعني، أنت تعلم أني لم أرد سوى الحلال.

- أثق يا «حور» أنك جميلة مثل اسمك، وأتمنى أن لا تمانعي في إرسال صورتك الشخصية، فأنا مشتاق لرؤيتك، وأعدك سأكون عند حسن ظنك.

- حسنًا أمهلني دقائق فقط.

- تفضلي يا «حور».

بحثت عن صورة أبدو فيها حسنة الشكل وأرسلتها إليه.

تأخر رد «زياد» وأغلق المحادثة بعدها!

ثلاثة أيامٍ قضيتها وأنا أنتظر موافقة «زياد» على الارتباط بي.

في اليوم الرابع وصلتني رسالة من «زياد».

- السلام عليكم يا «حور»، أنا محرج منك للغاية وفي شدة الأسف لما سأخبرك به الآن، أخبرت عائلتي بالأمر ورفضوا زواجي من خارج العائلة، أعتذر منك وأرجو أن يوفقك الله مع من يستحقك.

فقدت القدرة على التفكير، ولم أعاود الرد عليه.

أفقت من شرودي الطويل على أثر برودة المياه، نهضت وجففت شعري وارتديت منامة مريحة، خرجت من الحمام وعدت إلى غرفتي، وأنا أتذكر شعوري بعد رفض «زياد» الزواج مني.

أنا غبية لم أكد أفيق من معاناتي مع «يامن» حتى ألقيت بنفسي في كذبة جديدة، ما أدراني أن «زياد» صادق فيما قاله عن نفسه، ما أدراني أنه جاد في مسألة الزواج، مخبولة أرسلت صورتي الشخصية وبياناتي الخاصة إلى شاب لا أعرفه، هل أبحث عن خيبة أمل جديدة أقضي بها وقت فراغي أم ماذا!

كيف تقضي وقت فراغك؟ أقضيه في التجوال بين خيباتي، أخرج من خيبة أدلف إلى خيبة جديدة!

لمَ أصر على إيذاء نفسي بهذا الشكل؟! هل ما أخبرني به الطبيب عن عارض جلب الإيذاء إلى نفسي حقيقي.

لم أتذكر تناول الطعام ونسيت علاجي فأصابني الإعياء من جديد، بدأت الأرض تميد بي، تركت حاسوبي وناديت على الدادة «أم فاروق» لتحضر دوائي، لكن لم يصلني ردها.

خرجت من غرفتي وأنا ألتمس الطريق إلى المطبخ في إعياء ووهن، بحثت عن أقراص الدواء وتناولت علبة عصير وجلست أستريح، عاودتني نوبات الهذيان ولم أقو على الجلوس فحملت حالي وعدت إلى غرفتي.

كان «يامن» في انتظاري داخل الغرفة، وما إن أبصرني حتى جذبني من شعري وطوق عنقي بقسوة ومنع وصول الهواء إليّ، أفلتّ من بين يديه بأعجوبة لكنه حاصرني من جديد، وقف أمامي وعيناه تتوعداني بالشر، رحت أتراجع حتى التصقت بالنافذة ولم أدر ماذا أفعل، صاح بي:

- كيف تجرأت على خيانتي يا «حور»، كيف تخليت عني بهذه السرعة، منذ متى وأنت تتحدثين مع الشباب، منذ متى وأنت تخدعيني، كنت على استعداد لأغفر لك مافعلتِه بي طوال الفترة الماضية، لكن الخيانة لن أغفرها يا «حور».

وعاود الاقتراب مني ببطء مخيف، التصق صوتي في حلقي من الهلع وامتدت يده نحو عنقي، فرفعت جسدي إلى النافذة وقفزت، سقطت إلى الحديقة وأنا أقف على ساقي اليمنى وسمعت صوت تهشم عظامي وانتابني ألم لا يطاق، غبت عن الوعي من شدة الوجع.

أفقت في المشفى والأربطة تلتف حول ساقي، والكدمات تملأ وجهي، وشعرت بألم فظيع، تمتمت الممرضة بعطف: حمدًا لله على سلامتك يا آنسة. وناولتني أقراص الدواء وكوب ماء وتركتني لتحضر الطبيب، دخل «كريم» ومعه الطبيب.

قام الطبيب بقياس مستوى ضغط الدم والسكر في جسدي، وتابع مؤشرات جهاز التنفس وهنأني على سلامتي، سألته ماذا حدث، وماهي إصابتي؟

أجابني: استريحي الآن، سأمر عليك في الصباح وأشرح لك الأمر، وأوصى «كريم» بضرورة التزام الهدوء، وغادر.

جذب «كريم» مقعدًا وجلس جوار فراشي، نبرة صوته الحزينة تؤكد أن الأمر ليس بالهين، أدرت رأسي نحوه، تذكرت حديث عمتي عنه، واهتمامه بي في طفولتي ومراهقتي، يا الله.. كيف قسوت عليه طوال هذه المدة.

أخيرًا تحدث «كريم»: حمدًا لله على سلامتك يا «حور».

أجبته: سلمك الله.

وسألته:

- ماذا حدث يا «كريم»؟

- هاتفتني الدادة وأخبرتني أنها وجدتك ملقاة على الأرض وقدمك تنزف بغزارة، ولم تعرف ماذا تفعل فاتصلت بي. طلبت الإسعاف وأنا بطريقي إليك.

سألني:

- لمَ قفزت من النافذة يا «حور»، أخبريني بالله عليك؟

- «كريم» أنا لم أجد مهربًا من «يامن» سوى القفز من النافذة، لقد كان يحاول خنقي وهددني بالموت.

- «حور»، اهدأي وأخبريني ماذا حدث؟

- ذهبت لإحضار الدواء وعند عودتي لغرفتي وجدت «يامن» في انتظاري، وقام بتفتيش حاسوبي النقال وصفحتي الشخصية، جنّ جنونه لأني تركته وفسخت عقد القران، أغلق باب الغرفة وحاول قتلي.

انتحبت وأنا أحاول كبح عبراتي بعد أن تذكرت ما فعله بي «يامن» وهلعي منه.

- لا عليكِ يا «حور».

قاطع حديثنا رنين هاتف «كريم»، كانت عمتي تسأل عني، أخبرها أني أفقت.

اقترب «كريم» من أذني هامسًا:

- «حور» أنا لم أخبر الخالة «روفان» سوى أنك مصابة بكسرٍ بسيط في الساق.

وناولني الهاتف، جاءني صوت عمتي القلق:

- «حور» ماذا حدث يا بنيتي؟ هل أنت بخير؟

نادتني بصوتها الملهوف، أجبتها:

- نعم ياعمتي اطمئني، أنا بخير مجرد كسر بسيط.

قاطعتني في قلق:

- ماذا حدث يا «حور»؟

أجبتها: لا شيء، سقطت من على درج الفيلا وكسرت ساقي، اطمئني أنا بخير.

هتفت: أنا في انتظار قيام رحلة العودة وسأعود إليك.

قاطعتها: لا تتركي والدي وحيدًا يا عمتي أنا بخير و«كريم» يرعاني.

أعدت الهاتف إلى «كريم»، شعرت بالألم يعاودني..

أخذ «كريم» الهاتف وتابع حديثه مع عمتي خارج الغرفة.

عادت الممرضة وهي تحمل أقراص المهدئ، ناولتني إياها مع وجبة العشاء.

تناولت أقراص المسكن وانتظرت عودة «كريم».

دخل «كريم» الغرفة وجلس إلى جواري، سألته: كيف علمت عمتي بالأمر؟

- عمتك اتصلت بك كثيرًا على مدار اليوم، واتصلت بي وهي قلقة، وسألتني عنك، اضطررت إلى الكذب عليها، وأخبرتها أنك تعثرت أثناء نزول الدّرج وحدث كسر في ساقك تم تجبيره، وأنك الآن نائمة تحت تأثير المسكن.

جيد ما فعلته يا «كريم»، لا أريد أن أسبب لها قلقًا، يكفيها ما هي فيه.

- «كريم» ماذا حدث بعد ذلك؟

تم نقلك للمشفى وأنت في حالة لا وعي، كانت عظام ساقك ظاهرة ومهشمة، قاموا بإجراء عملية ترميم للساق.

أدار «كريم» ظهره أثناء الحديث معي وبدا عليه التأثر، أصابني حديث «كريم» بالخوف وسألته في فزع:

- هل سأعاود السير مرة أخرى؟ ما مدى إصابتي، هل سأبقى على كرسي متحرك إلى الأبد؟

استدار «كريم» نحوي واقترب مني، ربت على يدي وهمس:

- اطمئني ستعودين إلى المشي بعد إزالة الجبيرة، اهدأي يا «حور».

- هل يمكنك إحضار حاسوبي وشريحة الإنترنت من الفيلا؟

- حسنًا، غدًا سأحضرهما معي.

بدأ مفعول المسكن يعمل وغلبني النعاس، نمت لفترة طويلة من تأثير المهدئ، حضر «كريم» مبكرًا وأحضر طعام الفطور وأصر على أن أتناوله.

زارتني الدادة «أم فاروق» وجلست معي إلى أن حضر «كريم» من الفيلا.

ومرّ بي الطبيب في المساء وقام بفحصي، وشرح لي ما حدث في غرفة العمليات باختصار.

- هل سأعاود السير؟

- نعم، لكن من خلال جهاز دعم وعصا طبية، إصابتك مزمنة.

تملكني الوجوم والهلع.. ورحت أتساءل هل أصبحت عاجزة إلى الأبد؟

تركني «كريم» وذهب لإحضار العشاء.

تناولت حاسوبي النقال ودلفت إلى موقع التواصل الاجتماعي، قرأ «يامن» محادثاتي الشخصية، وأرسل إلى الطبيب رسالة مليئة بالسب والإهانة، واتهمني أنني خائنة وأنانية وأخدعه، وأرسل إلى «زياد» رسالة يمدح فيها قرار عدم زواجه مني.

أرسلت إلى الطبيب رسالة:

- أعتذر عن الإهانة التي لحقت بك من تحت رأسي.

- حمدًا للّه على سلامتك يا «حور»، لا داعي للاعتذار، اتصل بي خطيبك عبر المحادثة الصوتية وأخبرني أن حديثي معك دفعك إلى الانتحار، كنت أدعو اللّه كل ليلة أن تكوني بخير ولم أصدق ما قاله هذا المريض.

انفجرت في النحيب وأنا ألعن «يامن»:

- «حور»! كيف عرفت اسمي؟

ذكره «يامن» أثناء المحادثة الصوتية، لا تسمحي له بالتأثير عليك، واظبي على الصلاة والدعاء واستعيني باللّه.

أجبته ساخرة:

- لقد فقدت ساقي ولن أقوى على السير بعد اليوم، بفضل خطيبي السابق، في الأيام الماضية واظبت على الصلاة، لم أتوقف عن الدعاء لحظة، وجاء الرد على هذا سريعًا، لقد فقدت ساقي إلى الأبد، أصبحت عاجزة، أرأيت كيف أصبحت صلاتي لعنةً تطاردني، أصبحت ملعونةً إلى الأبد، لن يتركني «يامن» إلا جثة هامدة.

عاد «كريم» من الخارج، أغلقت صفحتي الشخصية ووضعت حاسوبي جانبًا.

لم يتركني «كريم» خلال إقامتي في المشفى.

لا أعرف كيف سأوافيه حقه على ما فعله من أجلي، كان يقضي النهار معي ويواسيني ويبيت الليل خارج غرفتي على مقاعد الاستراحة، رفض أن يغادر ويتركني وحيدة.

توفي والدي أثناء إقامتي بالمشفى وتأخرت عمتي في العودة من أجل إنهاء إجراءات الدفن وما يتبعها.

غادرت المشفى وألحيت على «كريم» أن نعود إلى الفيلا.

- «حور» عودتنا إلى الفيلا خطر، لن يتركك «يامن» ومحضر عدم التعرض سيدفعه إلى محاولة الانتقام منك.

- لا تقلق يا «كريم» سأجمع أغراضي الضرورية ونذهب إلى شقة والدي.

- «حور» سنذهب للإقامة داخل فندق حتى تعود عمتك.

- «كريم» لن أذهب إلى فنادق أو أماكن فيها غرباء، سنذهب إلى شقة والدي والدادة «أم فاروق» ستقيم معي حتى عودة عمتي.

عدنا إلى الفيلا وساعدتني الدادة في جمع أغراضي الضرورية، غادرنا الفيلا وذهبنا إلى شقة والدي، واخترت غرفة نوم تقع بجوار باب الشقة، رتبتها «أم فاروق» ووضعت ثيابي في الخزانة.

ذهب «كريم» لشراء مواد غذائية ومشروبات، عاد بعدها واتجه إلى المطبخ، أفرغ الطعام داخل البراد وأعد العشاء، وغادر «كريم» بعد أن انتهينا من تناول الطعام وبقيت معي الدادة، عدت بعدها إلى غرفتي، تناولت أقراص المهدئ وغفوت، واستيقظت على حلمٍ غريب.

رأيت الشاب الذي أراه في منامي دومًا يدلّك ساقي في رفق وهو يهمس: لا تخافي يا «حور» ستشفي وتتعافي، تلاشى شعوري بالوجع، ونهض الشاب وأعانني على الوقوف، عدت إلى المشي بمساعدته، بعدها بدأت الركض والقفز، وظل الشاب يشجعني ويحفزني على المزيد من المشي والعدو.

نهضت يومها مستبشرة بالرؤيا، وفسّرت الدادة الحلم على أني سأتعافى وأعاود السير.

أغلقت دفتري وأنا في حيرة، من أين أبدأ ترميم نفسي، من أين بدأ انهياري، تملك مني الجزع ولم أعد أعرف من أين أبدأ.

اشتقت للصلاة، ساقتني قدماي إلى الوضوء وعدت إلى غرفتي، بحثت عن حجاب يواري رأسي فلم أجد، تسللت إلى غرفة عمتي اختلست حجابها وعدت إلى غرفتي.

وضعت الحجاب على رأسي ووقفت أصلي، كان جسدي ينحني يسجد ويركع، لكن ظل قلبي جامدًا وروحي متخشبة، شعرت أني أؤدي حركات أحفظها فقط، لكن لا أشعر بها، أفتقد للخشوع والإخلاص لا أظن أن صلاتي مقبولة.

جلست أتذكر كيف كان يصلي «يوسف» في سلاسة وخشوع، فرحت أنتحب على حالي، لا أمل لي في الصلاة، الطريق مغلق أمام قلبي، أعدت الحجاب أدراجه.

شعرت بالرغبة في الرقص بعد أن فشلت صلاتي ونحيبي في شفائي من حزني ووجعي، وعمتي لا تسمح بالرقص والغناء في شقتها حتى تظل مباركة.

ارتديت ثيابي على عجل، وضعت فستاني المصمم للرقص في حقيبتي وانطلقت إلى صالة الرياضة، لم أجد أحدًا هناك، أبدلت ثوبي وأسدلت شعري ونزعت حذائي، وكحلت عيني بالدمع، أدرت لحني المفضل، عود يصاحبه ضربات على الدف.

وتركت قدمي تدق الأرض بغضب وتبوح بوجعي وجسدي ينساب على أنغام حزني، يتمايل خصري إلى اليسار حيث قلبي المحطم، ويذهب إلى اليمين حيث روحي المنكسرة، ويئن فؤادي مع كل اهتزازة من جسدي، يا الله أعوام من ترك الصلاة أدمت قلبي بالوحشة.

آه لو يتشكل قلبي بالخشوع على سجادة الصلاة كما يتشكل جسدي الآن على أنغام العود، الجميع يصلي في بساطة وهدوء، «يوسف» يسكب متاعب العمل على السجادة في كل صلاة ويواصل العمل بعدها بسكينة وإشراق.

تلوم عمتي عدم صلاتي كل صباح، أظل أراقبها خلسة وهي تصلي فتهدأ روحها، ويخشع قلبها راكعًا وساجدًا، لمَ لا يحدث هذا معي، لمَ أزداد همًا كلما حاولت الصلاة؟

ازداد دمع عيني في نشيج بائس، أعلم أني أرقص فوق موضع جرحي.

هناك حاجز يحول بيني وبين السماء، شيّده «يامن» بداخلي، أو ربما بناه حرماني من أمي، أو وضعه خذلان والدي، لا أدري من أين جاء هذا الحاجز اللعين، لكن أتمنى أن تحدث معجزة ما ويزول هذا الحاجز، أنا أعرف دائي لكن لا أجد دوائي.

أخشى أن أعاود طرق الباب وألتزم الصلاة والدعاء وأضع الحجاب، وأنتكس عند أول اختبار، أخشى أن أفقد ما بقي من يقيني، وأن تذهب تساؤلاتي ما بقي من إيماني.

لمَ حرمت أمي، لمَ لفظني أبي، لمَ فقدت جدي وجدتي، لمَ ابتليت بـ «يامن»، هل حقًا أنا مدانة بقتل أمي؟

سامحك الله يا «يوسف» أيقظت بركان تساؤلاتي الخامد دون وعي منك، أيقظت شوقي للقرب من الله، يا الله ائذن لجدار الوحشة أن يزول، يا الله احفظ ما بقي من يقيني ولا تسلبني إيماني، دائمًا ما أردد لنفسي في جزع: إيماني الزهيد أفضل من العدم.

أتعبتني قدماي، ولم أعد أقوى على اعتناق التلوي وتلبس الاهتزاز أكثر من ذلك، حملت حالي وأبدلت ثيابي، وتركت خصلات شعري تعانق

أسفل ظهري، ألقيت نظرة ساخرة على انعكاسي بالمرآة، من يرى دمع عيني المنساب لا يصدق أني مارست الرقص منذ لحظات فقط، الذي أطلق تعبير رقص من الفرح لم يجرب متعة الرقص على الوجع.

كان كل شيء فيها يرقص، وجعها، خوفها، عزلتها، حزنها، حتى جسدها كان يرقص، كل شيء عدا قلبها.

عدت إلى سيارتي منهكة الروح ومرهقة الجسد، ابتعت طعام الفطور وعدت إلى المنزل، وجدت «روفي» تجلس في غرفة الاستقبال عند عودتي من الخارج.

- صباح الخير يا «روفي».

- صباح الخير «ياسمي»، هل صرنا لا نلتقي داخل المنزل إلا صدفة؟

- عدت بالأمس مرهقة ونمت من فوري، ولم أرغب في إزعاجك يا «روفي».

- أين كنت يا «ياسمي»؟

- كنت في الصالة الرياضية، سأبدل ملابسي وأعد طعام الفطور.

- ما هذا الرضا يا «ياسمي»، توقعت أن تتجنبي الحديث معي بعد اجتماع مجلس الإدارة.

(هجوم أعضاء مجلس الإدارة كان قاسيًا، تعاملوا معي بسخرية طوال الاجتماع، واكتفت عمتي بمتابعة الموقف دون تدخل).

- ألم نتفق يا «روفي» على أن نترك ما حدث في العمل داخل المؤسسة، ولا نتحدث فيه خارجها؟

- نعم نعم، حسنًا اذهبي واغتسلي وسأعد الفطور.

- أحضرت بعض المعجنات الطازجة، أعدّي مشروب الشوكولاتة.

- حسنًا يا سمسمة.

عدت إلى غرفتي وأبدلت ملابسي وذهبت إلى تناول الفطور.

(الـــــــرؤيـــــا)

«يـوسـف»:

هل أصبت بالهلاوس بعد أن أمضيت عمري في دراسة الأمراض النفسية والتعامل معها.

استيقظت على حلم آخر، زارتني فيه «حور»، لكنّ هذه المرة كانت أقرب إلى نظري من كل المراتٍ السابقة.

كان طيف «حور» قادمًا في اتجاهي وتقاطعت دروبنا، وقفت أمامي للحظات عانقتني عيناها بلهفة وتطلعت إليها بشوقٍ ولوعة، همست بشوق سنلتقي، كلمة واحدة قالتها وأذابت فؤادي، ظل صوتها يتردد بخفوت، استبشرت بهذه الرؤيا.

قطعت التفكير فيها واتجهت إلى الحمام اغتسلت، وأبدلت ثيابي وغادرت شقتي، اتجهت إلى صالة الألعاب الرياضية، لكن فقدت التركيز، كنت منشغلًا بالتفكير في الحلم الذي رأيته.

أكاد أجن، أنا على يقين أني على معرفة بصاحبة هذا الصوت لكن من هي، بالتأكيد ليست من معارفي وإلا كنت تذكرتها.

أنهيت التمرين وعدت إلى منزلي، مررت على شقة «رفيف» بعد أن تناهى إلى مسامعي صوت ضجيج «إياد» مؤكدًا أنها استيقظت، طرقت الباب.

– صباح الخير يا «يوسف» تفضل.

– صباح الخير «رفيف» كيف حالك؟

– الحمد لله بخير، كيف حالك أنت؟

– الحمد لله.

– دقائق وأجهز الفطور.

– أنا في عجلة يا «رفيف»، سأمر عليك حين عودتي.

– حسنًا، سأنتظرك.

عدت إلى منزلي مرة أخرى، كنت أفتقد شهيتي إلى الطعام هذا الصباح، واكتفيت بالاغتسال وارتداء ملابسي وانطلقت تجاه المؤسسة.

لكن لم تكن البداية مشجعة عند وصولي إلى المؤسسة، وجدت «ياسمي» تقف بمدخل ساحة الانتظار، وهي تبتكر طريقة لركن سيارتها.

وقفت أترقبها، استغرقت بعض الوقت، وفي النهاية تركت سيارتها في عرض الطريق وأغلقت المدخل أمام دراجتي البخارية، جعلتني أستشيط غضبًا، كان المكان خاليًا أمامها ما السر فيما فعلته! من سوء الحظ أني لم أحمل معي جهاز إنذار الدراجة ولا أستطيع تركها هكذا بالمدخل.

استغرقت وقتًا وأنا أحاول العبور بين سيارة «ياسمي» والرصيف متجنبًا الاحتكاك بكليهما، وصلت إلى مكتبها وبادرتني بتحية الصباح، أجبتها بعبوس.

قضيت الوقت في العمل بلا انقطاع، لم أتوقف خلال اليوم لأنال قسطًا من الراحة، وما إن انتهى يومي في المؤسسة حتى انطلقت إلى المنزل، كل ما كنت أفكر فيه هو كيفية الوصول إلى الفراش في أسرع وقت.

وصلت إلى منزلي في غضون ساعة أمضيتها في القيادة إلى المنزل وسط زحام السير، دلفت إلى شقة أختي لأفاتحها بخصوص أمر هام.

- مساء الخير «رفيف».

- مساء الخير يا أخي، كيف حالك؟

- الحمد للّه بخير، كيف كانت أمورك اليوم يا أختي؟

- الحمد للّه بخير، ودعت الخالة في الصباح.

- تصل بسلامة اللّه.

- كيف كان يومك؟

- الحمد للّه بخير يا «رفيف».

- وفقك اللّه، اذهب إلى تبديل ثيابك يا «يوسف» حتى أنتهي من إعداد العشاء.

- لا داعي إلى ذلك يا «رفيف» أنا متعب وسأتجه إلى الفراش مباشرةً.

- حسنًا، لكن لا تنس أن تمر عليّ في الصباح.

- «رفيف» هناك أمر هام أود طرحه عليك.

- تفضل يا أخي.

- أنت على علم بالمؤسسة التي أعمل بها، أليس كذلك؟

- نعم مؤسسة عريقة ولها سمعتها.

- هناك وظيفة ملقنة لغة إنجليزية شاغرة، وأرى أنها مناسبة لك، ما رأيك؟

- لا أعتقد أنه سيتم قبولي في مكان كهذا يا «يوسف».

- دعي عنك هذه السلبية يا «رفيف»، جربي ولن تخسري شيئًا.

- حسنًا لكن أين سأترك «إياد»؟

- هناك ملحق لرعاية الأطفال ومجهز بإمكانيات تناسب حالة «إياد» بإمكانك تركه، إذا تم قبولك بالوظيفة.

- اتفقنا يا «يوسف».

- حسنًا أراك غدًا.

عدت إلى شقتي، اغتسلت وتناولت أقراصًا للصداع وغرقت بالنوم، واستيقظت قرب الساعة الثالثة على غير العادة، حلم آخر من الأحلام التي باتت تغزو نومي كل ليلة، هذه المرة الحلم الأغرب.

كانت «حور» تجلس أمامي وهي تهمس (أنا. هي)، وتشير بأناملها إلى فتاة تقف بجوارها لا يظهر منها سوى شعرها الأسود.

استيقظت وأنا أقرأ المعوذتين، لقد زاد الأمر عن حده بعد أن كنت لا أقوى على مواجهة فتاة واحدة أصبحتا اثنتين، نهضت من فراشي واتجهت إلى الحمام وأنا أدعو الله أن يجمعني بـ«حور» أو يصرفها عن أحلامي وتفكيري، أنهيت حمامي وعدت إلى غرفتي، أحضرت حاسوبي النقال وباشرت مراجعة الملفات المتبقية من حالات المؤسسة.

لكن عوضًا عن ذلك، شغلت «ياسمي» تفكيري وألهتني عن الانتهاء من الملفات.

أبدلت ثيابي وذهبت إلى العمل، وصلت للمؤسسة وتوجهت إلى مكتب «ياسمي».

كانت في أوج تألقها وكأنّها تستعد للذهاب إلى حفل، كل شيء فيها يدفع المرء لإطالة النظر إليها، بادرتني بتحية الصباح، وأجبتها في شرود.

عمدت إلى تجنب التطلع نحوها، وأبقيت نظري تجاه الأرض كما تعودت أن أفعل، أنا من يجب عليه القيام بالتحكم في اتجاه نظراته وأفكاره، لا عتب عليها فهي حرة في طريقة انتقاء ملابسها.

يعجبني شدة تركيزها في العمل، الوحيدة التي رأيتها تستطيع العمل على صوت العزف والألحان، طلبت القهوة ولم تكلف نفسها عناء سؤالي، أوحى لي هذا أن لديها نزعة سيطرة واهتمام بالآخرين محببة للنفس.

بدأنا العمل وأرسلت لي الملفات التي أنهت إعادة ترتيبها، أخبرتني أن الطبيب الذي سبقني ترك لها العمل في حالة فوضى حتى إن الأطباء الواقعين تحت إشرافه لم يهتموا برفع تقارير الحالات وتدخلت لتنظيم سير العمل.

كانت الملفات التي أعدتها دقيقة ومنظمة، نقلت لي فكرة كاملة عن وضع الحالات الموجودة داخل المؤسسة، لم يبق إلا مقابلتهم.

تركتني وسط الملفات، وانشغلت في مقابلات المتقدمين لشغل الوظيفة الخالية، مررنا بعدها إلى مكتب «د/ محمد» وجلسنا بعض الوقت في اجتماع لتنظيم سير العمل.

عدنا إلى المكتب وانهمكنا في العمل، إلى أن جاءت «ساندي» الشابة التي كانت بصحبة «ياسمي» في الأمس، طريقة احتوائها وتعاملها مع «ساندي» أثارت انبهاري.

جاء موعد الاجتماع المنتظر، تحدثنا معًا قبل الاجتماع وحذرتني «ياسمي» من أسلوب تعامل مجلس الإدارة السيئ وعدم تقديرهم للشباب، حتى لو كانوا من ذوي الكفاءة والخبرة، نجحت «ياسمي» في الحصول على موافقة مجلس الإدارة على تنظيمها الحفل، كانت بارعة في الإقناع وإدارة النقاش ولديها طول بال وصبر.

آه لو أتذكر أين التقيت بها، تبدو لي مألوفة للغاية، اسمها الغريب يذكرني بفتاة رأيتها أثناء عملي في لندن لكن حتمًا ليست هي نفسها «ياسمي»، أفقت من شرودي وأبدلت ملابسي وذهبت إلى الصالة الرياضية، انتهيت من التمرين وعدت إلى البيت، ارتديت ثياب العمل وجمعت أغراضي، وانطلقت إلى العمل.

«ياسمي»:

– هيا يا «ياسمي» الفطور جاهز.

اتجهت إلى المطبخ، وبادرت عمتي بتحية الصباح، تطلعت إليّ في استغراب وسألتني:

– هل ستذهبين إلى العمل اليوم يا «ياسمي»؟

– نعم سأذهب.

– بهذه الثياب؟

قالتها وهي تشير بيدها نحو ثيابي في استنكار.

– وما بها ثيابي؟

– هذه البدلة تشبه ثياب العاملين في ورش تصليح السيارات، استبدلي ثيابك بملابس تليق بوظيفتك هيا.

– أولًا هذا يدعى (أوفروال) ويريحني، ثانيًا لا دخل لوظيفتي بطريقة ثيابي.

وبدأت أتناول طعامي.

– «ياسمي» هذا يسمى (سلوبيت) كنت أشتريه لك عندما كنت رضيعة، إلى جانب أن الكنزة التي ترتدينها أسفل منه خفيفة ولا تصلح للشتاء.

- حسنًا عمتي ما دمت تعرفتِ على ثيابي هلا تقومين بوضع شعري داخل جديلة من فضلك.

وقفت أمامها بثبات وهي تعقد خصلات شعري داخل جديلة السنبلة.

- حسنًا «ياسمي» لا تعتقدي أنني استسلمت لجنونك، أنا فقط لا أريد تشتيت ذهني قبل السفر.

- إلى أين يا «روفي»؟ هل ستتركين البلد هربًا مني؟

- لا يا خفيفة الظل، لدي عمل هام في فرع الإسكندرية.

- حسنًا، متى ستعودين؟

- ربما على نهاية الأسبوع مع عطلة «كريم».

- صحبتك السلامة، هاتفيني عند وصولك.

- اعتني بنفسك يا ابنة أخي، لا تهملي تناول طعامك، أرجو ألا أجدك هيكلًا عظميًا عند عودتي.

- حسنًا.

ودعت عمتي، وحملت حقيبتي، انتعلت حذاءً رياضيًا مريحًا بقدمي، تطلعت إلى صورتي في المرآة برضى، رغم أن ثيابي جعلتني أبدو كفتاة مراهقة، لكنها منحتني الراحة النفسية وهذا هو ما يهمني، انطلقت إلى العمل.

دلفت إلى محل العم «راشد» ابتعت فطورًا لي أنا و«يوسف»، واحترت في اختيار الأطعمة لأني لا أعرف ذوق «يوسف»، طلبت برك بالجبن والخضروات ومخبوزات القرفة مع كوبين من القهوة المخفوقة بنكهة الفانليا.

حملت أكياس الطعام واتجهت إلى السيارة بحرص وحذر، وصلت إلى المؤسسة وتمنيت أن أجد من يساعدني، وصلت إلى المصعد من حسن حظي وجدت «يوسف».

- صباح الخير «أ/ ياسمي».

قالها ومد يده وحمل عني أكواب القهوة.

- صباح الخير «د/ يوسف»، شكرًا لك.

اتجهنا إلى الدرج وسألني «يوسف» في استغراب:

- ما هو سر حبك لصعود الدرج يا «أ/ ياسمي»؟

- لا شيء يا «د/ يوسف» مجرد بقايا رهاب من الأماكن المغلقة والضيقة.

وصلنا إلى المكتب، وضع «يوسف» الطعام على طاولة العمل، ذهبت إليها وجلست، كان «يوسف» يتطلع نحوي بتأمل ودهشة، تجاهلت الأمر وبادرته:

- دعنا نتناول الفطور قبل البدء بالعمل يا دكتور، تفضل معي.

- لا داعي لهذا، شكرًا لك يا أستاذة سأذهب لإحضار الطعام بعد قليل.

- أنا بالفعل أحضرت فطورًا يكفينا معًا، تفضل يا دكتور قبل أن يبرد الطعام.

جلس «يوسف» وأخرجت علبة البرك والمعجنات واقتسمتهم بيننا، وناولته كوب القهوة.

- أتمنى أن يعجبك الفطور «د/ يوسف».

- شكرًا على كرمك «أ/ ياسمي» لم يكن هناك داعٍ لتثقلي على نفسك.

- لم تسنح لي الفرصة لشكرك أمس على مساندتي أثناء اجتماع مجلس الإدارة وداخل مكتب «د/ محمد»، هذا تعويض عن الشكر.

- لا داعي للشكر يا أستاذة، نحن فريق عمل واحد، أليس كذلك؟

- نعم بالطبع يا دكتور ويساعدني نجاح الأمر بيننا، أنا لا أجيد شرح نفسي ودائمًا أواجه صعوبة في العمل الجماعي.

- نعم أتفهم هذا الأمر، بالمناسبة أفكارك حازت على إعجابي بالأمس.

- يسعدني سماع هذا، ما رأيك أن تساعدني في تنظيم الحفل؟

- لا مانع لدي، اطلعيني على خطتك.

أنهينا الفطور وتوجهنا إلى المكتب، انتبهت إلى ثيابه كان في قمة جاذبيته هذا الصباح، كان يرتدي بدلة جمعت بين الذوق الكلاسيكي والشبابي، ترى ما الذي يمنع شابًا مثله من الارتباط؟

جلست خلف مكتبي وعاد «يوسف» إلى مقعده، أخرج حاسوبه النقال وبادرني:

- لدي ملحوظة ستسهل علينا نظام العمل فيما بعد يا أستاذة.

- حسنًا تفضل يا دكتور.

- ما رأيك أن يتم تصنيف حالات الطلاب في مجلدات حسب المرحلة العمرية، ويتم تنظيمها داخل ملفات وفق خطورة الحالة؟

- الأمر يستلزم مزيدًا من الجهد والوقت لكنها فكرة رائعة يا دكتور وستيسر علينا العمل في ما بعد.

- نبدأ العمل الآن على هذا الأساس، هناك أمر آخر أود سؤالك بخصوصه يا أستاذة.

- تفضل يا دكتور.

- هل وجدت من يقوم بشغل وظيفة ملقن اللغة الإنجليزية؟

- في الحقيقة لا يا دكتور، واليوم لدي مقابلة بخصوص تنظيم الحفل، ولا أدري من أين أجد وقتًا للبحث عن ملقن.

- أعتقد يا أستاذة أن لدي معلمة جديرة بهذه الوظيفة، وتتوافر لديها الشروط المذكورة.

- حقًا يا دكتور، ما هي مؤهلاتها العلمية وخبراتها؟

- هي حاصلة على شهادة جامعية من قسم الترجمة واللغات، وخريجة مدارس أجنبية وحاصلة أيضًا على دورات معتمدة في المجال التربوي.

- رائع يا دكتور، هل لديها خبرة عملية في مجال التعليم؟

- نعم يا أستاذة عملت في مؤسسات تعليمية، ومن ضمنها مؤسسة «الغد».

- جيد يا دكتور، مؤسسة «الغد» لديها نشاط يماثل اختصاص مؤسستنا، هل بإمكانها الحضور غدًا لإجراء المقابلة؟

- نعم سأحضرها معي في الصباح يا أستاذة.

- جيد، لدينا مقابلة الآن مع والدة طالبة، ستساعدنا في تنظيم الحفل.

- حسنًا يا أستاذة.

أجريت اتصالًا بمكتب الاستقبال أخبرهم باصطحاب مدام «نيفين» إلى مكتبي، واتصلت بـ «أ/ عزة» المسؤولة عن النشاطات في المؤسسة أدعوها إلى مكتبي.

- هل استلمت كارنيه العمل من «أ/ مجدي» يا «د/ يوسف»؟

- لا، لم أذهب إلى «أ/ مجدي».

- حسنًا، سيحضر هو إذًا يا «د/ يوسف».

تطلع إليّ «يوسف» في استغراب.

أجريت اتصالًا بمكتب «أ/ مجدي» مدير الشؤون القانونية.

- ألو، مرحبًا «أ/ مجدي» هل بإمكانك إحضار ملف تعيين «د/ يوسف» والكارنيه الخاص به إلى مكتبي؟

- لا يا أستاذة، ليس من اختصاصي السعي بين المكاتب بملفات الموظفين، أرسلي الدكتور إلى مكتبي، وسأكمل إجراءات تعيينه.

- «أ/ مجدي» أنا أتحدث بصفتي عضو مجلس إدارة وليس موظفة.

أجاب باقتضاب ووجوم: حسنًا يا «أ/ ياسمي».

- حسنًا، أريد الملف في مكتبي الآن يا «أ/ مجدي».

أغلقت الهاتف، بادرني «يوسف» قائلًا:

- لم يكن هناك داعٍ لكل هذا يا «أ/ ياسمي»، كنت سأذهب إلى «أ/ مجدي» بعد العمل.

- أنت بالفعل ذهبت إليه مسبقًا يا دكتور وهو أساء إليك.

حضر «أ/ مجدي» إلى مكتبي في وجوم، وظل يتطلع نحوي بغضب مكتوم، تجاهلته وتناولت منه ملف «يوسف» وأضفت بندًا جديدًا وزيادة للمرتب وبادرت:

- رجاءً يا «د/ يوسف» وقع على هذا التعديل.

- لكن هذا أكثر من المتفق عليه «أ/ ياسمي».

نظرت إليه في حزم، وأكملت في إصرار:

- وقع يا دكتور ودعنا ننتهي.

وقع «يوسف» في صمت وتناولت منه الملف وأعدته إلى «أ/ مجدي».

خرج في غضب هادر.

حضرت بعدها مدام «نيفين» و«أ/ عزة» وجلسنا نتناقش حول تنظيم الحفل.

اتفقنا على أن تشرف «أ/ عزة» على إخلاء صالة الألعاب الرياضية، وتضع قائمة الحضور والمدعوين وتقوم بإرسال نسخة منها إلى مدام «نيفين».

وأن تقوم مدام «نيفين» بتجهيز صالة الألعاب الرياضية حتى تصلح لإقامة الحفل واستقبال المدعوين.

سألني «يوسف» بعد مغادرتهم:

- أظن يا أستاذة أنك تعمدتِ عدم الحديث عن فقرات الحفلة أمامهما.

- في الحقيقة نعم، وأود أن يبقى الأمر سرًا بيننا.

- حسنًا، هل لديك رؤية واضحة؟

- نعم، سأستعين بطلاب المرحلة الثانوية في تأدية فقرة العرض المسرحي، تمرن أغلبهم على المسرحية بالعام الماضي.

- هذه بداية مشوقة يا أستاذة، استمري من فضلك.

- بعدها نقوم بتقديم فقرة مسابقة علمية وثقافية وسأترك لك القيام بهذه المهمة.

- جيد، أنا معك في هذا الأمر.

- وسأختتم الحفلة بعرض فيلم قصير نستشهد به على دور البرمجة اللغوية والعصبية في تغيير سلوك الفرد وتأهيله نفسيًا، محتوى الفيلم يتحدث عن فترة من حياتي. يظن الجميع هنا أن خبرتي بمجال علم النفس والتعديل السلوكي جاءت نتيجة دورات نفسية درستها، لكن في الحقيقة يا دكتور أنني خضعت إلى برنامج تأهيل نفسي وتعديل سلوكي.

رفع «يوسف» نظره نحوي في دهشة، فأكملت في هدوء وأنا أراقب ردود أفعاله:

- أقمت لفترة بإحدى مؤسسات التأهيل النفسي في لندن، وتلقيت برنامج علاجي يعتمد على علم الطاقة والبرمجة اللغوية، يدور عمل المؤسسة على إعادة تأهيل الناجين من الحوادث، وتخفيف الأضرار الجسدية والنفسية التي تعرضوا لها نتيجة الحادث، ويعتمد على علم الطاقة البشرية.

لم يعلق «يوسف» وبدت عليه الدهشة.

- هل أواصل الحديث يا دكتور؟

- نعم تفضلي أنا أسمعك، لكن لا أود مقاطعة حديثك يا أستاذة.

- حسنًا، أغلب النزلاء في هذه المؤسسة من فئتين، فئة اللاعبين الرياضيين أو أعضاء فرق الباليه الذين أصيبوا في حوادث، وتسببت الإصابة لهم بالعجز عن مواصلة حياتهم، وهناك فئة أخرى تعرضت

إلى صدمات نفسية في مرحلة الطفولة وأثرت في شخصياتهم ومستقبلهم بعد ذلك، المؤسسة تهتم بإعادة تأهيل هذه الحالات، وتساعدهم في العودة إلى الحياة بشخصيات إيجابية خلاقة.

- ماسبب التحاقك بهذه المؤسسة يا «أ/ ياسمي»؟

- تعرضت إلى حادثتين أدتا إلى إصابتي بعجز في الحركة والمشي بعد أن خضعت إلى إجراء عملية ترميم ساقي، وفشلت العملية الأولى بسبب إصابتي في حادثة أخرى، قرر الأطباء إجراء عملية بتر لساقي، لكن عمتي رفضت وسافرنا إلى الخارج، وأجريت عملية ترميم ساق جديدة لكن لم تنجح، واستمر عجزي عن الحركة.

صارحني الأطباء بضرورة إجراء جلسات علاج طبيعي، والخضوع إلى برنامج تأهيل نفسي لعلاج اكتئاب ما بعد الحادث، لكني رفضت وصممت على مغادرة المشفى.

ساءت حالتي النفسية بعد مغادرتي المشفى، ورفضت مغادرة الشقة، والتزمت الجلوس في غرفتي وتجنب الحديث مع عائلتي، وتغيبت عن موعد الاستشارة الطبية، وبعد إلحاح وضغط من عمتي.

وافقت على الذهاب إلى طبيبة نفسية تعمل داخل مؤسسة تستخدم علم الطاقة البشرية في العلاج.

ذهبت إلى المؤسسة الطبية وخضعت إلى فحص طبي ونفسي، وتعرفت على «إلينا» الطبيبة المسؤولة عن علاجي، أقمت في المؤسسة خلال فترة علاجي.

لم يعلق «يوسف» على حديثي، وبقي تعبير الدهشة مرسومًا على وجهه، أكملت حديثي:

- منذ البداية أخبرتني الطبيبة أن علاج الخارج يبدأ من الداخل، ويجب أن أقوم بتغيير سلوكي النفسي حتى تتحسن إصابتي وأتعافى، استمعت إلى نصيحتها، والتزمت ببرنامج تأهيل نفسي مع جلسات علاج طبيعي، ونظام غذاء صحي.

سألني «يوسف» في دهشة:

- كيف هذا، من يراك لا يصدق ما تعرضتِ له؟

- «د/ يوسف» أود أن أطلعك على الفقرة الأساسية في الحفل.

- حسنًا تفضلي يا أستاذة.

أحضرت مقطعًا لفيلم قصير من حاسوبي النقال وقمت بتشغيله ووضعته أمام «يوسف»، كان يحتوي على لقطات لإصابتي قبل وبعد العملية وفترة علاجي بالمؤسسة والتطور الذي حققته ولقطات أؤدي فيها لعبة الجمباز بعد أن كنت عاجزة عن الحركة ولا أمل في شفائي.

- الفضل في شفائي يرجع إلى البرمجة العصبية واللغوية، ساعدتني في التغلب على إصابتي وتغيرت شخصيتي إلى الأفضل.

- هل كنت تجيدين أداء الجمباز قبل الحادث يا «ياسمي»؟

نطق «يوسف» اسمي في فخر وانبهار وتوقف بعدها قليلًا.

- لا يا دكتور لم أكن من هواة الرياضة قبل الحادث.

- إذًا كيف قمت بأداء هذه القفزات الاحترافية والحركات الصعبة؟

- لاحظت «د/ إلينا» مدى إعجابي بلعبة الجمباز، واتفقنا أن تقوم بتدريبي على اللعبة بشرط أن أوافق على إعداد فيلم قصير عن إصابتي وشفائي، تقوم «د/ إلينا» بعرضه في مناقشة رسالة الدكتوراه

الخاصة بها، وتستخدمه كنموذج ناجح لتحدي الإصابات الجسدية والمعوقات النفسية باستخدام علم الطاقة.

هتف «يوسف» في حماس:

- أنت مدهشة وعبقرية يا «ياسمي» فهمت خطتك، أنتِ بالفعل نموذج واقعي، لإثبات أهمية البرمجة اللغوية والعصبية في تعديل السلوك، وتحدي الإصابات الجسدية.

هذه أول مرة يتخلى «يوسف» عن تحفظه ويتحدث معي باستفاضة وحتى دون ألقاب رسمية.

- أنا معك في هذه الخطة، عرض الفيلم أثناء الحفل سيساهم في تغيير نظرة الحضور إلى علم الطاقة.

- لا أعرف يا دكتور، هل سأستطيع القيام بعرض الفيلم أم لا، لدي رهاب اجتماعي وأكره أن ألفت أنظار الحضور تجاهي.

- لا تقلقي يا أستاذة سأكون إلى جوارك، عليك مواجهة الرهاب والتغلب عليه، وهذه فرصة جيدة للقيام بهذا.

- حسنًا يا دكتور سأحاول.

واصل «يوسف» حديثه مشجعًا:

- ستنجحين يا «أ/ ياسمي»، هذه فقرة جيدة وستحفز الطلاب على مواجهة العوارض النفسية لديهم والتغلب عليها.

- أتمنى هذا يا دكتور.

- بإذن الله.

- شكرًا على دعمك يا دكتور.

- أنت تستحقين كل التقدير يا «أ/ ياسمي».

- حسنًا حان وقت الانصراف، نكمل في الغد.

- سأبدأ في الإعداد للمسابقة الليلة بإذن الله يا أستاذة.

- بالتوفيق يا «د/ يوسف».

جمعت أوراقي وحاسوبي المحمول وغادرنا المكتب، وذهب كل منا في طريقه.

«يوسف»:

غادرت المؤسسة وعدت إلى شقتي والأسئلة تزدحم داخل رأسي، ما هذه الصدفة الغريبة؟ فتاة لندن هي نفسها «ياسمي»، لمَ لم أتعرف عليها في البداية؟

أفقت على طرقات «رفيف»، جاءت تحمل معها طعام العشاء، استقبلتها واتجهت إلى مائدة الطعام، وضعته وجلست على الأريكة وبادرتني الحديث متذمرة:

– هل انتقلت إلى القاهرة يا «يوسف» لتنقطع عن التواصل معي؟

– مساء الخير يا أختي كيف حالك أنت والصغير؟

بادرتها بالسؤال عن حالها في محاولة مني لتهدئتها.

– الحمد لله نحن بخير، لكن أين أنت يا «يوسف»، ما الذي قلب حالك رأسًا على عقب!

– أنا هنا والحمد لله بخير لكن ضغط العمل شغلني عنكما قليلًا.

– أعانك الله يا أخي، لكن هذا لا يعني أن تتجاهلني بهذا الشكل.

– لا أجرؤ على تجاهلك يا «رفيف» لكن أنت لا تعرفين، الوضع جنوني في العمل، أنا لا أجد وقتًا لتناول الطعام.

- أعانك اللّه يا أخي، معذرة نسيت أمر الطعام، هيا بنا ودعنا نؤجل الحديث الآن.

قالتها «رفيف» وقامت بوضع الطعام أمامي، لم تمتد يدي نحو الطعام وفقدت شهيتي، بادرتني أختي:

- لمَ لم تتناول طعامك يا «يوسف»؟

- لا أقوى على تناول الطعام الآن يا «رفيف».

تركت الطعام واتكأت على الأريكة مغمضًا عيني، كان دبيب الأفكار برأسي يتزايد، تركت «رفيف» العشاء وجاءت تجلس بقربي.

- أخبرني فيم أنت شارد يا «يوسف»؟

- لا أعرف من أين أبدأ الحديث.

- استعن باللّه وابدأ بما يدور في ذهنك، لا يهم الترتيب.

- زادت أحلامي عن «حور» هذه الفترة، أصبحت أراها كلما أغمضت عيني، ودائمًا أستيقظ على شعور مزعج.

- أخبرني بتفاصيل الأحلام التي تراها، ربما استطعت تفسيرها.

- دائما ما أرى فتاة جميلة لكن ملامحها لا تبدو واضحة، تقترب مني وهي تهمس: (سوف نلتقي قريبًا)، وينتابني شعور مقبض عندما أستيقظ.

- متى تأتيك هذه الأحلام، ربما كانت وساوس من الشيطان.

- لا يا «رفيف»، أنا دائمًا أنام على وضوء وعلى صوت القرآن.

- خيرًا يا «يوسف» ربما تكون هذه بشارة بقرب لقائك بها، أخبرني بما تشعر عندما تستيقظ؟

- أشعر أني أفتقدها وكأننا سبق أن التقينا ثم افترقنا بعد ذلك.

- هذا شعور طبيعي لأنك تراها دائمًا في الأحلام، هذا يجعلك تشعر بافتقادها وتستعجل لقاءها.

- ربما يا «رفيف» لا أعرف.

- لكن أشعر أن هناك أمرًا آخر يشغلك.

- نعم، هناك فتاة تعمل معي في المؤسسة ينتابني شعور غريب نحوها.

- هل تقصد أنك بدأت التعلق بها؟

- لا، أقصد أني أشعر بأننا سبق أن التقينا من قبل.

- من الوارد يا «يوسف» أن تكون التقيت بها من قبل بالفعل.

- من فضلك يا «رفيف» اتركي لي فرصة للحديث.

شعرت أني سمعت صوتها عند أول حديث بيننا على الهاتف، لكن لم أتذكرها عندما التقيتها، تعجبني أفكارها وأسلوبها في العمل، هي تشبهني بشكل غريب.

قاطعتني «رفيف» قائلة في نفاد صبر:

- ما يحدث بينكما يسمى تشابه أرواح يا «يوسف».

- لا، الأمر ليس كذلك يا «رفيف».

- ما اسم هذه الفتاة يا «يوسف»؟

- اسمها «ياسمي» يا «رفيف» وكفي عن مقاطعتي رجاءً.

- حسنًا، سؤال أخير يا «يوسف» من فضلك.

- تفضلي يا «رفيف».

- ماذا يعني اسمها؟

- لا أعرف ربما يكون مشتقًا من السمو.

- اسم رائع لكن غريب.

- نعم شخصيتها أيضًا رائعة ومتفهمة وتقدر الآخرين، بالأمس ردت لي حقي من الموظف الذي أساء إليّ يوم المقابلة.

- شوقتني لمعرفة المزيد عنها أكمل يا «يوسف».

- اليوم علمت منها بالصدفة أنها كانت نزيلة المؤسسة التي عملت بها في لندن، كما أنها كانت مصابة بعجز عن الحركة بسبب إصابة ساقها في حادثة سير، لكنها حققت إنجازًا رائعًا ولها فيلم قصير يحكي قصتها من الإصابة حتى شفائها وإتقانها الجمباز وتم تكريمها في الخارج، كنت أتقابل معها كثيرًا داخل جلسات التأهيل النفسي.

- فتاة مدهشة وذات همة عالية، لكن كيف لم تتذكرها عندما التقيت بها؟

- لا أعرف يا «رفيف» ربما لأن شخصيتها اختلفت وتغيرت ملامحها عن السابق، كانت خجولة وانطوائية عندما التقيتها في لندن.

- إذًا هذا هو سبب عدم تعرفك عليها، أين المشكلة إذًا؟

- لم أتحدث معها عندما كنا بالمؤسسة يا «رفيف» ومع هذا لدي شعور غريب بالألفة تجاهها، أشعر أن هناك ما يجذبني نحوها بشدة.

- هناك شيء غير مفهوم يا «يوسف» والصدف والتوافق بينكما محير.

- نعم هذا ما يشغل تفكيري.

قطع حديثنا صراخ «إياد» النائم في الشقة المقابلة، هرعت «رفيف» نحوه وتركتني حائرًا وسط تساؤلاتي.

(الـــهـــروب)

«يـــاسمي»:

عدت إلى منزلي منهكة وبذهنٍ شارد، اتجهت إلى فراشي لكن جفاني النوم، رغم إرهاقي الشديد، استسلمت إلى تضارب الأفكار داخل رأسي.

حديثي مع «يوسف» حول فترة علاجي في لندن أنهك قواي، لأول مرة أحكي عما مررت به داخل المؤسسة وعن الفيلم، لا أحد في العمل يعرف بأمر هويتي الحقيقية، أو عن حقيقة ما عانيته في الفترة الماضية.

كان شرط عودتي إلى مصر هو التكتم على حياتي السابقة، وجعلت الأمر يبدو على أني أخشى من أن يقوم «يامن» بالتعرض لي مرة أخرى.

أنهيت فترة علاجي بالمؤسسة والتحقت بشركة برمجة إلكترونيات وتطبيقات، كانت الأمور تسير على نحو جيد، إلى أن تم عرض الفيلم القصير الذي أعدته «د/ إلينا» عني وحقق نجاحًا على صعيد مجال الطب النفسي، وتسبب في لفت الأنظار تجاهي، أصبحت أتهرب من لقاءات إعلامية تريد تحقيق سبق صحفي من خلال مقابلتي.

عدت إلى مصر بعد إلحاح من عمتي وهربًا من الضجيج في لندن، اشترطت على عمتي أن تنسى اسم «حور» وأن تناديني «ياسمي»، والتحقت

بالعمل في المؤسسة تحت اسم «ياسمي» ورفضت الظهور أو التعامل بلقب «حور».

واجهتني ضغوط نفسية منذ التحاقي بالمؤسسة، التواجد مع الأطفال يعيدني إلى التفكير في الماضي وأنا لم أتخط بعد ما حدث معي في طفولتي، توليت منصب مديرة شؤون العاملين والطلاب وتسبب هذا في إثارة غضب أعضاء مجلس الإدارة نظرًا إلى صغر سني، كنت أواجه الاعتراض والتهكم على كل قرار أقوم به لصالح المؤسسة، ولم أجد من يقدر خبرتي العملية والعلمية داخل مجلس الإدارة، وتعمدت عمتي عدم التدخل في رد الهجوم الدائم عليّ.

في الفترة الأخيرة زاد إحساسي بالرفض وعدم التقدير وأثر هذا على نفسيتي، عدت إلى الحالة التي كنت عليها قبل السفر، ساءت حالتي النفسية لكني أخفيت هذا عن عمتي، وتواصلت مع «د/ إلينا» وعرضت عليها الأمر، نصحتني بمواجهة الماضي ومصالحة نفسي.

لا أدري كيف أخبرت «يوسف» بهذه الأمور، كيف بحت له عن إقامتي في المؤسسة وعن الفيلم، لعنة الله على انفلات لساني، كيف سيفكر فيّ الآن.

بعد أعوام من الكتمان تحدثت مع شاب لا أعرفه وبحت له بكل شيء، وبت أطلب نصحه ومشورته قبل أي قرار، أيام ويتم عرض الفيلم في الحفل ويفتضح أمري في المؤسسة.

لو تراجعت سيظن «يوسف» أني ضعيفة، لم يعد هناك مجال للتراجع عما ورطت نفسي فيه انتهى الأمر، فيا لكتمانٍ أضاعه الغباء واغتالته لحظة بوح!

هذا ما كان ينقصني، ارتباط وتعلق بموظف سيرحل في أي لحظة وينساني، ويتركني أتعذب بالتعلق به والتفكير فيه، أنا أكرر أخطاء الماضي

بحذافيرها هذا ما حدث مع «يامن»، الكتمان والتجاهل هو الحل الآن حتى لا أعاني مرة أخرى.

استسلمت للأرق وتركت فراشي وأحضرت دفتري، وبدأت من عند آخر فقرة توقفت فيها، هذه الفترة ساعدتني في تغيير شخصيتي ودفن الماضي.

غادرت المشفى وأنا أتوكأ على عصاي بعد أن أخبرني الأطباء أن إصابتي مزمنة وما زلت أحتاج إلى علاج طبيعي، أقمت في شقة والدي ومعي الدادة «أم فاروق»، لم يتخل عني «كريم»، كان يمضي النهار معي ويتركني في الليل، ويعود في الصباح، إلى أن استأذنت الدادة في قضاء العيد مع أسرتها وغادرت ليلة العيد.

أمضينا ليلة العيد أمام التلفاز نتنقل من فيلم إلى آخر دون ملل إلى أن جاء الليل، تركني «كريم» وأمضى ليلته في السيارة أمام البناية تحسبًا لحدوث أي أمر طارئ، وهاتفني على الجوال، ظل يتحدث معي حتى غفوت، وعاد في الصباح.

- صباح الخير يا «حور».

- صباح الخير يا «كريم».

- كيف حالك اليوم هل نمتِ جيدًا يا «حور»؟

- الحمد لله بخير، نعم ساعدتني حبوب المهدئ على النوم.

- كل عام وأنت بخير يا «حور»، والعام القادم نجتمع في عرفات.

- وأنت بخير يا «كريم».

- هل تحدثت إلى عمتي؟

- نعم، اتصلت بها وعايدتها.

- كيف حالها؟

- بخير، وسألتني عنك.

- كنت أتمنى أن تقضي العيد معنا.

- وهي أيضًا يا «حور» لكن لم تتمكن من اللحاق بالرحلة العائدة من الخارج في الوقت المناسب.

- متى ستعود؟

- غدًا، سأذهب لاستقبالها في المطار.

- أنا لا أعرف كيف أعتذر عن ما فعلته في حقك يا «كريم» خلال السنوات الماضية.

لم يمنحني «كريم» فرصة مواصلة الاعتذار وقاطع حديثي قائلًا:

- أنت بمثابة أختي الوحيدة يا «حور»، لن تتخيلي كيف كانت حالتي أثناء احتجازك داخل غرفة العمليات، أعياني قلقي عليك.

- هل يمكن أن تغفر لي إساءتي يا «كريم»؟

- انسي ما حدث يا «حور»، أنت لا تعلمين معزتك داخل قلبي.

قالها بصدق وبعدها سكت قليلًا وأكمل:

- أتعلمين يا «حور» كنت أعتقد أنك شقيقتي، وأقنعت والدي بإحضارك للإقامة معنا، لكن جدك رفض، وظل والدي يخبرني أننا لسنا شقيقين، كنت أرفض تصديقه وأردد دومًا أنك أختي بدليل التشابه بين لون بشرتي وشعري ولون بشرتك وشعرك.

استمعت إليه في دهشة، كيف أغمضت عيني عن محبة «كريم»، أكمل حديثه:

- «حور» أنا أخبرتك بهذا حتى نتدارك ما فاتنا، أردت أن تعرفي حجم معزتك عندي.

- هل ما زلت تعتبرني في منزلة أختك يا «كريم»؟

- أنا لا أجيد التعبير يا «حور»، دعي الأيام تثبت لك.

وأكدت الأيام صدق «كريم» وإخلاصه.

- ما الأمر يا «حور» هل حدث ما يزعجك؟

- لقد تركت ملفًا هامًا في الفيلا.

- ما محتوى هذا الملف يا «حور»؟

- أوراق خاصة بي وسندات ملكيتي في أسهم المؤسسة، وبطاقة حسابي البنكي ومعها الرقم السري، إلى جانب رقم حسابي البنكي وديعتي في البنك.

- ولماذا تركتِ الملف يا «حور» لمَ لم تحضريه معك؟

- لم أتذكر يا «كريم». أخشى أن يعود «يامن» إلى الفيلا ويعثر عليه.

- حسنًا يا «حور» لا داعي للقلق، غدًا سأذهب إلى الفيلا وأحضر الملف.

- لا أطيق الانتظار إلى الغد، دعنا نذهب الآن من فضلك يا «كريم».

- لكن ماذا عن إصابتك؟

- لا تقلق أستطيع الاعتماد على قدمي السليمة والعصا.

- حسنًا استعدي وسأنتظرك في السيارة.

- لا، سأذهب هكذا لا داعي لإضاعة المزيد من الوقت.

- بمنامة البيت يا «حور»؟

- نعم هيا.

ذهبنا إلى إحضار الملف، ولم ننتبه إلى أن «يامن» كان يتبعنا ويسير خلفنا في طريق العودة.

عدت إلى شقتي وذهب «كريم» لشراء العشاء، تركت باب الشقة دون أن أحكم إغلاقه من أجل «كريم»، وذهبت إلى المطبخ، عدت إلى غرفتي وفوجئت بوجود «يامن»، فتسللت إلى خارج الشقة وأخذت المصعد وتركت البناية وأنا أرتجف من الخوف.

رأيت «كريم» يقف أمام محل الأطعمة في الجهة الأخرى من الطريق، اتجهت إليه ولم أنتبه أثناء عبور الطريق، فصدمتني إحدى السيارات ودفعتني إلى أعلى بقوة، سقطت بعدها على جانب الطريق فاقدة الوعي، أفقت بالمشفى في لندن، بعد يومين قضيتهما في حالة لا وعي بتأثير الأدوية.

أفقت من نومي فزعة على حلم جديد، لا أدري متى غفوت، نمت أثناء مطالعتي دفتر ذكرياتي، ورأيت الشاب الذي يزورني في كل منام يهمس في أذني (سنلتقي). أخشى أن يكون هذا إنذار بعودة «يامن».

اقترب موعد ذهابي إلى العمل، تركت فراشي وبدأت نشاطي الصباحي، غادرت شقتي مبكرًا عن موعدي المعتاد، وصلت إلى المؤسسة قبل موعد العمل بفترة.

دلفت لمكتبي ومعي كوب من القهوة، وجدت في انتظاري أكوامًا من ملفات الطلبة تحتاج إلى إعادة مراجعة وتنظيم، وعددًا من مقابلات العمل من

أجل الوظيفة الشاغرة، إلى جانب تطوير لعب تنمية القدرات الموجودة على موقع المؤسسة، أحضرت حاسوبي النقال من الحقيبة وأدرت موسيقى «ثلاثي جبران» وبدأت العمل في اندماج كامل مع العزف.

- صباح الخير «أ/ ياسمي» طرقت الباب عدة مرات.

- صباح الخير «د/ يوسف» معذرة انهمكت في العمل ولم أنتبه.

- لا عليك، أود أن أعرفك بـ«رفيف» المعلمة التي حدثتك عنها بالأمس.

التفتّ إلى الفتاة التي جاءت في صحبة «يوسف»، كانت فتاة طويلة القامة، شقراء شديدة الجمال، ترتدي فستانًا طويلًا وفضفاضًا وتغطي شعرها بحجاب أنيق، هذه هي محبوبته إذًا كما توقعت جميلة ومتدينة، تركت مكتبي ورحبت بها.

- أهلًا وسهلًا «أ/ رفيف» تفضلي، تفضل يا دكتور.

- شكرًا لك «أ/ ياسمي».

أطالت النظر إليّ بنظرة إعجاب، حمدت الله أني تأنيت في انتقاء ثيابي اليوم، كنت أرتدي فستانًا بلون الورد يضيق من فوق الخصر ومنتفش أسفله وأسدلت شعري على ظهري.

بادرتها قائلة:

- ما هو مشروبك المفضل «أ/ رفيف»؟

- كوب من القرفة مع الحليب إن أمكن، ولا داعي للألقاب من فضلك.

- حسنًا «رفيف» لكن على أن تتعاملي معي بالمثل.

هاتفت الكافتريا طلبت كوب القرفة وكوبين من القهوة المخفوقة بالفانليا.

أحرجني «يوسف» قائلًا في مرح:

– كم أنت محظوظة يا «رفيف» تتمتعين برفاهية سؤالك حول ما تفضلينه.

امتقع وجهي من الخجل ولم أجد ردًا فسكت.

أنقذتني «رفيف» قائلة:

– لا عليكِ من هذا المشاكس يا «ياسمي» هو يعشق القهوة المخفوقة.

لم أجبها، أكملت:

– لم يخبرني أخي أنك فاتنة إلى هذه الدرجة يا «ياسمي».

زمجر «يوسف» محذرًا.

انتبهت «رفيف» وحاولت إصلاح ما قالته:

– أقصد أنه لم يخبرني أنك جميلة يا «ياسمي».

امتقع وجه «يوسف» ورماها بنظرة استنكار، أسرعت تقول:

– عفوًا أقصد أن «يوسف» لم يخبرني شيئًا عنك، نحن لا نتحدث عنك من الأساس.

انفجرت ضاحكة من عفويتها وارتباكها.

صاح «يوسف» قائلًا:

– «رفيف» من فضلك انتبهي لحديثك.

– دعها على راحتها يا «د/ يوسف»، فهمت قصدك يا «رفيف».

هتفت «رفيف» في حماسة:

- أرأيت ما قالته «ياسمي» دعني على راحتي.

استمعت إليهما في مرح:

- أعتذر عن هذه الضجة يا أستاذة.

- لا داعي للاعتذار، لم يحدث ضجة يا دكتور.

قاطع حديثنا دخول عامل الكافتريا.

- تفضلي يا «رفيف» مشروبك، تفضل قهوتك يا دكتور.

اندمج «يوسف» في العمل، وتبادلت الحديث مع «رفيف».

- شكرًا لك يا «ياسمي» على وقتك وسعة صدرك.

- لا داعي للشكر، أنا سعيدة بلقائك يا «رفيف».

- هذا من ذوقك وكرمك يا «ياسمي»، أنا أيضًا.

- لا تؤاخذيني على ثرثرتي، أنا مستعدة لإجراء مقابلة العمل.

- لا عليك يا «رفيف»، من فضلك أطلعيني على ملفك الخاص.

- تفضلي هذا ملف أوراقي وشهاداتي الدراسية والعملية.

تناولت الملف منها واطلعت عليه وتأكدت أنها جديرة بالعمل، أجريت المقابلة معها، ووجدتها تتقن اللغة الإنجليزية وجديرة بالحصول على الوظيفة.

- أتمنى أن تسعدي بالعمل معنا يا «رفيف».

- هل تم قبولي حقًا؟

- نعم يا «رفيف» سنوقع عقد العمل الآن، هل تفضلين أن يكون عقدًا محدد المدة أم بإخطار إلغاء مسبق مثل «يوسف»؟

- أرغب أن يكون عقد عملي مثل «يوسف»، شكرًا لك يا «ياسمي»، كنت قلقةً جدًا ومرتبكة من مقابلة العمل.

- هل يناسبك بدء العمل غدًا يا «رفيف»؟

- هل أستطيع تأجيل استلام الوظيفة قليلًا؟

- ما الأمر «رفيف»؟

- لدي طفل صغير لا أعرف مع من سأتركه.

- لمَ لا تدعينه يلتحق بأحد مراكز رعاية الأطفال؟

- «إياد» يعاني من صعوبة في النطق ولديه رهاب اجتماعي ويحتاج إلى عناية خاصة.

- لدينا في المؤسسة قسم خاص برعاية الأطفال، أحضريه معك غدًا يا «رفيف» وسأجهز ملفًا بحالته.

- هل هذا ممكن؟

- نعم أحضري معك التقارير الخاصة بحالته النفسية.

- لا أدري كيف أشكرك يا «ياسمي» أعتذر عن إزعاجك وإهدار وقتك.

- لا عليك يا «رفيف» هذا واجبي، الآن بقي أن تتعرفي على طبيعة العمل.

- حسنًا، أنا مستعدة لهذا.

- ستجري «أ/ ماجدة» المسؤولة عن قسم اللغة الإنجليزية مقابلة معك وتطلعك على نظام العمل وسأنتظرك بعد ذلك.

غادرت «رفيف» المكتب وبادرني «يوسف».

- شكرًا لك يا أستاذة.

- العفو، هذا عملي و«رفيف» شخصية مميزة وجديرة بالوظيفة.

- لقد انتهيت من مراجعة ملفات الطلاب وسأبدأ بتنفيدها داخل المجلد.

- جيد يا دكتور، سأرسل إليك الآن الملفات التي انتهيت منها.

- جيد، سأقوم الآن بجولة للتعرف على الطلاب وسأستكمل مراجعة باقي الملفات عند عودتي.

- حسنًا، تفضل يا دكتور.

عدت إلى العمل بعد مغادرة «يوسف» وعادت «رفيف» إلى مكتبي بعد ذلك.

- كيف سار لقاؤك مع «أ/ ماجدة» يا «رفيف»؟

- جيد، سأبدأ العمل مع طلاب المرحلة الثانوية في بداية الأسبوع القادم.

- حسنًا، سأكون في مساعدتك يا «رفيف» حتى تعتادي على نظام العمل.

قاطع حديثنا عودة «يوسف»، بادرته «رفيف»:

- استلمت جدول محاضراتي وسأبدأ العمل مع بداية الأسبوع المقبل يا «يوسف».

- بالتوفيق يا أختي.

قالها وتطلع نحوي بوجوم أتبعه سائلًا:

- هل هذا يعني أن «رفيف» ستتعامل مع الصف الذي يدرس فيه «ساندي وجاسر»؟

- نعم يا دكتور وسأرسل إلى «رفيف» ملفات الطلاب وأتابع معها سير العمل حتى تعتاد عليهم. «رفيف» غدًا سأنتهي من تفنيد الملفات الخاصة بطلاب الصف الثانوي وسأرسل إليك نسخة.

- حسنًا سأحضر حاسوبي النقال معي، هل ترغبين في المساعدة يا «ياسمي»؟

- هل يمكنك التعامل مع الألعاب الإلكترونية يا «رفيف»؟

- نعم الأمر بسيط لكن أخبريني لمَ يا «ياسمي»؟

- قمت بتصميم ألعاب جديدة ورفعتها على موقع المؤسسة، هل يمكنك اختبار أدائها وسرعتها؟

- نعم بالطبع، هل أنت مهندسة برمجة إلكترونية يا «ياسمي»؟

- لا يا «رفيف»، لكن لدي خبرة في هذا المجال والتحقت بالعمل في مركز إلكترونيات ساعدني على التعلم.

- جيد هذا مجال رائع.

قمت بإدخال «رفيف» على موقع المؤسسة الإلكتروني من خلال الحاسب الآلي الموجود في مكتبي.

- شكرًا على مساعدتك يا «رفيف»، أخبريني إذا واجهتك صعوبة.

- لا داعي للشكر يا «ياسمي»، أنا سعيدة بالعمل معك، بإمكانك اعتباري صديقتك.

- يسعدني هذا للغاية يا «رفيف».

انهمكت «رفيف» في تجريب الألعاب، وبدأت حوارًا مع «يوسف»:

- أحتاج إلى مساعدتك بخصوص تنظيم الحفل يا «د/ يوسف».

- تفضلي يا أستاذة.

- هل لديك فكرة عن طريقة إعداد ميزانية الحفل؟

- للأسف لا أجيد التعامل مع الأمور الحسابية.

فكرت في من يجيد التعامل مع هذه الأمور وتذكرت «كريم»، واصلت الحديث:

- لدي شخص أثق به وفي إمكانه مساعدتنا في وضع ميزانية الحفل وأيضًا إعداد الطعام.

- حقًا يا أستاذة؟

- نعم لكن تبقى مشكلة إقناعه بالعمل معنا.

أجابني «يوسف» في حماس:

- لا داعي للقلق، أنت لديك موهبة الإقناع يا أستاذة.

- سأتصل به الآن وأحاول إقناعه.

- مرحبا «كريم» كيف حالك؟

- الحمد لله بخير يا «ياسمي»، ما سر هذا الاتصال السعيد؟

- أحتاج حضورك غدًا إلى القاهرة يا «ياكريم» هناك أمر هام.

- لن أستطيع الحضور قبل عطلة الأسبوع يا «ياسمي» أخبريني ما الأمر؟

- أحتاج إلى وجودك في مكتبي يا «كريم» وليس على الهاتف.

- «ياسمي» أخبريني ما الأمر وسأحاول المجيء.

- سأتولى تنظيم الحفل السنوي للمؤسسة يا «كريم» وأحتاج إلى مساعدتك.

- وما دخلي بتنظيم الحفلات يا «ياسمي»!

- أريدك أن تقوم بوضع ميزانية الحفل.

- كيف سأترك المطعم؟

- بإمكان العمة «روفي» تدبر الأمر، هي في الإسكندرية الآن.

- ليس لدي خبرة في مجال الحفلات يا «ياسمي».

- لا داعي للقلق يا «كريم» أنت ستتولى العمل في مجالك.

- لا أعرف يا «ياسمي».

- سأنتظرك غدًا يا «كريم» في مكتبي لا تتأخر.

- انتظري لم أقرر الحضور بعد يا مستبدة.

- شكرًا على مساعدتك يا «كريم»، نلتقي غدًا.

أنهيت الاتصال وبادرني «يوسف»:

- أنت لا تقبلين بالرفض يا أستاذة.

دعتني «رفيف» على العشاء في نهاية اليوم.

– مارأيك يا «ياسمي» أن تنضمي إلينا لتناول العشاء.

رمقتها باستغراب، فواصلت:

– لم أقصد التطفل عليك وصلني حديثك أثناء المكالمة، وعلمت بأمر تناولك الطعام وحيدة.

– لا عليك «رفيف»، أنت شخصية طيبة وودودة للغاية، لكن سامحيني أنا متعبة اليوم.

– حسنًا دعينا نؤجلها إلى الغد ولن أقبل بالرفض.

– اتفقنا، أراك على خير يا «رفيف».

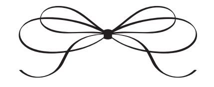
– إن شاء الله «ياسمي».

غادرت المؤسسة واتجهت إلى منزلي، وصلت وأبدلت ثيابي وأعددت كوبًا من الشوكولاتة الساخنة، وذهبت إلى فراشي ومعي الكوب ودفتر الذكريات، تركت الدفتر جانبًا وانشغلت بالتفكير فيما حدث أثناء نهاري.

كان يومي ناجحًا وانتهيت من عدة أمور، ووجدت من تستحق وظيفة ملقنة اللغة الإنجليزية.

«رفيف» شخصية جذابة وودودة وأحببت التعامل معها.

اهتزت يدي وأنا أحمل كوب الشوكولاتة وانسكب على الدفتر، نهضت فزعة وحاولت إنقاذ ذكرياتي من الضياع.



«يـــوســف»:

لم تتوقف «رفيف» عن الحديث عن «ياسمي» منذ تركنا المؤسسة، كانت مبهورة بشخصيتها وراحت تعدد مميزاتها.

انشغلت في القيادة ولم أشارك في الحديث، على الرغم من أني كنت منشغلًا بالتفكير فيها.

تعاملت «ياسمي» بود مع أختي وبدون تكلف رغم منصبها، وحازت على ثقة «رفيف» بسهولة.

توقفت «رفيف» عند جيرانها لإحضار «إياد»، ودعتها وعدت إلى شقتي قبل أن تلحق بي وتكمل ثرثرتها، وعادت بعد أن أبدلت ثيابها واطمأنت على صغيرها، وجاءت إلى شقتي سريعًا وبدأت محاصرتي بأسئلتها.

- لماذا تعيش «ياسمي» مع عمتها، أين عائلتها يا «يوسف»؟

- لا أعرف، وإياك أن تتطفلي عليها وتسأليها.

- بالطبع لن أسألها، لست فضولية يا «يوسف».

- واضح يا «رفيف».

سكتت قليلًا وعادت للثرثرة:

- من «كريم» هذا يا «يوسف؟

- لا أعرف.

- هل كل إجاباتك لا أعرف!

- نعم يا «رفيف» أنا لا أعمل مع مكتب المباحث الفيدرالية مثلك.

- حسنًا يا «يوسف» سأذهب إلى النوم لدي عمل في الصباح المبكر، تصبح على خير.

- وأنت بخير.

ذهبت إلى غرفتي واتجهت إلى فراشي وغفوت سريعًا من شدة الإرهاق، استيقظت قرب الفجر أديت صلاتي، وبدأت في مراجعة الملفات التي تنتظرني.

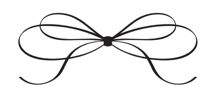
قاطعني مجيء «رفيف» وبادرتني:

- ألم تبدل ثيابك بعد، تأخرنا يا «يوسف».

- فيم العجلة، ما زال الوقت مبكرًا؟

- هيا يا «يوسف» سأنتظرك في شقتي.

أغلقت حاسوبي وجمعت ملفات العمل، وأبدلت ثيابي واتجهت إلى شقة «رفيف»، حملت «إياد» الغاضب من استيقاظه المبكر واتجهنا إلى المؤسسة.



(إعادة التأهيل)

«ياسمين»:

أمضيت الليل في توتر وقلق، كدت أفقد ذكرياتي بعد أن انسكب مشروب الشوكولاتة على دفتري، أنقذت دفتري وقمت بتنظيفه قدر الإمكان.

ماذا سأفعل لو فقدت دفتري، كيف أضمن أن لا يتكرر ما حدث؟ لا جدوى من طباعة الدفتر فالأوراق تتلف بسهولة. حتمًا هناك طريقة أنقذ بها ذكرياتي من الضياع، لكن ما هي؟

اهتديت إلى طريقة أحفظ بها ذكرياتي بعد طول تفكير، سأقوم غدًا بنسخ أوراق الدفتر على شريحة نقل البيانات حتى أضمن عدم ضياعها.

اتجهت إلى المطبخ وأعددت كوبًا من القهوة وأحضرت دفتري، وعدت إلى ذكرياتي.

أفقت داخل المشفى لأجد نفسي محاطة بالأجهزة الطبية، وإلى جواري جهاز التنفس الصناعي بعد أن تعرضت إلى أزمة قلبية داخل غرفة العمليات.

حضرت عمتي إلى زيارتي وبدأت تتحدث معي وتواسيني:

- أعلم حجم مصابك يا «حور» لكن في النهاية هذا قضاء اللّه، واللّه رحيم بنا، أقدار اللّه كلها خير يا ابنتي، والحمد للّه هذا أفضل من العجز الكلي.

أجبتها بوجوم:

- خيرًا يا عمتي.

- لا أحب أن أراك يائسة هكذا يا «حور»، لا تقطعي الأمل في اللّه وواظبي على الصلاة والدعاء.

- أنا لست يائسة يا عمتي أنا واقعية فقط.

- الدعاء يغير مجرى القدر يا «حور»، ودعوة المضطر مستجابة.

- حقًا إذًا لمَ لم يغير الدعاء قدري مع «يامن»؟ أنا في وضع المضطر هذا منذ الأزل يا عمتي.

قلت في نفسي: ما نفع دعائي إن كانت الأبواب مغلقة في وجهي؟ حتى صلاتي لا تقبل.

- «يامن» كان شرًا وأراد اللّه أن يصرفه عنك، ادعي بيقين وصبر يا «حور» ولا تتعجلي الإجابة.

من أين لي باليقين؟ سؤال تردد داخلي دون إجابة.

مجيء «كريم» أنقذني من حديث عمتي.

- حمدًا للّه على سلامتك يا «حور»، لن أترك هذا الحقير ينجو بفعلته.

- سلمك اللّه يا «كريم»، متى سنعود إلى مصر؟

أجابتني عمتي: ليس الآن فأمامك فترة علاج طبيعي وتأهيل نفسي.

- حسنًا متى سأغادر هذا المشفى؟

- ما زال الوقت مبكرًا على مغادرة المشفى يا «حور».

هتفت في انفعال:

- لا يا عمتي لن أبقى هنا أريد مغادرة المشفى غدًا.

ربتت عمتي على كتفي وضمتني إليها ورحت أبكي في وهن.

- اهدأي يا بنيتي ستمر فترة علاجك سريعًا، أنا معك ولن أتركك خلالها.

حصلت على تصريح الخروج في اليوم التالي، بعد إلحاح وضغط على عمتي.

نصحني الطبيب بالخضوع إلى جلسات تأهيل نفسي لتجنب الآثار النفسية الناتجة عن إصابتي بالعجز، ومنحتنا الممرضة بطاقة خاصة بمؤسسة تأهيل نفسي مشهورة في لندن.

خرجت من المشفى وأنا على كرسي متحرك وفقدت القدرة على استخدام يدي اليسرى وفشلت في الاستعانة بيدي اليمنى.

استأجرت عمتي شقة مؤقتة حتى أنتهي من علاجي، كنت أمضي النهار في غرفتي مع الكتب وأهرب إلى النوم في الليل، كانت نفسيتي مدمرة بعد أن فقدت كل شيء، كيف سأواصل حياتي بعد أن صرت عاجزة، كيف سأعود إلى دراستي بعد أن فقدت يدي!

ساءت حالتي النفسية ورفضت مغادرة المنزل، وتجاهلت مواعيد استشارتي الطبية، وتجنبت الجلوس مع عمتي و«كريم»، لم تتوقف عمتي عن إلحاحها على ذهابي إلى مؤسسة إعادة التأهيل.

استيقظت في أحد الأيام على حلم غريب، حفزني على الذهاب إلى مؤسسة التأهيل.

رأيت نفسي أقفز داخل حلقات دائرية كبيرة معلقة بين السماء والأرض داخل ملعب رياضي وجسدي يمر عبر الفراغ الموجود داخل كل حلقة، وكان الشاب الذي يزورني في أحلامي يشجعني ويهتف لي بانبهار، استيقظت من النوم وأنا أشعر بالتفاؤل.

خرجت من غرفتي وأنا أتوكأ على عصاي وأقاوم آلام قدمي، كانت هذه هي أول مرة أسير فيها بدون الكرسي المتحرك.

وجدت عمتي و«كريم» في الصالة، بادرتهما بتحية الصباح:

- صباح الخير يا «روفي»، صباح الخير يا «كريم».

رد كلاهما:

- صباح الخير يا «حور».

نهض «كريم» لمساعدتي، لكن رفضت وواصلت السير إلى الأريكة.

- أنا بخير «كريم» شكرًا لك.

قالت عمتي في تشجيع:

- أعانك الله يا «حور».

وصلت إلى الأريكة وجلست، أحضرت عمتي الفطور، وتبادلنا الحديث حول ذهابي إلى مؤسسة التأهيل النفسي، ووافقت على الذهاب مستبشرة بالمنام الذي رأيته.

بادرني «كريم» بحماس:

- حسنًا لمَ لا نذهب الآن يا «ياسمي»؟

- أجلها إلى الغد يا «كريم» حتى أتمكن من الذهاب معكما، لدي اليوم مكالمات هامة بخصوص سير العمل.

- لا داعي لمجيئك يا عمتي سأذهب مع «كريم».

- لكن ربما احتجتِ إلى مساعدة يا «حور».

- سأكون بخير اطمئني يا عمتي، سأبدل ثيابي وألحق بك يا «كريم».

عدت إلى غرفتي وارتديت فستانًا فضفاضًا يصل إلى أسفل قدمي ومعه معطف طويل وجمعت خصلات شعري داخل قبعة من الصوف، كان هذا هو نمط ثيابي في هذه الفترة نظرًا لإصابتي.

أخذت ملفي الطبي وغادرنا الشقة، استقلينا سيارة أجرة وذهبنا إلى المؤسسة، استقبلتنا «د/ إلينا» في مكتبها.

كانت دكتورة «إلينا» شابة في الثلاثينات من عمرها، تمتلك قوامًا رياضيًا وبشرةً شقراء، روسية الأصل وحاصلة على ماجستير في علم النفس ومختصة في علم الطاقة البشرية، تتسم بالحزم والصلابة، وتقوم بإعداد الدكتوراه في استخدام علم الطاقة في العلاج.

استقبلتنا بود:

- مرحبًا تفضلا، أتشرف بك؟

- مرحبًا بك يا دكتورة، «حور».

- أهلًا بك يا «حور»، معك «د/ إلينا» سأشرف على حالتك.

- أهلًا وسهلًا بك يا دكتورة.

- ما هي شكواك؟

- هذا هو ملفي الطبي فيه شرح تفاصيل حالتي.

استغرقت «إلينا» وقتًا في الاطلاع على الملف، واستأذنت منا في الذهاب إلى استشارة طبيب فيزيائي مختص وعادت بعد فترة.

- لا أود أن أتسبب في إحباطك يا «حور» لكن إصابتك بالغة الخطورة ونسبة شفائك ضئيلة وتعتمد بالأساس على قوة تحملك.

- حسنًا، أنا على استعداد لخوض المحاولة يا دكتورة.

- أسلوب العلاج هنا يعتمد على علم الطاقة البشرية والبرمجة اللغوية والعصبية.

- ما هو علم الطاقة البشرية يا دكتورة؟

- سأحاول أن أشرح لك علم الطاقة بشكل مبسط يا «حور»، كل إنسان منا لديه قدرة وطاقة كامنة في داخله لا يجيد الاستفادة منها، هنا يأتي دور علم الطاقة البشرية فهو يساعد الإنسان على اكتشاف قدراته الذهنية وطاقته الجسدية بشكل جيد، فهمتِني يا «حور»؟

- نعم يا دكتورة، لكن ما هي حدود هذه القدرة أو الطاقة؟

- لم يصل العلم إلى معرفة حدود العقل البشري حتى الآن، مثلًا هناك أشخاص لديهم قدرة عقلية عالية على التركيز، هذه القدرة تمكنهم من تحريك الأشياء من موضعها من على بعد بواسطة العين ومن خلال النظر إلى الهدف المراد تحريكه.

- لكن هذا يعتبر نوعًا من أنواع السحر يا دكتورة.

- لا يا «حور» هذا الأمر نوع من أنواع الطاقة يعرف بطاقة التركيز، وهناك قانون يسمى «قانون التركيز» وهو يعني أن ما تركز عليه تحصل عليه.

بمعنى: إنسان يركز على الأمور الطيبة في حياته سواء كانت وظيفة، أسرة، صحة أو غنى إلخ. سيظل يحصل على المزيد من هذه الأشياء، شخص آخر يركز على المعاناة الموجودة في حياته ستظل تتفاقم وتزداد، التركيز طاقة ونحن نمد الأمور التي نركز عليها بالطاقة.

- لا أدري يا دكتورة أول مرة أسمع بهذا الأمر، لكن أظن أنه يشبه آية عندنا فيها معنى نفس كلامك، النعم والأشياء الطيبة تزداد بالشكر.

«وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم».

- نعم هناك أيضًا قانون النية أعرف أنكم تعطون النية أهمية كبيرة أليس كذلك؟

- نعم يا دكتورة بالفعل هذا صحيح.

- حسنًا هناك قانون في علم الطاقة يدعى قانون النية، وهو مكمل لقانون التركيز، لأن النية تمد الإنسان بالطاقة للقيام بما يرغب به.

- حقًا يا دكتورة!

- نعم يا «حور» ستتعرفين على علم الطاقة واستخدامه من خلال المحاضرات التي نقدمها داخل المؤسسة، هذه لمحة مختصرة عن علم الطاقة البشرية.

- حسنًا ما هي البرمجة اللغوية والعصبية، معذرة على كثرة أسئلتي.

- لا عليك يا «حور» يسعدني اهتمامك بالمعرفة، البرمجة اللغوية والعصبية هي أداة تساعدنا على برمجة أفكارنا وتغييرها إلى أفكار إيجابية وانتقاء أسلوب تعبيرنا، الكلمة لها طاقة.

كل شيء في الكون له طاقة حتى الأفكار والكلام، والطاقة تجذب شبيهتها فالأفكار الإيجابية تجذب ما يماثلها والعكس أيضًا، والكلام الطيب يجذب شبيهه، التفكير في المعاناة والتركيز عليها يزيدها ويقويها، والتفكير في الوفرة والسعادة يجذبها وينميها.

ببساطة علم البرمجة اللغوية والعصبية هو علم تعديل السلوك من خلال تغيير طريقة التفكير وأسلوب التعبير من السلبي إلى الإيجابي، هل الأمر واضح الآن يا «حور»؟

- نعم فهمت الآن لمَ تعتبر الكلمة الطيبة صدقة.

- نعم كما أخبرتك للكلمة طاقة والطاقة شعور، نحن لا نرى الطاقة لكنها تؤثر في أفكارنا ومشاعرنا.

- هل سيساعد علم الطاقة هذا على شفائي من العجز؟

- علم الطاقة يساعدك على اكتشاف قدراتك واستخراج قوتك، شفاؤك يا «حور» يحتاج إلى الصبر والمثابرة، هل لديك استعداد للتفرغ طوال فترة العلاج والالتزام بالبرنامج العلاجي؟

- نعم يا دكتورة ليس لدي ما يشغلني.

- حسنًا متى يمكنك البدء يا «حور»؟

- في الغد إن أمكن يا دكتورة.

- اتفقنا أريد منك الإجابة على هذا الاستبيان حتى أعرف وضعك النفسي.

- حسنًا لكن أنا لا أجيد الكتابة باليد اليمنى.

- سنستخدم التسجيل الصوتي إذًا.

ناولتني «إلينا» مسجلًا صوتيًا وبدأت الإجابة على الأسئلة، تحدثت «إلينا» مع «كريم» وطلبت منه ملء استبيان آخر يدور عني أيضًا.

استغرقنا وقتًا طويلًا داخل المؤسسة وخضعت إلى فحص طبي شامل، كانت حالتي الصحية سيئة في هذه الفترة.

عدنا إلى مكتب «إلينا».

- راجعت إجاباتك على الاستبيان يا «حور» ووجدت أن لديك عدة مشكلات نفسية تعود إلى فترة الطفولة.

- حسنًا أنا على استعداد للقيام بما يلزم.

- برنامجك العلاجي يحتم بقاءك معنا في المؤسسة.

- ما هو نظام العلاج الخاص بي؟

- جلسات علاج طبيعي وتمارين رياضية تتناسب مع وضع إصابتك وجلسات إعادة تأهيل نفسي تتم داخل مجموعات، سأكون معك خلالها لمتابعتك، إلى جانب جلسات التعديل السلوكي وهذه سنقوم بها معًا وهي لعلاج الاضطرابات التي حدثت معك في فترة الطفولة، مع محاضرات عن علم الطاقة البشرية وكيفية الاستفادة منها.

- حسنًا أنا مستعدة.

- حماسك واستعدادك النفسي يا «حور» سيسهل علينا العلاج، أخيرًا لدينا برنامج غذائي يجب عليك اتباعه وهناك مواعيد للنوم والصحو.

- حسنًا.

- ولا داعي لذهابك إلى المشفى بعد الآن سيتابع الطبيب المختص حالة إصابتك وسيتولى صرف الأدوية.

- جيد يا دكتورة.

- هناك فصول دراسية حرة تابعة للجامعة إذا أردتِ متابعة دراستك، وهناك وسيلة نقل توفرها المؤسسة لمساعدتك على التنقل من وإلى الجامعة، وأقترح عليك الاستفادة من البرنامج الدراسي خلال فترة بقائك يا «حور».

- حسنًا يا دكتورة سأجهز الأوراق اللازمة.

- حسنًا يا «حور» سنوقع الآن على استمارة تعهد، أتعهد فيها بالقيام بواجبي والحفاظ على سرية الحديث بيننا، وتتعهدين بعدم الإخلال بالبنود التي اتفقنا عليها.

- لا أرغب في استخدام اسم «حور» أثناء وجودي بالمؤسسة يا دكتورة وأريد أن أستبدله بلقب آخر.

- حسنًا أمر بسيط، لكن هل يمكنني معرفة السبب؟

- هذا الاسم يذكرني بالأمور السيئة التي حدثت في الماضي.

- هل لديك اسم آخر أقوم بتسجيلك به داخل المؤسسة؟

- لا يا دكتورة.

- هل يمكنني أن أقترح أسماء تناسبك؟

- نعم تفضلي يا دكتورة.

- ما رأيك في «لوسيندا» معناه الوجه الحسن؟

- لا أظن أن هذا الاسم يناسبني.

نظرت إليّ «إلينا» في دهشة وأكملت:

- حسنًا ماذا عن «ياسمي»؟ اسم غير متداول، وأظن أنه يعني السمو والترفع.

- هذا جيد.

- مرحبًا بك معنا يا «ياسمي».

- شكرًا يا دكتورة أزعجتك معي.

- على العكس يا «ياسمي» من الواضح أن لديك شخصية تواقة وطموحة، وسيسعدني تواجدي معك في الفترة القادمة.

- أنا متحمسة للبدء.

- حسنًا سألقاكِ غدًا عند السابعة صباحًا، لا تنسي أن تحضري معك ثيابًا قطنية للرياضة.

- حسنًا إلى اللقاء يا دكتورة.

أنهى «كريم» إجراءات التحاقي بالمؤسسة، وجلس في انتظاري.

بادرني:

- اخترت اسمًا غريبًا لكن ما دامت هذه رغبتك فسأناديك به.

ابتسمت قائلة: شكرًا يا «كريم».

- انتظريني يا «ياسمي» سأحضر سيارة أجرة.

- هل يمكنك اصطحابي إلى المركز التجاري يا «كريم» أرغب في شراء ملابس رياضية؟

- حسنًا هيا بنا.

أحضر «كريم» سيارة أجرة وانطلقنا إلى المركز التجاري، اشتريت ثيابًا رياضيةً وحذاءً طبيًا وتجولنا داخل محلات الملابس، اشتريت فساتين وأحذية تتناسب مع الطقس في لندن، وعدنا إلى الشقة.

كانت عمتي تجلس في انتظاري عند عودتي:

- مرحبًا «حور» أخبريني كيف سار الأمر معك؟

- التحقت بالمؤسسة يا عمتي وسأنتقل للإقامة فيها من الغد.

- ماذا! اجلسي يا «حور» وأخبريني بما حدث معك.

- معذرة يا «روفي» أنا منهكة الآن، دعي «كريم» يخبرك بما حدث.

- حسنًا، اذهبي وأبدلي ثيابك وسأعد لك العشاء.

- شكرًا يا «روفي».

ذهبت إلى غرفتي، أبدلت ثيابي وأحضرت جهاز التسجيل الصوتي، سجلت ما حدث معي، أصبحت هذه هي الوسيلة المتاحة أمامي لتسجيل ذكرياتي بعد إصابة يدي.

جاءت عمتي ومعها طعام العشاء، تبادلنا الحديث أثناء تناول الطعام.

كانت «روفي» قلقة من إقامتي في المؤسسة بعيدًا عنها، وأقنعتها بضرورة الأمر.

- حسنًا يا «حور» ما دام هذا من أجل شفائك.

- ناديني باسم «ياسمي» من فضلك يا عمتي.

- لست مع فكرة تغيير اسمك هذه يا «حور».

- حسنًا يا «روفي» أنا أكره اسم «حور».

- حسنًا سأحاول التعود على اسمك الجديد هذا يا ابنتي.

- متى تعودين إلى مصر؟

- وكيف سأعود وأتركك وحدك في بلد غريب يا «حور»؟

- لست وحيدة سأقيم في مؤسسة طبية بها عشرات الأشخاص، وموثوق فيها، وستتولى «د/ إلينا» رعايتي لا داعي للقلق.

- لن أطمئن وأنت بعيدة عني.

- لا تعطلي مصالحك لأجلي يا «روفي»، المؤسسة والعمل يحتاجك.

تدخل «كريم» قائلًا:

- سأبقى قرب «ياسمي» وأهتم بها، لم يعد هناك ضرورة لبقائك يا خالة «روفي».

أكملت الحديث:

- من فضلك يا عمتي أرسلي لي ملفي الدراسي فور عودتك، سألتحق بالجامعة هنا.

- حسنًا يا «حور» لكن عاهديني أن تعودي فور انتهائك من العلاج، وأن تهتمي بصحتك.

- أعدك بهذا يا «روفي»، سأنهض الآن لأحزم حقيبتي.

– اذهبي إلى النوم يا «حور» وسأقوم بترتيب حقيبتك وأغراضك.

أعادني جرس المنبه إلى الحاضر، نهضت سريعًا، وارتديت ثيابي واتجهت إلى العمل، كنت متلهفة للوصول إلى مكتبي لطباعة نسخة من دفتري على شريحة نقل البيانات.

وصلت مبكرًا، كانت المؤسسة خالية من جميع العاملين.

دلفت إلى مكتبي، وأحضرت دفتري وقمت بتوصيل الماسح الضوئي بحاسوبي النقال وبدأت بطباعة دفتري ونسخته إلى شريحة نقل البيانات.

وصل «يوسف» ومعه «رفيف» و«إياد» قبل انتهائي من عملية الطباعة.

– صباح الخير يا «ياسمي».

– صباح الخير «رفيف» أنتِ مبكرة للغاية!

– أعرف أن لديكم ضغط عمل، جئت مبكرًا لمساعدتك.

– شكرًا يا «رفيف» بالفعل أعاني من ازدحام العمل فوق رأسي.

– صباح الخير يا أستاذة.

– صباح الخير يا دكتور، كيف حالك؟

– بخير يا أستاذة، وأبشرك بأني أوشكت على الانتهاء من مراجعة الملفات، ووضعت أسئلة المسابقة.

– جيد يا دكتور.

اقتربت مني «رفيف» وسألتني:

– هل ترغبين في المساعدة يا «ياسمي»؟

- لا عليك يا «رفيف» هذه أوراق خاصة بي، أقوم بطباعتها حفاظًا عليها، لكن بإمكانك مراجعة اللعب على الموقع، أضفت عليها تغييرًا جديدًا بالأمس.

- حسنًا يا «ياسمي».

انتهيت من طباعة دفتري ونسخته إلى شريحة نقل البيانات الخاصة بي، وهتفت بمرح:

- وأخيرًا انتهيت.

- حسنًا، دعينا نتناول الفطور الآن يا «ياسمي» وأطلعيني بعدها على ملفات طلاب صفي.

- لا أظن أن البوفيه بدأ عمله يا «رفيف»، لكن بإمكاني شراء فطور لنا من محل قريب.

- أحضرت الفطور معي يا «ياسمي».

قالتها «رفيف» وهي تضع حقيبة طعام فوق المنضدة.

- تفضلي يا «ياسمي»، تعال يا «يوسف».

ذهبت إلى الطاولة ملبية نداء «رفيف» ولحق بنا «يوسف».

وضعت لي «رفيف» صحنًا به برك الجبن وشطائر بطاطس أعددتها على الطريقة الشامية، لم أقو على مقاومة طعامها الشهي.

- الأكل رائع يا «رفيف» سلمت يداك، متى أعددت كل هذا؟

- بالهناء والشفاء يا «ياسمي»، أعددته في المساء وجهزته في الصباح، أنا أجد متعتي في الطهو، بإمكان «يوسف» أن يخبرك عن موهبتي.

رد «يوسف» مازحًا:

- هذا مكان عمل يا شيف «رفيف» وليس مسابقة طهو.

- حسنًا أنت محروم من طهوي يا «يوسف».

ضحكنا من تهديد «رفيف»، انتهيت من جمع بقايا الطعام وانهمكت في إنهاء ملفات طلاب المرحلة الثانوية، وعادت «رفيف» لإكمال اختبار اللعبة، وذهب «يوسف» للتعرف على باقي الحالات.

- جهزت الملفات الخاصة بطلابك يا «رفيف» وسأرسل إليك نسخة منها.

لم أجد شريحة نقل البيانات الخاصة بالعمل، أخرجت شريحتي الخاصة ونسخت ملفات الطلاب وسلمتها إلى «رفيف» قائلة:

- تفضلي يا «رفيف» انسخي الملفات إلى حاسوبك وأعيديها لي.

أعادت «رفيف» شريحة نقل البيانات ووضعتها داخل حقيبتي.

تركتها تواصل عملها وذهبت إلى صف «ساندي»، استأذنت المعلمة في بعض الوقت وتحدثت إلى الطلاب:

- من منكم يرغب في المشاركة بالعرض المسرحي الخاص بحفل هذا العام؟

أبدت «ساندي» رغبتها في المشاركة وتبعها بعض الطلاب.

- حسنًا، على من يرغب في الاشتراك الحضور إلى مكتبي بعد المحاضرة.

عدت إلى مكتبي ووجدت «كريم» في انتظاري، أجريت تعارفًا بينه وبين «رفيف».

- حمدًا لله على سلامتك يا «كريم».

- سلمك الله يا «ياسمي» أخبريني ما الأمر.

- حسنًا أريد منك إعداد ميزانية الحفل.

- أحتاج إلى معرفة عدد الحضور وتكلفة تجهيزات قاعة الحفل ولائحة الطعام.

- حسنًا سأطلب من «أ/ عزة» نسخة من قائمة المدعوين، وهناك أمر آخر أريد منك القيام به.

- خيرًا يا «ياسمي».

- أريدك أن تشرف على إعداد الطعام الخاص بالحفل.

- هذا لم يكن اتفاقنا بالأمس يا «ياسمي»، أين سأجد مكانًا يصلح لإعداد كمية كبيرة من الطعام إلى جانب الأيدي العاملة؟

- عم «راشد» لديه المكان والإمكانيات المناسبة للطهو والأيدي العاملة، رتب الأمر معه وأخبرني يا «كريم».

عاد «يوسف» أثناء نقاشي مع «كريم»، أجريت تعارفًا بينهما.

ذهب «كريم» إلى محل العم «راشد» للاتفاق على تجهيز الطعام الخاص بالحفلة، وعاد في نهاية اليوم وهو يحمل قائمة الطلبات وتكلفة إعداد الطعام.

أعددت ملف التحاق «إياد» بالمؤسسة وسلمت الكارنيه الخاص به إلى «رفيف».

وأرشدت «يوسف» إلى مكتبه الخاص، أعجبه طراز المكتب وتصميمه، واتفقنا أن ينتقل إليه في الأسبوع القادم.

انتهى اليوم وأعادت «رفيف» دعوتها لي على العشاء، رفضت متحججة بذهابي إلى العشاء مع «كريم»، لكن تدخل «يوسف» ووجه دعوة إلى «كريم».

اعترضت قائلة:

- لا أريد أن أتسبب لك في المزيد من التعب يا «رفيف» بعد هذا اليوم الشاق.

- لا عليك يا «ياسمي» جهزت الطعام في الصباح وهو متوقف الآن على الطهو.

- حسنًا أحضري «إياد» وتعالي إلى سيارتي، اذهب مع «د/ يوسف» يا «كريم».

بادرني «يوسف» قائلًا:

- اتبعيني يا «ياسمي» سأرشدك إلى منزلنا.

انطلق «يوسف» وتبعته إلى منزلهم حتى وصلنا، رحبت بنا «رفيف» في شقتها.

ووضع «يوسف» الصغير في فراشه، اتجهت مع «رفيف» إلى المطبخ وساعدتها في وضع اللمسات الأخيرة على الطعام، كانت «رفيف» طاهية ماهرة وسريعة.

جلس «كريم» و«يوسف» في الخارج يتناقشان حول أمور العمل وتنظيم الحفل.

أعددنا مائدة الطعام، ودعتهما «رفيف» إلى تناول العشاء، وأمضينا الوقت في الحديث عن العمل، غادرنا بعد العشاء.

قمت بتوصيل «كريم» إلى شقته، وعدت إلى منزلي.

سقطت في النوم من شدة الإرهاق، استيقظت قرب الفجر، أحضرت حاسوبي ورتبت الأوراق التي نسختها من دفتري داخل مجلد، ودلفت إلى البريد الإلكتروني وجدت رسالة من «إلينا» تنصحني:

توقفي عن تأنيب نفسك يا «ياسمي» على أخطاء الماضي، عندما نصحتك بمواجهة الماضي كنت أقصد أن تتقبلي أخطاءه وجوانب شخصيتك كاملة، فكري فيما تعلمتِه في المؤسسة واستخدميه، وأخبريني إذا واجهتك صعوبة.

قرأت رسالتها وأحضرت دفتري وعدت إلى فترة تواجدي بالمؤسسة في لندن:

كانت الأيام تمضي سريعًا أثناء فترة إقامتي بالمؤسسة، أستيقظ مبكرًا كل صباح وأرتدي ثيابي وأذهب إلى مبنى المحاضرات، كانت المحاضرة الأولى تتحدث عن علم الطاقة.

تليها فترة راحة أتناول فيها فطوري وفق النظام الغذائي المقرر، بعدها فترة المطالعة وأقضيها في مراجعة ما تم شرحه في المحاضرة وقراءة كتب حول علم النفس.

بعدها تبدأ جلسة العلاج الطبيعي وتليها تمرينات اللياقة البدنية تحت إشراف «د/ إلينا».

وأقضي فترة آخر النهار في جلسات التأهيل النفسي وسط مجموعة من الحالات التي تشبه حالتي النفسية، كنا نجلس في قاعة كبيرة على شكل دائرة ويقوم المختص بتحديد موضوع النقاش، ونتبادل الآراء حول الموضوع المقترح.

كان الموضوع الأول يتحدث عن تعريف الأمان، ولم أجد تعريفًا له وامتنعت عن المشاركة واكتفيت بالإصغاء إلى آراء باقي المجموعة.

وضع أحدهم تعريفًا: العائلة هي الأمان في هذا العالم.

وافقته عندما تذكرت وقوف عمتي و«كريم» معي على مدار الفترة الأخيرة.

رد آخر: الأمان هو أن تستيقظ في بيتك مع عائلتك وأصدقائك داخل وطنك.

هذا التعريف يعبر عني، بعد أن جربت شعور الغربة وتركت منزل الطفولة وغادرت وطني بأكمله وانتقلت إلى مكان بارد لا يشبه دفء وطني.

جاء دوري، اعتذرت عن المشاركة وأعلنت موافقتي على جميع التعريفات التي عرضها زملائي، لم أجد تعريفًا للأمان حتى هذه اللحظة، أشعر دومًا بالخوف دون سبب وأهرب من هذا الشعور بالعمل وممارسة الرياضة.

تعمدت البقاء وحيدة وتجنبت الدخول في علاقات اجتماعية طوال فترة إقامتي في لندن.

كنت أقضي نهاية اليوم في الحديث عن الماضي مع «د/ إلينا»، في كل جلسة تسألني عن حدث أو موقف تعرضت له في طفولتي وترك أثرًا بداخلي.

بعد شهور من التمرينات وجلسات العلاج الطبيعي استطعت السير بدون العصا الطبية، لكني ما زلت أعاني من عرج خفيف أثناء السير وكنت أفقد اتزاني أحيانًا.

بدأت تمرينات السباحة تحت إشراف «د/ إلينا»، والتي كانت تصر على قضاء جلسة التعديل السلوكي داخل حمام السباحة.

كانت «إلينا» تجلس على حافة المغطس وتقوم بسؤالي عن الماضي، وأجيبها من داخل المغطس، في البداية كنت أخشى ترك جانب الحمام وألتصق دائمًا بحافة المغطس في حذر، لكن زال خوفي مع الوقت وساعدتني تمارين السباحة على الشفاء سريعًا.

تعودت على الجلسات واعتدت السباحة بعد فترة صغيرة، واستطعت التركيز في التمرين والإصغاء إلى أسئلة «إلينا» وتعليقاتها على أجوبتي.

بعد انتهائي من سرد الماضي علقت «إلينا»:

- «ياسمي» أنت إنسانة جيدة وتمتلكين إرادة قوية، لكن لديك بعض النقاط السلبية وسنركز عليها ونتداركها ونصلحها.

- ما هذه النقاط يا «د/ إلينا»؟

- لا تستعجلي الأمر «ياسمي» سنتناقش في كل جلسة عن جانب من شخصيتك ونسلط الضوء عليه، ونواجه الخلل الموجود فيه.

- حسنًا يا دكتورة.

- لكن عاهديني على الصراحة يا «ياسمي» وعلى تقبل شخصيتك بمميزاتها وعيوبها.

- حسنًا أعاهدك يا دكتورة.

- هل أنت مستعدة للبدء يا «ياسمي»؟

- نعم مستعدة.

- حسنًا سنتعامل الآن يا «ياسمي» كصديقتين تتبادلان البوح، وانسي أنني طبيبة، اتفقنا؟

- نعم.

- أخبريني عن رأيك في شخصيتك بالماضي يا «ياسمي».

- كانت «حور» شخصية ضعيفة وتخشى المواجهة وتفرط في حقها وتتعلق دائمًا بالأشخاص وتجلب لنفسها الأذى والضرر، وتفتقد إلى الثقة في النفس، كانت انقيادية وخاضعة.

- إذًا أنت تودين إطلاق لقب «حور» على شخصيتك السابقة؟

- نعم هذا أفضل.

- أخبريني ما هي مميزات «حور»؟

- لم يكن لدى «حور» مميزات يا «إلينا».

- كوني حيادية يا «ياسمي» كل شخصية لها جانبان إيجابي وسلبي، هيا فكري واستخدمي ما درسته في المحاضرات، واسبحي حول المغطس ثلاث مرات، هيا انطلقي أمامك خمس دقائق.

انتهيت في ست دقائق ووصلت إلى «إلينا» مقطوعة الأنفاس.

- «ياسمي» تأخرت دقيقة كاملة، أخبريني عن مميزات «حور» وسأتغاضى عن تأخيرك؟

كانت «إلينا» تتحول إلى شخصية حاسمة وقوية خلال التدريب، بخلاف ما هي عليه في الوقت العادي، كنا نمرح معًا ولا نتوقف عن الضحك والسخرية.

- حسنًا، شخصية «حور» رقيقة وعطوفة، لا تقوى على رفض الأشخاص أو إيذاء الآخرين.

قاطعتني «إلينا» في حزم:

- «ياسمي «أريد الإيجابيات وليس السلبيات، حاولي مرةً ثانية، وقومي بدورة حول المغطس في نصف دقيقة، هيا انطلقي.

- لعنة الله على «حور».

- أصبحت ثلاث دورات، هيا.

عدت منهكة القوى وأجبت:

- كانت «حور» عطوفة، مخلصة، رقيقة، تحسن إلى من أذاها.

- أحسنت «ياسمي» هيا أبدلي ثيابك والحقي بي في ملعب الجري.

- ماذا!

أبدلت ثيابي ولحقت بـ«إلينا»، أعلم أنها لن تتراجع حتى لو اضطررت إلى الزحف أمامها.

ختمت المساء بالعدو حول الملعب عدة مرات، أصبحت ساقي أقوى ولياقتي تتحمل الركض السريع، كان هذا إنجاز عظيم بالنسبة إلى إصابتي.

انقطعت الأحلام عن زيارتي منذ الحلم الأخير، أصبح نومي هادئًا ومستقرًا ولا يقطعه سوى «إلينا» التي كانت تكره أن تراني نائمة، وتصر على إزعاجي.

عدت إلى الحاضر على صوت غلق الباب، نهضت فزعة لأرى ما يحدث، فوجئت بعودة عمتي من السفر.

- لِمَ لم تخبريني بعودتك من السفر؟ كدت أموت هلعًا يا «روفي»!

- انتهيت من عملي اليوم ولم أر ضرورة لبقائي يا «ياسمي».

- حمدًا لله على سلامتك، لكن ماذا عن مطعم «كريم» من سيتولى متابعته؟

- سيقوم ابن صديقة لي بمتابعته.

- حسنًا سأعد لك العشاء.

قالت عمتي مازحة:

- ها هي «ياسمي» العطوفة عادت للظهور أخيرًا.

أعددت شطائر الجبن وكوبًا من الحليب الدافئ ووضعتهم في غرفة عمتي، وعدت إلى غرفتي وتركت الحاسوب جانبًا.

عدت إلى التفكير في حاضري، احترت بين سعادتي بصداقة «رفيف» وخشيتي من الدخول في علاقات اجتماعية، شخصية «رفيف» حماسية ومخلصة وودودة، إنسانة مثلها لا يمكن أن تتسبب في إيذائي.

لكن من يضمن صدق نظرتي هذا ما كنت أظنه عن «يامن» أيضًا.

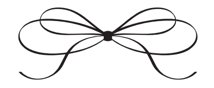
لا، أنا أخدع نفسي، كنت أعرف شخصية «يامن» الحقيقية وتجاهلت الأمر، بسبب خوفي القديم من الوحدة، وتعلمت الدرس الآن، أنا أجيد تحليل الشخصيات لكن لم أقو وقتها على رفض «يامن» رغم الأذى الذي ألحقه بي.

هاه ما هذا؟ هل أصبحت أعترف بالماضي وأنسبه إلى نفسي عوضًا عن «حور»!

نهضت وأبدلت ثيابي وحملت حقيبتي واتجهت إلى العمل، تركت «روفي» تستريح من إرهاق السفر، وصلت للمكتب مبكرًا، لم يظهر «يوسف» و«رفيف» بعد.

أجريت اتصالًا بـ«كريم» وطلبت منه أن يبتاع فطورًا يكفي أربعة أشخاص من العم «راشد»، هاتفت «رفيف» وأخبرتها بعدم إحضار فطور، وفاجأني تغير معاملتها معي، أرجعت الأمر للإجهاد.

بدأت العمل بحماس، لدي اليوم مقابلة مع «أ/ عزة» وطلاب الصف الثانوي من أجل فقرة العرض المسرحي الخاصة بالحفلة، وأجلت مراجعة ملفات الطلاب.



(المــفــاجــأة)

«يـــوســــف»:

عدت إلى شقتي بعد مغادرة «كريم» و«ياسمي»، واتجهت إلى فراشي وبداخلي شعور بالغيرة من العلاقة بين «ياسمي» و«كريم»، حاولت إنكار شعوري وتجاهل الأمر.

استيقظت مبكرًا وجلست أراجع بعض الأبحاث الخاصة بدراستي، لكن التفكير في «ياسمي» شغلني وفقدت تركيزي، أبدلت ثيابي واتجهت إلى الصالة الرياضية هربًا من التفكير ولكن لم أنجح في دفع «ياسمي» خارج تفكيري، انتهيت وعدت إلى المنزل واستقبلتني «رفيف».

- صباح الخير يا «يوسف».

- صباح الخير يا «رفيف».

- هاتفتني «ياسمي» وأخبرتني أنها تنتظرنا على الإفطار.

- حسنًا، سأبدل ثيابي وأمر لاصطحابك.

لاحظت شرود «رفيف» وردودها المقتضبة على غير العادة لكن أرجعت الأمر إلى الإرهاق.

وصلنا إلى المكتب، وجدنا «كريم» و«ياسمي» في انتظارنا.

تبادلنا معهما التحية.

بادرنا «كريم» بمرح:

- أخيرًا وصلتما، كدت أموت جوعًا وأصرت «ياسمي» على انتظاركما.

صاحت «ياسمي» محذرة: «كريم»!

جلسنا نتناول الفطور، وظلت «رفيف» على حالها، لم تشارك معنا في الحديث وأنهت فطورها سريعًا واصطحبت «إياد» إلى صفه وذهبت.

تناقشت مع «كريم» في تفاصيل الحفلة وأطلعني على ملف الميزانية التي أعدها، وغادر للإشراف على تجهيز الصالة الرياضية مع مدام «نيفين».

سألتني «ياسمي»:

- هل «رفيف» بخير يا دكتور، لاحظت أنها اليوم على غير عادتها، ولم تتناول فطورها جيدًا وتجنبت الحديث معنا؟

- أظن أنها مجهدة من الاستيقاظ المبكر يا أستاذة.

- حسنًا، ستعتاد الأمر قريبًا.

- هل أنهيت تفنيد الملفات المتبقية؟

- نعم، لكن أحتاج إلى شريحة نقل البيانات من فضلك.

- أعتذر لم أتذكر إعادتها، ها هي تفضلي.

- حسنًا، هذه هي آخر دفعة متبقية من الملفات.

- شكرًا يا أستاذة على مساعدتك.

- لا عليك يا دكتور، سأذهب لأتفقد تمارين العرض المسرحي.

غادرت «ياسمي» مبكرًا لشراء ثياب تناسب العرض المسرحي، وانتهى اليوم وغادرنا.

حاولت معرفة سر تغير «رفيف» عند عودتنا لكنها تهربت مني، فتركتها وعدت إلى شقتي وقررت أن أتحدث معها بعد نوم «إياد».

«ياسمين»:

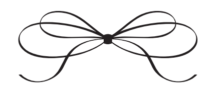
عدت إلى منزلي بعد يوم شاقٍ في العمل، منذ أن غادرت مكتبي في الصباح وأنا أقف على قدمي، تابعت تمارين الأداء المسرحي وقمت بمساعدة «جاسر» و«ساندي» و«سيف» حتى يلحقوا بمستوى باقي الطلاب.

كان زملاؤهم قد أتموا دراسة هذه المسرحية في العام الماضي وتدربوا على أدائها، ذهبت بعدها لشراء زي لتقديم العرض المسرحي.

وتابعت تجهيز صالة الألعاب الرياضية عند عودتي، واصلت مدام «نيفين» العمل على قدم وساق، وانتهت من إعادة توزيع الإضاءة وترتيب المقاعد داخل الصالة الرياضية، لم يتبق سوى نصب المسرح في مكانه.

قررت إعداد فقرة مسرح عرائس للأطفال حتى أمنح الطلاب المشاركين بالأداء المسرحي والمسابقة فترةً للراحة، وفكرت بعرض الأمر على «رفيف» لتقوم بمساعدتي لكنها تغيبت داخل مكتب «أ/ ماجدة» ولم أرها حتى موعد الانصراف، فأجلت الأمر إلى الغد.

كان لدى عمتي اجتماع في المؤسسة لمناقشة نظام العمل في فرع الإسكندرية، ولم أجدها في المنزل عند عودتي من العمل، اتجهت إلى فراشي وتجاهلت تناول الطعام، غفوت سريعًا من الإنهاك المتواصل.



«يوسف»:

ذهبت إلى شقة «رفيف» استقبلتني بوجوم فبادرتها:

- ماذا حدث يا «رفيف»؟ أنت على غير عادتك منذ الصباح.

- لقد عثرت على «حور» يا «يوسف».

- «حور»! التي أبحث عنها، كيف وأين؟

- «حور» هي نفسها «ياسمي» يا «يوسف».

- هل تسخرين مني يا «رفيف»؟ أنا ذاهب إلى النوم.

- تعال معي وتأكد بنفسك يا «يوسف».

اتجهت «رفيف» إلى الطاولة وجلست أمام حاسوبها النقال. وواصلت الحديث:

- أرسلت لي «ياسمي» نسخة من الأوراق التي كانت تقوم بطباعتها أمس عن طريق الخطأ وظننت في البداية أنه ملف يخص إحدى الطالبات.

جلست إلى جوارها وتأكدت من صحة ما قالته، وجدت ملفًا يحوي أوراقًا مطبوعة من دفتر بعضها يحمل اسم «حور» ويصف ما حدث معها والبعض الآخر يتحدث عن «ياسمي».

- لكن لماذا قامت «حور» بتغيير اسمها؟

- أنا لم أطلع على الأوراق يا «يوسف»، كنت أبحث عن صاحبتها فقط، باستطاعتك قراءة الدفتر على اعتبار أنك كنت طبيبها ومعرفة السبب.

- لا أرغب في التجسس على أسرارها يا «رفيف»، وفي الوقت نفسه أرغب في الاطمئنان عليها ومعرفة ما حدث معها.

- حسنًا يا «يوسف» سأرسل إليك نسخة من الأوراق قبل أن أقوم بحذفها.

تركت شقة «رفيف» وأنا في حالة صدمة، أمضيت الليل وأنا أقرأ ما حدث مع «حور».

كانت دروبنا تتقاطع دائمًا وكنا معًا أغلب الوقت دون أن نشعر، نحن متشابهان في كل شيء حتى الرؤى التي أراها عنها دائمًا كانت هي أيضًا ترى مثلها عني، الآن تأكدت من صدق أحلامي، «حور» كانت قريبة مني بدرجة لا تصدق.

لكن كيف تحملت كل هذا، كنت أظن أنها كانت تعاني من مشاكل عادية مع عائلتها، أدركت الآن كيف استطاع «يامن» السيطرة عليها.

لكن كيف استطاع والد أن يتخلى عن ابنته بمثل هذه القسوة، أخشى أن يؤثر عملها مع الأطفال على نفسيتها بطريقة سلبية.

أفقت على طرقات «رفيف»، أبدلت ثيابي واتجهنا للمؤسسة.

سألتني «رفيف» في حيرة:

- ماذا سنفعل يا «يوسف»، هل ستصارح «ياسمي» بأنك كنت تبحث عنها؟

- لا، لن تقوى على المواجهة يا «رفيف»، وستنهار إذا علمت أنني اطلعت على أسرارها.

- ماذا ستفعل إذًا يا «يوسف»؟ من الواضح أنها تحتاج إلى المساعدة.

- نعم يا «رفيف»، «حور» ترفض مواجهة الماضي وتنكر علاقتها به، ولديها شعور داخلي برفض الذات.

- نعم هذا واضح.

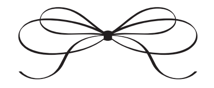
- انتبهي يا «رفيف» أثناء حديثك مع «ياسمي».

- حسنًا يا «يوسف»، لا تقلق.

وصلنا إلى المؤسسة واتجهنا إلى مكتب «ياسمي»، رحبت بنا واندمجت في الحديث مع «رفيف».

تطلعت إليها لأول مرة بتركيز، كيف صدقتِ أنك قبيحة أو بشعة يا «حور» مع أنك فاتنة جدًا، شعرك الغجري الغزير، وبراءة ملامحك، بشرتك الخمرية المتناقضة في جاذبية مع عينيك الرمادية اللون، حتى رقة الحزن المرسوم على وجهك تزيد من سحرك، كل ما فيكِ مرسوم بدقة حتى جسدك المناسب لطول قامتك.

لأنها كانت تؤمن سرًا أنها أقل جمالًا مما ينبغي، مع أن الناظر لعينيها يفتن بجمال براءتهما ويأسره امتعاضها الخجول، وكانت تظن أن جميع الناظرين إليها يستخفون بها.



«ياسمي»:

استيقظت من نومي قلقة، اقترب موعد الحفل وأمامي الكثير من العمل، فكرة عرض الفيلم القصير تثير هلعي، فكرت في المغادرة قبل بداية العرض لكن من سيغطي غيابي.

غادرت المنزل واتجهت إلى العمل، ظل ذهني مشغولاً في إيجاد حل طوال الطريق إلى المؤسسة.

وصلت إلى مكتبي وأشرفت على نقل علب الهدايا التي أحضرتها أمس للجوائز، قام أحد العمال بترتيبها على طاولة العمل، أعدت مراجعة قائمة الحضور وترتيب المقاعد، اليوم سأقوم بنقل مسرح العرائس من قسم الروضة إلى الصالة الرياضية.

وصل «كريم» وفض العلب وبدأنا تغليف الهدايا الخاصة بالمسابقة.

وصل «يوسف» بصحبة «رفيف»:

- صباح الخير يا «ياسمي».

- صباح الخير كيف حالك يا «رفيف»؟

- بخير الحمد لله، وأنت؟

- الحمد لله، كيف حالك يا دكتور؟

تأخر «يوسف» في الرد ولم ينتبه وراح يتأملني وكأنه يراني لأول مرة، لا أدري ماذا أصابه يبدو غريبًا هذا الصباح، بادرته «رفيف»:

- أين ذهبت يا «يوسف»؟

- هاه، معذرةً «رفيف» شردت في تنظيم الحفل لم يعد لدينا وقت.

- معك حق يا دكتور مر الوقت سريعًا، سننتهي اليوم من تجهيز الصالة الرياضية.

- حسنًا، سأؤجل العمل في الملفات الآن وأتابع تجهيز صالة العرض.

- جيد يا دكتور.

- «رفيف» ما رأيك أن نقدم فقرة ترفيهية للأطفال؟

- فكرة جيدة يا «ياسمي»، ما هي الفقرة؟

- عرض عرائس نؤديه على خشبة المسرح، ولدي زي مناسب.

- جيد يا «ياسمي» سأشارك معك.

- سأطلعك الآن على الحوار الذي سنؤديه في العرض.

- هل انتهيت يا «كريم» من اختيار قائمة الطعام؟

- نعم يا «ياسمي»، لكننا في حاجة إلى المزيد من الأيدي العاملة.

- ليس لدينا وقت للبحث يا «ياكريم».

- بإمكاني المساعدة يا «ياسمي»، أين سيتم إعداد الطعام؟

- في مطعم قريب من هنا يا «رفيف»، لكن بهذا الشكل سأحتاج إلى من يشاركني تقديم عرض العرائس.

- أنا متفرغ، أعطيني نسخة من حوار العرض يا أستاذة.

- حسنًا يا دكتور، لكن سنحتاج إلى زي يناسبك.

- سأبحث في نهاية اليوم عن زي مناسب.

- سأصطحب «أ/ رفيف» الآن ونذهب إلى محل العم «راشد».

- حسنًا يا «كريم»، هل يمكنك المرور على الصالة الرياضية في طريقك؟

- نعم يا «ياسمي».

- تأكد من أن كل شيء سيكون جاهزًا اليوم يا «كريم».

- حسنًا يا «ياسمي» سأنتظرك هناك يا «أ/ رفيف».

- لا أعرف كيف أشكرك على مساعدتك يا «رفيف».

- لا داعي للشكر «ياسمي» أنا أحب الطهو.

أمضيت النهار مع «يوسف» في تغليف الهدايا، ومناقشة أسئلة المسابقة التي أعدها، عادت «رفيف» معها «كريم» في آخر اليوم، وأجلنا البحث عن زي يناسب «يوسف» إلى الغد.

عدت إلى المنزل مع «كريم»، وكانت «روفي» بانتظارنا، أخبرتني أنها تريد الاجتماع بنا غدًا بخصوص الحفلة.

تناولت طعام العشاء وذهبت إلى غرفتي، أخذت دفتري واتجهت إلى الفراش.

أنا في حاجة إلى مراجعة ما تعلمته في المؤسسة أثناء فترة علاجي.

تحسنت صحتي بعد التزامي بالنظام الغذائي الذي أعدته «إلينا»، منعت عني المنبهات والمشروبات الغازية والأطعمة المحفوظة، وأصبحت جميع وجباتي تعتمد على الأغذية الصحية.

في البداية وجدت صعوبة في الالتزام بهذا النظام ورفضت تناول الطعام.

بادرتني «إلينا» في حزم:

- ستتناولين طعامك عندما ينال منك الجوع يا «ياسمي».

وبالفعل أرغمتني على تناول الطعام بطريقتها الخاصة، كنت أبتلع الوجبات دون تذوق.

اشتهيت في أحد الأيام تناول كوب من القهوة والدونات ولم أقو على مقاومتهم وصارحت «إلينا» بفعلتي.

قضيت يومي في العقاب البدني ما بين الركض والغطس والتمارين الرياضية، ظلت «إلينا» تصرخ طوال النهار:

- دوري حول الملعب ثلاثين مرة يا «ياسمي» أمامك خمس دقائق، اقفزي إلى المغطس هيا.

المياه المثلجة وقدمي المنهك وصراخ «إلينا» جعلني أقلع تمامًا عن التفكير في الأطعمة غير الصحية.

توطدت علاقتي بـ«كريم» في هذه الفترة، كنا نقضي العطلة الأسبوعية معًا، نخرج في المساء ولا نعود إلا في اليوم التالي، وساعدني «كريم» في اختيار مجال دراستي.

كنت أمضي معظم الليل في الأرق وتمر الساعات ببطء مميت، لكن هذا ساعدني على الانتهاء من مقرراتي الدراسية في وقت قصير.

أرغمتني «إلينا» على العمل أثناء دراستي:

- خلق اللّه الإنسان للعمل يا «ياسمي»، ابحثي عن عمل بدوام جزئي لا يتعارض مع دراستك، هناك الكثير من المحلات والمطاعم تطلب أيدي عاملة.

- أنا لا أحتاج إلى العمل يا «إلينا»، وضعي المالي جيد ويغطي نفقات إقامتي في المؤسسة ودراستي.

- نحن لا نعمل من أجل الحصول على المال فقط، شعور الإنجاز وتقديم المساعدة إلى الغير يساعد الإنسان في التغيير نحو الأفضل، أنت الآن شخصية اعتمادية.

بحثت عن عمل وتنقلت بين محلات الوجبات السريعة والمطاعم، استقريت في النهاية داخل محل الإلكترونيات الذي يملكه «جون»، واتفقنا أن أعمل معه دون مقابل مادي، بشرط أن يقوم بتدريبي على كل ما يعرفه عن الحاسبات والمواقع الإلكترونية.

كنت سريعة التعلم، جذبني مجال تصميم البرامج، لم أكتف بما تعلمته من «جون»، والتحقت بإحدى دورات البرمجة والحاسبات.

وبدأت بعدها أتدرب على الجمباز الإيقاعي مع «إلينا».

- لديك طاقة جبارة وهمة عالية «ياسمي»، أنا فخورة بك وبكل ما حققناه معًا.

- شكرًا لك يا «إلينا» على كل ما فعلته لأجلي.

- لاحظت اهتمامك يا «ياسمي» بتمارين الجمباز الإيقاعي هل تودين الانضمام إلى الفريق؟

- أتمنى هذا يا «إلينا»، أنا شغوفة بكل حركة من حركات الجمباز.

- لكن هذا مستحيل يا «ياسمي»، الجمباز من الرياضات التي تعتمد على التعلم منذ الصغر وتحتاج إلى مرونة ولياقة بدنية عالية.

- لا يوجد مستحيل أنت أخبرتِني بذلك يا «إلينا»، لمَ لا نجرب؟ ماذا سنخسر؟!

- جيد يا «ياسمي» أحسنت، كنت أختبر مدى رغبتك في التعلم.

- هل هذا يعني أنك ستقومين بمساعدتي يا «إلينا»؟

- نعم يا «ياسمي» لكن على شرط.

- ما هو؟

- أحتاج إلى مساعدتك في رسالة الدكتوراه الخاصة بي.

- ماذا! كيف هذا؟

- مناقشتي تتحدث عن القدرات البشرية التي يمتلكها الإنسان في داخله، وأنت نموذج مناسب وممتاز، سأتناول قصتك منذ قدومك إلى المؤسسة وأعرض تقدم حالتك الصحية والنفسية بعد أن تم علاجك عن طريق علم الطاقة البشرية، وأوضح كيف ساهم هذا العلم في استخراج طاقتك.

- لكن كيف سيتم هذا يا «إلينا»؟

- من خلال تسجيل مصور نجمع فيه صورة إصابتك قبل دخولك غرفة العمليات وبعدها ولقطات من بداية دخولك المؤسسة، مثل: طريقتك في الحديث والحركة إلى لحظة نجاحك في المشي بدون مساعدة، ثم بداية تمرينات الركض والسباحة ونضيف إليها تمرينات الجمباز،

مع صور ولقطات أثناء وجودك داخل قاعة التأهيل النفسي وأثناء تواجدك في المحاضرات الدراسية، ولقطات أثناء تناول الطعام، باختصار سننتج فيلمًا قصيرًا عنك.

- هل سأضطر إلى التواجد لحظة عرض هذا الفيلم يا «إلينا»؟

- نعم سأقوم بتقديمك إلى الحضور بعد العرض يا «ياسمي» وسيتم تكريمك.

صدمني ردها وهتفت بإحباط:

- هذا تعجيز، أنت تعلمين أني أكره الأضواء والزحام.

- هذه هي خطوتك الأخيرة في العلاج يا «ياسمي»، أنت تعانين من رهاب اجتماعي وسنتغلب عليه بهذه الطريقة.

- كيف سنتغلب عليه، بوضعي داخل بؤرة الضوء وتشريحي تحت أنظار الغرباء!

كنت أتحدث بغضب وخوف، خشيت أن تظهر «حور» وتفضحني بتلعثمها وارتباكها أمام الجميع.

- نعم سيتم شفاؤك بمواجهة مخاوفك، لكن قبل هذا يجب عليك الالتزام بحضور جلسات التأهيل النفسي بشكل مكثف، والمشاركة في الحديث داخل المجموعة يا «ياسمي»، اتركي سكوتك المطبق هذا.

- ومتى سأفعل كل هذا يا «إلينا»؟

- أولًا: سنتوقف عن التدريبات وسنكتفي بتمرينات الصباح فقط حتى تنتهي فترة اختباراتك الدراسية، ثانيًا: ستتفرغين لحضور جلسات التأهيل النفسي وتشاركين في النقاش وبعدها نجلس ونتحدث معًا عن ما حدث في الجلسة يومًا بيوم.

سكت في وجوم، أكملت «إلينا»:

- فكري يا «ياسمي» وتذكري أن سبب وجودك هنا هو التعافي من أحداث الماضي، التخلص من الرهاب الاجتماعي أمر سهل أنت تخطيت ما هو أصعب، لا شيء مستحيل، جربي.

- حسنًا، سأخبرك غدًا بقراري.

أمضيت الليلة في التفكير، هل يستحق الأمر كل هذا الضغط العصبي والنفسي؟

نعم يستحق، ما الفرق بين «ياسمي» و«حور» إذا كنت أخشى مواجهة الغرباء والحديث معهم بلباقة ورزانة.

تدريب الجمباز ليس الهدف من وجودي هنا لكنه وسيلة، مواجهة الخوف من الغرباء هو هدف هذه الرحلة، سأجرب ما قالته «إلينا» فأنا أستحق أن أخوض التجربة من أجل نفسي.

أبلغت «إلينا» قراري بالموافقة.

هللت بفرح ودعتني إلى تناول المعجنات والقهوة ابتهاجًا بقراري.

بدأت التجربة وانتظمت في حضور جلسات التأهيل النفسي وشاركت في المناقشة.

ذهبت إلى قاعة الجلسات في الموعد المحدد، حيّانا شاب وسيم ومهذب يدعى «جو»، ورحب بمشاركتي التي جاءت بعد فترةٍ طويلةٍ من الصمت.

- موضوع اليوم لمَ نخاف من مواجهة الرفض، ونتألم عندما نتعرض له؟

دار السؤال على المجموعة وكانت الإجابات:

- أنا لا أخشى مواجهة شعور الرفض لو جاء عن طريق الأغراب، لكن أتألم جدًا لو رفضني شخص قريب مني.

- شعورالرفض يهدر كرامتي، ويشعرني بأني عديم القيمة ومنبوذ.

- شعور الرفض خنجر يطعن قلبي ويستمر وجعه معي فترة طويلة، ولا أقوى بعدها على مواجهة الشخص الذي رفضني.

تدخل «جو» بعد ذلك موضحًا:

- نحن نتألم إذا واجهنا الرفض من الأشخاص المقربين منّا على عكس الغرباء، ما الفارق؟

الفارق أن كل شخص منا لديه صورة جميلة يحتفظ بها داخل عقله الباطن ويتمنى أن يصبح عليها، لكن عوضًا عن تحقيق هذه الصورة ينجذب إلى شخص تتوافر فيه مواصفات هذه الصورة ويتقرب منه بغرض امتلاكه، لكنه يصدم بالرفض.

عدم قدرة الشخص على امتلاك الصورة التي يرغب أن يصبح عليها توقظ بداخله شعور عدم الاستحقاق، مثال: شاب يحب فتاة جميلة لكنها تجاهلته أو رفضت حبه فيرجع سبب الرفض أنه غير وسيم أو غير غني، وبالتالي يتأكد لديه الشعور بعدم الاستحقاق وبرفض الذات.

الشخص المنبوذ أو المرفوض يعاني من شعور رفض الذات وعدم تقبلها وفي الوقت نفسه لا يسعى إلى إجراء التغيير الذي يحتاجه كي يصل إلى الصورة الموجودة داخل عقله الباطن.

أما الشخص المتصالح مع نفسه الواعي بجوانب شخصيته لا يهتم بالرفض، لأنه يعرف أن كل شخص لديه حرية البقاء معه أو التخلي عنه، ويعرف كيف يميز بين الرفض السلوكي والرفض الشخصي.

قاطعه أحدهم:

- ما معنى الرفض السلوكي يا «جو»؟

- سأضرب لكم مثالًا يوضح الأمر، هناك فارق بين رفض التدخين والإدمان وبين رفض الإنسان المدخن أو المدمن، الأولى رفض سلوك يمكن تعديله، والثانية رفض شخص مبني على أساس خاطئ.

هل أنت تكره نفسك أم تكره سلوكًا ما في شخصيتك يمكن تعديله؟

تدخلت في الحديث فجأة أثناء شرح «جو».

- أنت تقصد أن كره الإنسان وازدرائه لنفسه ينعكس على تعاملاته مع الأشخاص؟

- نعم، فالإنسان الذي يكره نفسه يتهرب من ضرورة إجراء تعديل سلوكه، ويلجأ إلى الارتباط بشخص يمتلك صورة من الشخصية التي يريد أن يصبح عليها، فيصدم بالرفض وهذا يتوافق مع شعوره الداخلي، فيهرب إلى شعور الشفقة على النفس عوضًا عن أن يواجه نفسه.

هناك قاعدة تقول أنت تجذب الأمور التي تشبهك.

شخص راضٍ عن سلوكه ويتقبل نفسه سيجذب شعور الرضا، ويصبح محاطًا بأشخاص يرغبون فيه، أما الشخص الرافض لنفسه ولحقيقته سيجذب شعور الرفض ويصبح محاطًا بأشخاص ينفرون منه، الكون مرآة تعكس نظرة الإنسان لنفسه.

- نعم، فهمت يا دكتور.

- بعض الأشخاص لا يحتمل شعور الرفض تجاه نفسه، ويلجأ إلى الانتقام من الطرف الآخر وإلحاق الأذى به، والبعض يلجأ إلى الانتحار أو إلحاق الأذى بالنفس.

تذكرت قصتي مع «يامن»!

- السؤال متى بدأت تشعر بالرفض؟ فكروا في الإجابة وسنناقشها في المرة القادمة.

استيقظت على جرس المنبه، بعد أن غفوت البارحة وأنا أقرأ، منبه غبي قطع حلمًا رائعًا لن يتكرر.

نهضت وارتديت ثيابي وودعت «روفي» وانطلقت.

وصلت إلى مكتبي متأخرة بسبب زحام الطريق، وجدت الجميع في انتظاري.

- صباح الخير جميعًا.

- صباح الخير «ياسمي».

- أنقذيني بالحل يا «ياسمي».

- ماذا حدث يا «رفيف»؟

- مع من سأترك «إياد» أثناء الحفل، أنا لم أتذكر هذا الأمر إلا في المساء؟

- نعم، ومنذ البارحة وهي تنوح تندب حظها داخل المحادثة الجماعية، سامحك الله يا «كريم» على ما فعلته بنا.

- وما ذنبي يا «يوسف»، أنا أنشأت المحادثة حتى تسهل علينا التواصل يوم الحفلة.

- هل يمكن أن يتفضل أحدكم بشرح ما يجري هنا؟

- جمعنا «كريم» داخل محادثة جماعية على صفحة التواصل الاجتماعي.

سددت إلى «كريم» نظرة استنكار لأنه تجاهل دعوتي معهم.

بادرني «كريم»:

- أنت ليس لديك صفحة على موقع التواصل الاجتماعي يا «ياسمي» كيف سنتواصل معك!

- حسنًا سأقوم بإنشاء صفحة شخصية وأنضم إلى المحادثة. سأعتني بـ«إياد» لا تقلقي يا «رفيف».

- كيف هذا يا «ياسمي»! أنت مشتركة في عرض مسرح العرائس وأداء العرض المسرحي؟

- سأجعل «إياد» يشاركنا في تقديم عرض مسرح العرائس، وسأشتري له زي شخصية كرتونية يناسبه، وسأتركه في صحبة «يوسف» عند عرض المسرحية، هل هناك شيء آخر؟

- لا، شكرًا لك يا «ياسمي» أنت هيئة إنقاذ متكاملة.

- العفو يا «رفيف»، تدبروا أمر الفطور فأنا أتضور جوعًا، وسأنتهي من تفعيل صفحتي على موقع التواصل الآن.

- في الواقع ليس لدينا وقت، سأذهب أنا و«أ/ رفيف» إلى محل العم «راشد» الآن.

قالها «كريم» وغادر ولم يبق سوى «يوسف».

- حسنًا، ماذا لدينا اليوم يا دكتور؟

- أمور بسيطة، نصب شاشة عرض الفليم القصير الخاص بك، وإحضار بدل عرائس مناسبة لنا أنا و«إياد»، والأداء التجريبي الأخير لمعرض العرائس والعرض المسرحي.

- حسنًا، دعنا نؤجل شراء الزي الخاص بمسرح العرائس إلى نهاية اليوم، ولا تنس أن لدينا اجتماع مع «أ/ روفان»، دعنا الآن نتناول الفطور ونذهب بعد ذلك إلى التدريب على أداء المسرحية ومعرض العرائس.

- جيد، سأطلب الكافتريا لإحضار الفطور.

- هل تم الانتهاء من تثبيت الحلقات الحديدية في سقف الصالة بالشكل الذي طلبته يا دكتور؟

- نعم، وإن كنت لا أفهم ما الفائدة منها.

- حسنًا، سأخبرك في نهاية اليوم. هل لديك اقتراحات بخصوص لقب صفحتي الشخصية، لا أرغب في تفعيلها باسمي.

- نعم، ما رأيك في لقب Magic dream؟

- لقب غريب لكن مميز، وهو كذلك.

مضى النهار سريعًا، أضافني «يوسف» إلى صفحته الشخصية وضمني إلى المحادثة الجماعية، واتجهنا بعدها إلى صالة الألعاب الرياضية، أنهيت التمرين على أداء العرض المسرحي.

لاحظت استجابة «جاسر» إلى تغيير أسلوبي في التعامل معه.

بعد أن بدأت أتعامل معه بمحبة وثقة منذ فترة، وأوكلت إليه مهمة الإشراف على تركيب الحلقات المعدنية المفرغة، والتأكد من ثباتها وقوة تحملها حتى أؤكد له ثقتي فيه واعتمادي عليه.

وتغيرت معاملته أيضًا مع «ساندي» بعد أن نصحتها بأن تتعامل معه مثلي وأن تمنحه شعورًا بحاجتها إليه.

صار يتعامل بود مع من حوله، حتى إنه مدح «سيف» بعد أن انتهى من أداء دوره، وأثنى عليه أمام الجميع، مما جعل «سيف» يشعر بالثقة في نفسه.

رحل الطلاب وانتهينا من التدريب على أداء عرض العرائس.

اكتشفت جانبًا مميزًا في شخصية «يوسف» من خلال معاملته مع «إياد»، كان دائمًا يتعامل مع المقربين منه في حنان ورقة متناهية، ولديه صبر وطول بال.

بادرني «يوسف» سائلًا:

- ما فائدة الحلقات الحديدية؟

- كان هناك مشهد في الدور الذي أؤديه بالعرض المسرحي يتطلب أن يقوم «جاسر» برفعي عن الأرض، قمت باستبداله بمشهدٍ آخر وتدربت عليه مع «جاسر»، ستشاهده غدًا.

بقي «كريم» و«رفيف» في المطعم بسبب ضغط العمل، واتفقت مع «يوسف» على الذهاب لإحضار زي العرائس وبعدها اصطحاب «رفيف» و«كريم» في سيارتي، وتناول العشاء معًا في منزل عمتي.

انتهينا من العمل وتوجهنا إلى منزل عمتي.

رحبت «روفي» بـ«يوسف» و«رفيف»، وتناولنا العشاء معًا وأخبرتنا عمتي بضرورة زيارة فرع المؤسسة بالإسكندرية خلال الأسبوع المقبل ومتابعة سير العمل داخل برنامج التأهيل النفسي.

رحل «يوسف» و«رفيف» وأصريت على بقاء «إياد» معي بعد أن غلبه النعاس، وقمت بنقله إلى غرفتي وشاركني النوم في فراشي هذه الليلة.

«يوسف»:

عدنا إلى شقة أختي بعد يوم طويل ومرهق في العمل، أصرت «رفيف» على بقائي معها هذه الليلة لعدم وجودٍ «إياد» وخشيتها من النوم بمفردها.

ذهبت إلى شقتي وأبدلت ثيابي وعدت إلى غرفة «إياد»، لم أقو على النوم رغم إجهادي وشعوري بالإرهاق، قرب «حور» بات يؤجج مشاعري نحوها.

منذ رأيتها أول مرة في العمل وإعجابي بها يزيد يومًا بعد يوم، قاومت انجذابي نحوها في البداية قبل أن أعرف أنها «حور»، لكن الآن لم أعد أطيق الصبر على الكتمان، أصبحت أذهب إلى العمل كل صباح في شغف وشوقٍ إلى رؤياها، وتتفنن هي دائمًا في إثارة إعجابي.

اليوم رأيت جانبها العطوف من خلال احتواء «جاسر» المراهق المتمرد الرافض لنفسه وللآخرين، استطاعت تغييره بأسلوب معاملتها إلى شاب متحمس واثق من نفسه، وساعده احتواؤها له على التصالح مع نفسه، انعكس هذا على معاملته مع من حوله.

ظننت في البداية أنها ستنفر منه لأن شخصيته تشبه شخصية خطيبها السابق، لكن فاجأتني بتدخلها ومساعدته، وراحت تتحين الفرصة للثناء عليه ومدحه أمام الجميع، حتى أصبح يثق فيها ويتردد على مكتبها ويشاركها أفكاره.

كما أصرت على انضمامه إلى العرض المسرحي وقامت بتلقينه دوره وتطوعت لتأدية دور البطلة أمامه، بعد أن لاحظت عدم التوافق بينه وبين «ساندي»، زاد هذا من حماسته وصار يسعى إلى نيل رضاها.

أصبحت أغار عليها من اقتراب الآخرين منها، آه لو تواتيني الفرصة لمصارحتها بشعوري وينتهي كل هذا الحرمان، ليتنا نجتمع في الحلال يا «حور» ويجمعنا منزل واحد، وأفيق كل صباح على رؤياك وأغفو على صوت أنفاسك الدافئة.

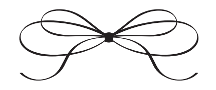
قطعت أفكاري ونهضت إلى الصلاة، دعوت الله أن يجمعنا في الحلال، وأن يساعدني على تحمل الكتمان وغض بصري عنها إلى أن تصبح زوجتي.

دلفت إلى موقع التواصل الاجتماعي، كانت «حور» موجودة ولم تنم بعد، لا بد أنها تفكر في فقرة عرض الفيلم الخاص بها وفي أدائها المسرحي، كانت اليوم متوترة للغاية.

دخلت إلى صفحتها الشخصية، وجدتها غيرت صورتها ووضعت الصورة التي كانت تضعها على صفحتها القديمة وكتبت أول منشور:

- لأنها غبية والغباء داء لا شفاء منه سوى الكتمان، فينالها ما ينالها وتهتز جنبات روحها ومع هذا تأبى الخروج عن صبرها العاجز، فيا رب هون.

قرأت ما كتبت «ياسمي» وتذكرت إعجابها القديم بكتاباتي فوضعت منشورًا على صفحتي عساها تنشغل عن مخاوفها بقراءته، توجهت إلى النوم وأنا أدعو الله أن تستكين مخاوفها وتهدأ.



(الـــحـــفـــلـــة)

«يـــــاسمين»:

لم أقو على النوم من شدة توتري، ماذا فعلت بنفسي؟ كيف وافقت على هذا العبث، أين كان عقلي! غبائي هو سبب ورطتي غدًا.

هربت من عتابي لنفسي ودلفت إلى صفحتي الشخصية على موقع التواصل، وجدت خاطرة وضعها «يوسف» على صفحته.

– لو أن السماء تتسع لنا ويجمعنا لقاء يروي ظمأنا، أو أن الغياب يفنى وينقطع حبل الفراق بيننا لطوقتك بعناق يأويك إلى داخل قلبي، ولاحتوتك عيناي وما أفلتتك بعدها أبدًا، لكن حتى إن حرمت من هذا وحالت السبل بيننا، فيكفينا أن أرواحنا ذابت في وصال دائم لا ينتهي وأن شغاف قلبي معلق بك، لك مني الحب يا كل الحب في عالمي.

كلماته تذيب شغاف قلبي وتحركه من سكونه، كم أنت رقيق يا «يوسف»، يا حسن حظ من كتبت لها هذه الكلمات ويا سعدها بك، أغلقت حاسوبي وعدت أسترجع الماضي هربًا من التفكير في الغد.

كانت إجابة سؤال «جو» متى بدأ الرفض؟

هي الطفولة. وكنت أعرف الإجابة، رفض والدي هو سبب كل ما أعانيه الآن.

واصل «جو» حديثه عن الرفض:

- شعور الرفض يبدأ منذ اللحظة الأولى لتكوين الجنين، البيئة المحيطة بالأم منذ بداية الحمل تؤثر على شخصية الطفل فيما بعد، مثال: بيئة فيها محبة وود ستمنح الطفل شعورًا بالراحة وتقبل نفسه، بيئة مليئة بالكراهية والإهانة، ستخرج طفلًا يعاني من شعور الرفض تجاه نفسه لأن مشاعر الأم تنتقل إلى جنينها وتنعكس عليه.

الدراسات والأبحاث الحديثة تؤكد أن حديث الأم مع جنينها قبل الولادة يؤثر في سلوكه وحياته، بعض الأمهات يتجاهلن نداء أطفالهن وبكاءهم المستمر في فترة الرضاعة، على اعتبار أن استجابتهن الدائمة نوع من التدليل سيفسد الطفل، لكن هذا التجاهل يجعل الطفل يفتقر إلى الإحساس بالأمان ويجلب عليه الشعور بعدم الأهمية والتجاهل.

مرحلة الطفولة هي أهم مراحل تكوين الشخصية، لو وجد الطفل رعاية واهتمامًا منذ صغره سيصبح شخصية إيجابية ومبدعة، وسيصبح شخصية سلبية إذا واجه سخرية وجفاءً في المعاملة.

عدم الاهتمام ينشئ لدى الطفل شعورًا دائمًا بالرفض تجاه نفسه والآخرين، ويؤدي إلى افتقاده الثقة تجاه نفسه، لذا دائمًا نؤكد على ضرورة دعم الطفل نفسيًا ومعنويًا من خلال العناق الدائم وكلمات الثناء والمدح والتقدير المتواصل.

هذا ما حدث معي، جفاء وسخرية والدي مني ولّدت بداخلي شعورًا بالرفض لازمني على مدار حياتي، وهذا أيضًا ما حدث مع «يامن» عندما نفته

أسرته إلى مدرسة داخلية وتركوه يواجه طفولته وحيدًا، ربما أكون تسببت في إحياء شعور الرفض بداخله.

انتهت الجلسة وعدت إلى الحديث مع «إلينا» وصارحتها بأفكاري بعد الجلسة.

- اصفحي عن والدك يا «ياسمي» وتقبلي ما حدث، هو أخطأ لكن هل كان يقصد؟ تعرضنا إلى صدمة الفقد يجعلنا نسيء إلى الآخرين دون قصد.

- لا أمانع في الصفح عنه يا «إلينا» لكن كيف أخبريني، أنا لم أعد أطيق شعوري بالغضب تجاه والدي.

- حسنًا كل واحد منا لديه عيوب ومميزات، اشغلي نفسك بالبحث عن مميزاته، وستتساقط عيوبه من ذاكرتك بالتدريج.

- أين سأجد مميزاته؟ أنا لم أر منه سوى الوجه السيئ فقط.

- هذا تصريح جيد يا «ياسمي»، أنت بالفعل اختبرتِ جانبًا واحدًا من شخصيته، ابحثي عن الجانب الآخر بين معارفه وأصدقائه.

- حسنًا، أظن أن عمتي تستطيع مساعدتي في هذا الأمر.

أجريت اتصالًا مع عمتي وطلبت منها أن تحدثني عن والدي وتخبرني عن حياته، استقبلت عمتي سؤالي بدهشة، وقضينا الليل كله في الحديث عن والدي.

والدي كان حلقة في سلسلة طويلة من المعاناة والتربية الخاطئة.

كان جدي يتعمد معاملة والدي بقسوة حتى يشتد عوده فيما بعد، حتى إنه منعه من المشاركة في اللعب مع أقرانه، وظل يوجه إليه الإهانات والتوبيخ

إلى أن تولّد لديه شعور برفض الذات، وكان دائمًا يتهمه بالضعف والفشل، استمرت هذه المعاملة حتى مرحلة شبابه.

هرب والدي من قسوة جدي بالدراسة في الخارج، والتقى بوالدتي وساعدته على التصالح مع نفسه، كان وقتها إنسانًا مدمرًا وضعيف الشخصية، لا يحتمل توجيه العتاب ويهرب من مواجهة الضغوط النفسية، إلى جانب افتقاره للثقة بالنفس.

أين المفر من هذه السلسلة المتواصلة من سوء المعاملة والرفض، نحن نتوارث أسلوب التربية الخاطئة ونمارسه على أطفالنا تحت شعار الخوف عليهم وتربيتهم بحزم، لكن هذا الخوف يدمرهم، نحن نشبه الدب الذي قتل صاحبه.

أصلحت والدتي ما أفسده جدي بحنانها ومحبتها الصادقة لوالدي، أنهى والدي دراسته بتفوق وبدأ ممارسة حياته العملية، تحت رعاية والدتي ودعمها الدائم وحقق نجاحًا وشهرة في مجاله.

كانت الأوضاع مستقرة وتسير على نحو جيد، لكن وفاة والدتي أدت إلى انهيار والدي، لم يقو على تحمل صدمة رحيلها وظل حزينًا على فراقها حتى مات.

أنا لا ألومه على محبته لها بهذا الشكل، شخص محطم تعود على الإهانة والرفض منذ صغره حتمًا سيعشق أول يد تمتد نحوه بالحب وسينهار لو فقدها.

اهتز شعوري بالغضب تجاه والدي، بدأت أرى الأمر من زاوية أخرى، والدي رفض وجودي لأنه يذكره برحيل والدتي، لكن هو لم يرفضني بشكل مباشر على أساس أني ابنته.

ذكرتني معاناة والدي بعد رحيل محبوبته بخاطرة:

له عامان لا يبكي ولم أشهد له دمعة.

ولكن حينما غابت تناثر لم أطق جمعه!

له عامان إن ضحكت يعطر صوتها سمعه.

فليت اللّه يعصمه من الفُرقة غزت صدعه..

استيقظ «إياد» فزعًا وراح يصرخ ويبكي، حملته على كتفي وعانقته وأنا أتلو القرآن كما كانت عمتي تفعل معي، وعاد إلى النوم من جديد داخل ذراعي، شعور رائع أن تنام وهناك يد صغيرة تطوق عنقك، عناق «إياد» منحني شعور بالسلام والهدوء وجعلني أغفو سريعًا.

استيقظت على صياح «إياد» في الخارج، نهضت فزعة لأرى ما الذي أصابه، وجدت «كريم» يلهو مع «إياد» ويرفعه عاليًا والأخير يصيح في سرور ومرح.

أفقت من فزعي ووقفت أراقب سعادة «كريم» وهو يلهو مع الصغير، كان شعور الألفة بينهما متبادل كالأب وابنه.

بادرتهما:

- صباح الخير أيها المزعجان.

رد «إياد» في تلعثم طفولي:

- صباح الخير «أسمي».

وركض نحوي، رفعته عن الأرض وقبلته وذهبنا إلى الحمام نستعد لصباح يوم جديد، لم يتوقف «إياد» عن الحركة على مدار الطريق وراح يتمايل على أنغام موسيقى العود مثلما أفعل، وصلنا إلى المؤسسة.

لم تحضر «رفيف» وذهبت إلى محل العم «راشد» مباشرةً للانتهاء من إعداد الطعام مع «كريم»، أدرت موسيقى وواصلت اللهو والرقص أنا و«إياد» ودخل «يوسف» المكتب دون أن ننتبه.

- إحم إحم.

التفت إليه وأنا في قمة خجلي، ليت الأرض تنشق وتبتلعني، رفعت خصلات شعري أعلى رأسي بعد أن تناثرت على كتفي ووجهي من جراء القفز والرقص مع «إياد»، وعدلت ثيابي، كنت أرتدي قميصًا طويلًا وبنطال جينز، وتركت ثياب الحفل في غرفة تبديل الملابس، إلى حين اقتراب موعد الحفلة.

بادرني «يوسف»:

- صباح الخير يا أستاذة.

- صباح الخير يا دكتور.

- كيف حالك أنت و«إياد» بالطبع أزعجك ببكائه طوال الليل.

- على العكس ظل هادئًا وعندما استيقظ ذهب إلى «كريم» وأيقظاني بصوت مرحهما الصاخب.

- غريبة، «إياد» لا يصبر على غياب «رفيف»، يبدو أنه تعود عليكما سريعًا.

- أنا أيضًا اعتدت رؤيته كل صباح، و«كريم» تعلق به جدًا خلال هذه الفترة القصيرة.

- حسنًا، مستعدة للحفلة؟

- أحاول أن أتمالك نفسي يا دكتور سألقى حتفي بسبب نوبات الانفعال التي أعاني منها.

– اهدأي يا أستاذة ستمر الليلة على خير وبنجاح أضمن لك هذا.

– حسنًا، اذهب أنت و«إياد» للاستعداد لعرض مسرح العرائس، سأنتظركما في صالة الحفل.

هاتفت «كريم» للاطمئنان على إعداد الطعام، أخبرني أنهم في الطريق إلى المؤسسة لبدء تجهيز الطاولات، واتجهت بعدها إلى صالة الحفل، بحثت عن «جاسر».

– هل أنت مستعد يا «جاسر»؟

– نعم يا «ياسمي»، وحفظت الحوار الذي سأؤديه جيدًا.

– هل حفظت موضع خطواتك وأماكن وقوفك على خشبة المسرح؟ ستنكسر عظامي لو سقطت من هذا الارتفاع.

– اطمئني سأقف أسفل منك وألتقطك في حال انزلاقك، ألا تثقين في يا «ياسمي»؟

– الثقة أمر مفروغ منه يا «جاسر»، أنا أجازف بالقفز في الهواء لأنني أثق أنك ستلتقطني إذا اختل توازني.

– حسنًا لا داعي إلى القلق اهدأي، سأذهب لأرى باقي المجموعة الآن.

جلست أراقب حلقات الحديد المثبتة على علو شاهق ورحت أتخيل أن يدي أفلتت الحلقة وطار جسدي في الهواء وسقطت مهشمة، كدت أبكي من هلعي.

حضر «يوسف» وأخبرني أنهم أبدلوا ترتيب الفقرات وسيبدأ الحفل بالعرض المسرحي أولًا، يليه فقرة المسابقات وبعدها عرض العرائس.

– حسنًا يا دكتور.

- ماذا تنتظرين إذًا يا أستاذة! الحفل بدأ اذهبي وأبدلي ثيابك سيبدأ العرض بعد دقائق.

اتجهت إلى غرفة تبديل الثياب وارتديت فستانًا قصيرًا باللون الأبيض تزينه أجنحة بيضاء غطت أسفل عنقي وظهري.

بدأ العرض وراح جسدي يرتجف وأنا أراقب الحضور من خلف الستار، جلست عمتي في الصف الأول، ووقف «كريم» إلى جانب «رفيف» للإشراف على توزيع الطعام أثناء الحفلة.

- لكن أين ذهب «يوسف»؟!

جاءني الرد من الخلف، همس «يوسف»: تشجعي يا نجمة الحفل الكل يترقب ظهورك.

أدت «ساندي» دورها ببراعة أظهرت موهبتها العفوية في التمثيل، واندمج «سيف» في أداء دوره وتخلى عن خجله، فيما كان «جاسر» يترقب مشهد دخولي وهو يرمقني في تشجيع.

وجاءت لحظة اعتلائي خشبة المسرح، سارالأمر على نحو جيد في بداية المشهد وأدى «جاسر» دوره ببراعة، حان وقت أصعب مشهد في العرض، لحظة قفزي من فوق الدرج المرتفع وتعلقي في إحدى الحلقات الحديدية المفرغة.

شعرت أنني سأسقط مهشمة وأنا أقفز بجسدي بين الحلقات المعلقة بطول خشبة المسرح، لم يرفع «جاسر» عينيه عني وهو يمشي بموازاتي على المسرح، كان مشهد القفز هو ختام العرض المسرحي، ضجت الصالة بالتصفيق والصياح.

عدت إلى غرفة تبديل الملابس وأنا أرتجف، جاء «يوسف» وحياني في انبهار على أدائي، كنت أتحدث بصعوبة جراء الضغط النفسي الذي عايشته بسبب وجودي تحت أنظار مئات الأشخاص الغرباء.

- هيا بدلي ثيابك دقائق ويبدأ عرض مسرح العرائس، سأذهب لأستعد أنا و«إياد».

انتهى عرض مسرح العرائس بنجاح وحاز على إعجاب الأطفال الموجودين، وختمناه برقصة مع «إياد» وبعض الأطفال الذين التفوا حولنا في فرح.

عدت إلى غرفة الملابس وارتديت فستانًا قصيرًا باللون الأسود المنتفش، بأكمام مرتفعة ومزينة بالدانتيل، وارتدى «يوسف» بدلة شبابية، جلس «إياد» إلى جوار عمتي.

انتهت المسابقة التي أعدها «يوسف» وقام بتقديمها.

جاء «يوسف» إلى غرفة الملابس وقرع الباب بنفاد صبر بعد أن رفضت الخروج أثناء عرض الفيلم التسجيلي الخاص بي.

- اخرجي يا «ياسمي» ولا تضطريني إلى أن أدخل وأحملك عنوة إلى خشبة العرض.

- لن تجرؤ على فعلها.

اقتحم «يوسف» الغرفة وهو يهمس في تحدٍ:

- لا تختبري صبري يا «ياسمي»، هيا انهضي.

أكدت لي نظراته أنه لا يمزح في تهديده، نهضت مرغمة وعدنا إلى الحفلة.

ظل يرمقني في تشجيع، ويهمس: أنت رائعة وأثرت إعجاب الحضور بأدائك العبقري، والآن ستثيرين دهشتهم وانبهارهم بإنجازك.

بدأ عرض الفيلم وانتابتني حالة هلع من الأضواء ومن أعين الحضور التي راحت تتفحصني، حاولت أن أختبئ خلف «يوسف» لكن لم أفلح.

ضجت الصالة بالتصفيق والهتاف في نهاية العرض، غادرت الحفلة مسرعةً وانطلقت أعدو إلى الخارج، لم أعد أقوى على تحمل الزحام وعيون الأغراب المتربصة بي.

وصلت إلى سيارتي وأنا في حالة انهيار، لحق بي «يوسف» وأصر على الركوب معي في السيارة.

- اتركي لي مقعد السائق يا «ياسمي»، فحالتك لا تسمح بالقيادة.

- لا، أنا أجيد القيادة في أي وقت.

هتفت بها في حنق وانطلقت بالسيارة ولم أنتظر أن يغلق «يوسف» الباب المجاور له، تجنب «يوسف» الحديث معي أثناء انهياري.

توقفت بعد فترة على جانب الطريق ودخلت في نوبة بكاءٍ ونحيب بعد أن قضيت ساعاتٍ تحت ضغط نفسي رهيب جعلني أفقد السيطرة على نفسي، يبدو أنني لم أُشف بعد من الرهاب الاجتماعي.

بادرني يوسف:

- أنت رائعة يا «ياسمي» بذلتِ مجهودًا جبارًا اليوم وواجهتِ مخاوفك بقوة، ما رأيك أن نعود إلى المكتب الآن ونجمع أغراضنا وننصرف.

- حسنًا يا «د/ يوسف»، هل ما زلت ترغب في القيادة أنا منهكة؟

تولى «يوسف» القيادة وعدنا إلى المكتب، أحضرت حقيبتي وعدت إلى السيارة وأصر «يوسف» أن يعود بي إلى منزلي.

وصلت إلى شقتي بعد يومٍ شاق وضغط عصبي لا يحتمل، وعاد «يوسف» إلى المؤسسة.



«يـــــوســـــف»:

ودعت «ياسمي» أسفل منزلها وعدت إلى المؤسسة، أوشك الحفل على نهايته، صعدت «أ/ روفان» و«د/ محمد» إلى خشبة المسرح من أجل تكريم أبطال العرض المسرحي وتوزيع الجوائز على الفائزين في المسابقة.

كان الجميع يبحث عن «ياسمي» لتكريمها على تنظيم الحفل وعلى أدائها المبهر في العرض المسرحي، غيابها المفاجئ أدهش الجميع.

غادرت المؤسسة ووصلت إلى منزلي، ودعت «رفيف» واتجهت إلى غرفتي.

كنت متعبًا وفي حالة يرثى لها، انهيار «ياسمي» وبكاؤها فاق قدرتي على الاحتمال، بدت كطفلة مذعورة تبحث عن الأمان، منعت نفسي عن ضمها واحتوائها بصعوبةٍ، كل دمعة سالت منها أوجعتني ومزقت قلبي.

آهٍ يا «حوريتي» لم أعد أطيق رؤياك حزينة بهذا الشكل، يا الله عجل بالوصال والبوح.

تناولت أقراص المهدئ ونمت بعد تعب وتفكير طويل في إيجاد حل.

أيقظتني طرقات «رفيف» في الصباح.

- صباح الخير يا «يوسف» هل ما زلت نائمًا؟

- تفضلي يا «رفيف».

- لمَ لم تستيقظ مبكرًا كعادتك؟

- كنت أعاني من الأرق طوال الليل.

انهالت عليّ أسئلة «رفيف»:

- ماذا حدث بالأمس يا «يوسف» وأين ذهبت أنت و«ياسمي»؟

- أصابتها نوبة هلع وانهارت نتيجة الضغط النفسي الذي تعرضت له.

- نعم لقد ظهر عليها القلق واضحًا قبل العرض المسرحي، لكن ما السبب في هذا؟

- «ياسمي» تعاني من الرهاب الاجتماعي يا «رفيف».

- وماذا حدث بعد ذهابكما؟

- لحقت بها في السيارة بعد أن تركت الحفل، وظلت تسير بالشوارع وهي في حالة لا وعي بين نحيبها وصرخاتها.

- حالتها تبدو صعبة للغاية، لكن لمَ لم تهدئها يا «يوسف»؟

- كيف هذا يا «رفيف» هي كانت تفتقد إلى الاحتواء في هذه اللحظة، وهذا الأمر ليس بيدي.

- وماذا فعلت إذًا؟

- تركتها حتى هدأت، وعدنا للمؤسسة، أحضرت حقيبتها وعدت بها إلى منزلها، وعدت إليك بعد ذلك.

- مسكينة هذه الفتاة لقد عانت كثيرًا.

- نعم أعرف هذا جيدًا، لكن ليس بإمكاني مساعدتها ولم أعد أقوى على تحمل شعوري نحوها بالعجز.

- أعانك اللّه يا أخي.

- أفكر في ترك المؤسسة يا «رفيف».

- كيف ستترك «حور» بعد أن وجدتها يا «يوسف»؟

- لم يعد قلبي يقوى على كتمان حبها.

- كيف تتخلى عنها يا «يوسف»؟

- أنا بشر يا «رفيف» لم أعد أقوى على غض بصري معها، فقدت السيطرة على لهفتي وشوقي إليها، قربي من «حور» أصبح خطأً.

- أنا أعلم مقدار حبك لها يا «يوسف» لكن هروبك ليس حلًا.

- ومن أين سيأتي الحل! لو تحدثت معها بصراحة ستهرب مني، وقلبي لن يحتمل الكتمان أكثر من هذا.

- لمَ لا تجرب أن تتحدث معها دون مصارحتها عما تعرفه؟

- «ياسمي» تعاني من عقدة الخوف من الرفض ومن فقدان الآخرين، سترفضني يا «رفيف» خوفًا من أن أتخلى عنها.

- يا اللّه وما العمل، قصتكما معقدة يا «يوسف».

- لا أعرف يا «رفيف» وجودي معها يحرق قلبي.

- أنت ستباشر العمل بمكتبك في بداية الأسبوع، أليس كذلك؟

- نعم يا «رفيف».

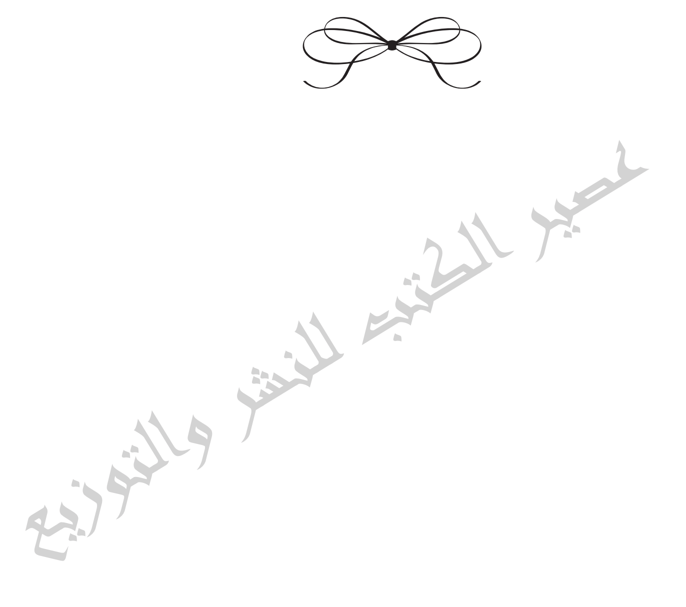
- هذا يعني أنك لن تراها كثيرًا بعد ذلك.

- نعم وأتوقع أن تتجنب التعامل معي بعد ما حدث بالأمس.

- حسنًا، أعتقد الوضع سيصبح أفضل بينكما هكذا.

- أتمنى هذا.

- بدل ثيابك يا «يوسف» والحق بي لنتناول الفطور.



«يـــــاسمي»:

اتجهت إلى غرفتي وعادت لي نوبة الانهيار من جديد، قضيت ليلتي بين النحيب والدموع، ما حدث معي اليوم فاق احتمالي، ورؤية «يوسف» لي بعد الحفل زادت من حدة انهياري، سيظن الآن أنني ضعيفة.

لم أعد أقوى على الاحتمال أكثر من هذا، أحتاج لوجود شخص أثق به وأتخلى معه عن كتماني، لكن كيف سأتأكد من أنه لن يتركني؟

لكنها طفلة عنيدة تأبى إلا أن تلعق جرحها بنفسها وتمضي كأنها لم تختبر الألم من قبل، ترفض بكبرياء أنوثتها أن تبوح ولو سرًا بحاجتها المضنية إلى رفيق أقوى منها تستند إليه وتتكسر أمامه فلا يخذلها ولا يستغل حاجتها!

جفاني النوم طوال الليل واتجهت في الصباح إلى المطبخ، أعددت كوبًا من القهوة وعدت إلى غرفتي، أرسلت رسالة إلى «إلينا» على البريد الإلكتروني وتحدثنا.

- واجهتني نوبة هلع شديدة يا «إلينا».

- ماذا حدث يا «ياسمي»؟

- تعرضت إلى ضغط عصبي في العمل بسبب ظهوري في حفلة وتواجدي تحت الأنظار.

- ألم تتحرري بعد من الرهاب الاجتماعي يا «ياسمي»؟

- لا يا «إلينا» ولا أعرف ماذا أفعل؟

- هذا يعني أن لديك شعورًا داخليًا برفض الذات وعدم الاستحقاق يا «ياسمي» واجهي نفسك وتقبليها.

- حسنًا يا «إلينا».

أغلقت البريد الإلكتروني ودلفت إلى صفحة التواصل الاجتماعي.

وجدت رسالة من «رفيف» تطمئن فيها على حالي، أجبتها باقتضاب، وتجاهلت المشاركة في الحديث داخل المحادثة الجماعية، أغلقت حاسوبي، وذهبت إلى غرفة الاستقبال.

- صباح الخير يا «روفي».

- صباح الخير.

- كيف حالك؟

- الحمد للّه.. ما الذي فعلته بالأمس يا «ياسمي» قفز في الهواء! هل فقدت عقلك بالكامل يا ابنة أخي، متى تم تصوير هذا الفيلم؟

- لم أفقد عقلي يا عمتي كان هذا عرضًا مسرحيًا تدربت على أدائه جيدًا قبل أن أؤديه، والفيلم تم إنتاجه عندما كنت في لندن.

واضطررت إلى عرضه حتى أسترد مكانتي المسلوبة في المؤسسة، لقد فاض بي الكيل على مدار عامين وأنا أتحمل سخافات مجلس الإدارة وتقليلهم من شأني، هذه هي طريقتي في الرد على سخرية واستهزاء الجميع.

- صباح الخير جميعًا، لمَ يعلو صراخك يا «ياسمي»!

- عمتي تسمي مجهودي وتعبي فقدان عقل يا «كريم».

- كيف هذا! كنت رائعة يا «ياسمي» لقد أذهلتِني وأثرت دهشة جميع الحضور.

- هل تشجعها على هذا الجنون يا «كريم»؟ كدت أموت هلعًا وأنا أشاهدها تقفز في الهواء مثل البهلوانات.

- اهدأي يا «روفي» لقد مر الحفل على خير ونجاح «ياسمي» أبهرنا جميعًا.

- سأذهب لإعداد الفطور، افعلي ما يحلو لك يا «ياسمي» إلى أن تتكسر عظامك أو تتحطم رقبتك.

ختمت عمتي هجومها بهذه الجملة وذهبت إلى المطبخ في وجوم، وتعمدت أن تتجاهل الحديث معي على مدار الأيام التالية.

قضيت عطلتي داخل الغرفة مع دفتري وذكريات الماضي.

عدت إلى حياتي داخل المؤسسة، بدأ «جو» حديثه هذه الجلسة بسؤال:

- كيف تتخلص من شعور الرفض؟

أصابنا الوجوم والصمت، واصل «جو» حديثه:

- تعزيز الثقة بالنفس يساعد على التخلص من شعور الرفض، أريد من كل واحد منكم أن يخبرني بالصفات الإيجابية التي يراها في نفسه.

أجاب الجميع، وعندما جاء دوري احترت هل أخبره عن إيجابيات «حور» أم «ياسمي»، قررت أن أذكر الصفات التي أراها في نفسي الآن، المثابرة، قوة التحمل، الصبر.

واصل «جو» حديثه:

- إذًا نحن لا نفتقر إلى المميزات ولا يوجد إنسان يخلو من الصفات الإيجابية، لكن نحن نركز على الصفات السلبية ونغذيها ونعطيها شعورًا بالاهتمام، وفي المقابل ننسى صفاتنا الإيجابية ولهذا نشعر بعدم الاستحقاق.

اتفقنا في المرة السابقة أن شعور عدم الاستحقاق يجذب شعور الرفض، وعرفنا الآن كيف بدأ شعور الرفض، بقي أن نعرف علاجه.

عملية تعديل السلوك تتطلب الصبر والمثابرة، هل لديكم الاستعداد لهذا؟

علت أصوات الحاضرين في حماس: نعم.

- هذه هي الخطوة الأولى وسنقوم بها عند بداية الاستيقاظ من النوم.

ستبدأ يومك بالتفكير في صفة إيجابية موجودة لديك، وبعدها ستتحدث عنها مع نفسك بصوت عالٍ وتمدح نفسك على امتلاك هذه الصفة.

هذه الخطوة ستجعل شعورك بعدم الاستحقاق يتزعزع بالتدريج إلى أن ينتهي، واظب على دعم نفسك وتحدث معها بإيجابية وامدحها على كل فعل تقوم به حتى لو بدا بسيطًا أو غير ملحوظ، مثال: إذا نهضت من النوم ورتبت فراشك فهذا يعد فعلًا جيدًا يستحق المدح.

الخطوة الثانية: ابدأ بجذب التقدير والثناء من الخارج، إذا رأيت إنسانًا كبيرًا في السن أو شخصًا يحتاج المساعدة مد إليه يد العون، اسأل عن جيرانك وامدحهم على طريقة انتقائهم الثياب مثلًا، ابحث عن الصفات الإيجابية في الأشخاص المحيطين بك وامدحهم عليها ولا تنتظر أن تعامل بالمثل، اخلق شعورًا بالألفة مع من حولك.

جميعنا نحتاج للكلمات الطيبة وسينعكس شعور من مدحتهم عليك بمشاعر إيجابية، الأفعال الإيجابية ينتج عنها شعور إيجابي، وهذا سيضعك

داخل دائرة إيجابية تساعدك في التخلص من الشعور السلبي بعدم الاستحقاق.

الخطوة الأخيرة: ابحث عن الصفات الإيجابية التي تفتقدها واكتسبها. مثال:

أنت تحب صفة الثقة في النفس وتفتقدها، احصل عليها من خلال مدح نفسك والآخرين، تفتقد الشعور بالآخرين اهتم بمن حولك واسأل عنهم دون انتظار مقابل، ساهم في القيام بالأعمال التطوعية سيجعلك هذا تشعر بأهمية وجودك وسيمنحك دورًا هامًا في محيطك.

تذكر دائمًا أن المثابرة والمواظبة هي أساس تعديل السلوك.

بقي أن نتحدث عن معوقات التغيير:

هناك أنماط شخصية تعوق عملية الجذب الإيجابي ويجب أن نتخلص منها أولًا، حتى ننجح في التخلص من شعور الرفض.

أولًا شخصية الضحية أو دور الشهيد:

توقف عن الشعور بأنك ضحية وتعاني بسبب إساءة الأهل، تخلص من الشعور بأنك مجبر على تحمل شريك حياتك السيئ من أجل أطفالك، أو تحمل إهانة مديرك في العمل من أجل بقائك في الوظيفة وحصولك على الراتب.

أنت إنسان حر لديك حرية القرار، بإمكانك نسيان إساءة والديك، أو التخلي عن شريك حياتك السيئ ودون أن تخسر أبناءك، بإمكانك التخلص من إهانات مديرك في العمل بالبحث عن عمل جديد، ابدأ في تطوير نفسك، شعور الضحية يجذب أحداثًا مأساوية ويجعلك تشعر بعدم الاستحقاق.

انتبه أنت مسؤول عن نفسك فقط، لست مسؤولًا عن حياة الآخرين أو تصرفاتهم، كل ما تملكه هو توجيه النصيحة إليهم وتدع لهم حرية قبول أو رفض نصيحتك، أما الشدة والنقد فيأتي دائمًا بنتائج عكسية، زوجتك لن تسيء إليك إذا عاملتها باللين والمحبة بل على العكس ستقدر معاملتك، لن يفلت زمام أبنائك لو عاملتهم بالود والرفق على العكس سيعملون على كسب رضاك.

واجه نفسك وحدد نمط شخصيتك وتخلص منه وابدأ عملية الجذب الإيجابي، أنت تستحق الحب والسعادة، وتمتلك قدرة الحصول على المشاعر الجيدة، وأراكم المرة القادمة.

تحدثت مع «إلينا» بعد انتهاء الجلسة ونصحتني، قائلة:

- تخلصي يا «ياسمي» من الشعور بأنك ضحية ما فعله والدك وتذكري أنه لم يعد موجودًا وبإمكانك الحصول على الحب، أنت تستحقين الاهتمام والمحبة.

- أنا توقفت عن إلقاء اللوم على والدي يا «إلينا».

- جيد يا «ياسمي» حددي أهدافك الآن وابدأي في تحقيقها.

انتهت العطلة بين العودة إلى الماضي والتفكير في الحاضر.

وافق «كريم» على إعداد ميزانية العام الجديد وذهب معي إلى العمل، وصلنا المكتب وعرضت على «رفيف» الذهاب معنا إلى الإسكندرية في نهاية الأسبوع وقضاء العطلة هناك فوافقت بحماس.

ظهر التجاهل بيني وبين «يوسف» جليًا، ولم يعد يأتي إلى مكتبي إلا نادرًا، وتجنبت مغادرة مكتبي خوفًا من مواجهة الموظفين، استمر هذا الحال على مدار الأسبوع أذهب إلى العمل وأختبئ في مكتبي وأمارس عملي من خلال الهاتف.

وتعمدت أن يكون موعد الذهاب إلى الإسكندرية في نفس موعد الحفل المقام للعاملين والموظفين بمناسبة نجاح الحفلة ولتكريم المنظمين والمشاركين فيها.

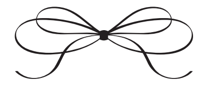
لم يختلف وضع المنزل عن العمل، كنت أقضي النهار في العمل وأعود في المساء إلى غرفتي، وتجنبت الحديث مع عمتي منذ هجومها الأخير.

بدأت ألاحظ اهتمام «كريم» بـ«رفيف» و«إياد» وقضاءه عطلة نهاية الأسبوع في النادي في صحبتهما، كنت أتابع الحديث الذي يدور في المحادثة الجماعية دون تعليق.

تابعت كتابات «يوسف» عن الصلاة والقرب من الله، على أمل أن أجد فيها ما يجيب عن تساؤلاتي التي باتت تحول بيني وبين العبادات.

بدأ شعور الوحدة والغربة يهاجمني بضراوة ولم يعد الهروب بالعمل أو التمرين ينقذني من وحدتي، وكأني أعيش وحيدة داخل فقاعة معزولة عن العالم، وأصبح وجود «يوسف» يزيد الأمر سوءًا، أخشى أن أتعلق به فأنا لم أعد أقوى على التركيز في أكثر من جبهة.

لا شيء يقوى على محو الحنين المتراكم بداخلها، لا شيء يجدي نفعًا مع وحدتها الداخلية وعزلتها.



«يـوسفـ»:

تجنبت «ياسمي» مشاركتنا الحديث في المحادثة الجماعية، وأرجعت «رفيف» السبب إلى الضغط العصبي الذي عانته «ياسمي» في الفترة الماضية، وخمنت أنها تعاني من الإرهاق والإجهاد.

قضينا العطلة في النادي مع «كريم» والخالة «روفان»، وفاتحني «كريم» في أمر زواجه من أختي وأخبرني عن ظروفه وسبب انفصاله عن زوجته، أخبرته أني سأعرض الأمر عليها، قضى «كريم» الوقت في اللهو مع «إياد»، واندمجت «رفيف» في الحديث مع الخالة «روفان».

وانشغلت في التفكير بـ«حور»، ترى ماذا تفعل الآن؟!

بالطبع ما زالت تعاني من آثار نوبة الرهاب التي انتابتها، كيف أصارحها بشعوري تجاهها دون أن أخسرها، وهي ما زالت تعاني من ما فعله بها «يامن»، أعرف أن خوفها من التعلق بالأشخاص سيجعلها تهرب مني.

عدنا إلى المنزل وتحدثت مع «رفيف» في رغبة «كريم» بالزواج منها، ولاحظت ترددها وقلقها على «إياد» لكن شجعتها على التفكير في قبول الزواج.

فهو شاب طيب وخلوق سيحسن معاملة أختي ويعوض «إياد» عن حرمانه المبكر من والده، «إياد» أيضًا سيعوض «كريم»عن حرمانه من نعمة الإنجاب، طلبت «رفيف» مهلة للتفكير في الأمر والاستخارة.

تركتها وعدت إلى التفكير في «حور»، دعوت الله أن يهبني البصيرة لإيجاد حل للزواج منها وذهبت إلى النوم استعدادًا ليوم عمل جديد في الغد.

(الــمــواجــهــة)

«يـــاسمين»:

ذهبنا إلى فرع المؤسسة بالإسكندرية وانتهيت من الأمور العالقة في الإدارة وأجريت اجتماعًا مع مدراء الأقسام، اتفقنا فيه على نظام سير العمل هذا العام ولائحة العمل الجديدة، وتركت «يوسف» يتولى متابعة العمل داخل القسم النفسي، أنهينا العمل وعدنا إلى الشاليه.

توجهنا إلى البحر في صباح اليوم التالي، ذهب «كريم» و«إياد» إلى محل المثلجات، وجلست مع «رفيف» و«يوسف» على الشاطئ.

قربي من «يوسف» وتجنبه التعامل معي أصبح أمرًا مؤلمًا ولم أعد أقوى على منع نفسي من الحديث معه، توقفت عن التفكير ونزعت معطفي واتجهت إلى البحر رغم اعتراضات «رفيف».

كانت المياه شديدة البرودة والأمواج متلاطمة، ركزت انتباهي على السباحة، وابتعدت عن الشاطئ وتركت جسدي يطفو فوق الماء، غلبني التفكير وفقدت الشعور بالمكان.

آه لو تعلم يا «يوسف» شدة تعلقي بك، لو أننا نجتمع تحت سقف واحد في الحلال، لا أريد سوى رؤياك كل ليلة وسماع صوتك العذب، لا أعرف كيف ولجت إلى قلبي دون قصد منك أو جهد! أحاديثك الطيبة ومعاملتك الرقيقة معي أذابتني.

لكن هذا لن يحدث، شاب مثل «يوسف» سيبحث عن فتاة جميلة ومتدينة مثله، وسأعاني من انجذابي الأخرق نحوه، كيف سأنجو من تعلقي بك؟

ضربتني الأمواج بقوة ودفعت جسدي تحت الماء، حاولت المقاومة لكن أصيبت ساقي بالتشنج ولم أقو على الحركة، بدأ الماء يجذبني للأسفل، وبدا الشاطئ بعيدًا للغاية، كيف سأنجو! صحت مستنجدة ورحت أقفز وألوح بيدي عاليًا طلبًا للنجدة.

وبدأت مياه البحر تتسرب إلى فمي، ابتلعت كمية كبيرة من المياه المالحة وبدأت أختنق وفقدت القدرة على التنفس.

جاءني صوت «يوسف» يصيح وهو يسبح في اتجاهي:

- «حــور» أنا قادم اهدأي وادفعي المياه بيديك.

شعوري بالاختناق ذكّرني بمحاولة «يامن» قتلي، وأربكني نداء «يوسف» لي بلقب «حور»، هل عدت إلى الماضي؟

أين أنا، هل عاد «يامن» لمطاردتي من جديد؟ لن أقفز من النافذة هذه المرة، لن أعرض ساقي للأذى، سأقاوم «يامن» وأدفعه عني، اختلطت ذكريات الماضي بالحاضر، وفقدت التركيز.

ظننت أن «يوسف» هو «يامن» فضربته وقاومته وهو يحملني إلى خارج الماء، ضربني على وجهي، أعادتني لطمته إلى الواقع وأفقت من حالة اضطراب الذاكرة التي أصابتني.

حملني «يوسف» إلى الشاطئ ووضعني على الرمال برفق، وأعانتني «رفيف» على ارتداء معطفي، لكن لم يتوقف جسدي عن الارتجاف من شدة شعوري بالبرد، نزع «يوسف» معطفه ووضعه على كتفي وغطى شعري المبلل بالمياه.

بدأت التساؤلات تضرب رأسي وهاجمته بغضب:

- كيف عرفت اسم «حور»، من أنت؟

- اهدأي يا «حور» سأوضح لك الأمر.

- لن أهدأ أخبرني الآن، من أنت؟

- أنا Just you يا «حور» تحدثنا على موقع التواصل الاجتماعي، والتقينا في مؤسسة لندن عدة مرات، ألا تتذكرين دكتور «جو»؟

ألجمت الدهشة تفكيري، طبيب موقع التواصل هو «جو»، و«جو» هو نفسه «يوسف» كيف هذا! لمَ لم أتذكره عند رؤيتي له من جديد، ربما لأني لا أتذكر كيف كان يبدو «جو».

لكن كيف عرف أنني «حور»، كيف عثر عليّ؟ عاودت مهاجمة «يوسف» من جديد فأخبرني بتفاصيل ما حدث، وأنه كان يبحث عني، واطلع على دفتري عن طريق شريحة نقل البيانات وأخبرني عن الرؤى التي يراني فيها.

لم أتحمل التفكير في ما يقوله، لقد اقتحم أسراري وأصبح يعرف كل شيء عني.

صار يعرف أني كنت دومًا معجبة به، منذ بداية حديثنا على موقع التواصل، وأثناء وجودي داخل المؤسسة العلاجية في لندن، ومعجبة به الآن في العمل، أصبحت عارية أمامه، انهرت وأنا أنتحب بشدة، كان الأمر يفوق احتمالي.

صرخت في هلع وجزع:

- أريد العودة إلى غرفتي أعيدوني إلى منزلي الآن.

ضمتني «رفيف» إليها واحتوتني وراحت تربت على رأسي في حنان:

- اهدأي يا «ياسمي» سنبحث عن «كريم» ونعود.

لم أتوقف عن البكاء والنحيب طوال طريق العودة إلى القاهرة، ودخلت في نوبة حمى وهذيان، وصلت إلى منزلي في حالة يرثى لها من المرض والإعياء.

لم يتركني «يوسف» خلال فترة إعيائي وبقي معي إلى أن تحسنت حالتي، وأشرف على علاجي، استعدت وعيي بعد أيام من الحمى والإعياء، كان «يوسف» يزورني كل يوم حتى تأكد من شفائي.

صارحني «يوسف» برغبته في الزواج مني:

- حمدًا لله على سلامتك يا «حور»، أعرف كيف تفكرين فيّ الآن لكن أعطيني فرصة الدفاع عن نفسي، ليس من عادتي التجسس على الآخرين، دفترك وصل عندي صدفة، في البداية ظننت أنه أحد ملفات الطلاب، بعدها أدركت ما يحويه وواصلت القراءة.

لم أصدق أنك «حور» التي تهاجم نومي وتطارد أحلامي كل ليلة، «حور» التي أعياني التفتيش والبحث عنها منذ أعوام ولم أقو على نسيانها أو الارتباط بغيرها.

كنت أستمع إليه دون رد، هل حقًا كان يبحث عني، هل كانت الرؤى تزوره مثلي!

توقف عن الحديث قليلًا في انتظار تعليق مني، وعندما لم يجد أكمل:

- «حور» أنا أرغب في الزواج منك، لن أتحمل غيابك بعد اليوم، لم أعد أقوى على التحكم في مشاعري أكثر من هذا، لدي حديث طويل أريد البوح به، لكن سأنتظر حتى نجتمع في الحلال.

فخ جديد ومعاناة جديدة تمامًا كما فعل «يامن»، هو يشعر بالشفقة نحوي بعد أن اطلع على أسراري وأدرك حقيقة انجذابي نحوه.

- أنا لا أريد شفقتك يا «يوسف» وشكرًا لك على عطفك.

- بعد كل ما أخبرتك به تسمين شعوري شفقه! هذا ما منعني عن مصارحتك من البداية، شعوري نحوك لا علاقة له بما يدور في ذهنك الآن يا «حور»، أنا أعرف أن «يامن» جعلك تفقدين الثقة بالآخرين.

سكت «يوسف» قليلا وأكمل:

- أنا لم أتوقف عن التفكير بك يا «حور» منذ آخر حديث لنا على موقع التواصل الاجتماعي، وفي إمكانك أن تسألي «رفيف»، هي تعرف قصتي معك منذ بدايتها.

- هل أخبرت «رفيف» عن دفتري يا «يوسف»؟

سألته في استنكار وغضب.

- هل تتصتين إلى ما أخبرك به يا «حور»؟! «رفيف» لا تعرف شيئًا عن الدفتر، هي تعرف أني أبحث عن فتاة تدعى «حور» من موقع التواصل الاجتماعي وأرغب في الزواج منها.

- حسنًا، لو فرضنا أن ما تقوله صحيح.

قاطعني:

- أنا لا أكذب يا «حور» ولدي ما يثبت صدق حديثي، كنت أكتب خواطر عنك موجودة إلى الآن على صفحتي الشخصية القديمة، لو دلفتِ إلى صفحتي ستجدينها، كان لدي أمل أن تعاودي الظهور وتعرفي حقيقة شعوري نحوك، الآن أنت تجبريني على البوح قبل الأوان.

- أنا أصدقك يا «يوسف» وأثق بك منذ بداية حديثنا على موقع التواصل، لكني لن أتحمل وجع فقدك أو غيابك عني، أنا أعاني من الارتباط المرضي بالأشخاص.

- أعرف هذا الأمر وأعدك أني لن أتخلى عنك يا «حور» وسأبقى إلى جوارك حتى نهاية عمري.

- أنت لا تعرف قوة مشاعري تجاهك يا «يوسف»، لن يقوى قلبي على تحمل غيابك عني سأتعذب ويتكرر معي ما حدث مع والدي عندما فقد والدتي، أنا أضعف من أن أواجه هذا الوجع سامحني.

- الموت أمر حتمي يا «حور» وتفكيرك هذا فيه اعتراض على قضاء اللّه.

- أنا لم أعترض على قضاء اللّه يا «يوسف»، لكني لن أحتمل غيابك عني.

- لن يبتلينا اللّه بما لا نطيق تحمله والأعمار بيد اللّه، وربما ينتهي عمرك قبل أن ينقضي عمري سأتعذب أنا أيضًا لو حدث وفقدتك، لكني أثق بأن اللّه سيتغمدني في رحمته وأن لنا لقاءً آخر في الجنة، أشكرك على هذا التفاؤل يا «حور» أنت أقمت جنازتي وأنا على قيد الحياة.

- معك حق يا «يوسف» لكن ما زال هناك أمر آخر، أنا لن أقوى على الإنجاب، لدي مشكلة في القلب ولن أتحمل مجهود الوضع أو التخدير، ولا أرغب في إنجاب طفل يواجه الحياة وحيدًا بدون والدته.

- لن أقبل بأن تعرضي حياتك للخطر يا «حور» بإمكاني الاستغناء عن الأطفال، يكفيني وجودي بالقرب منك.

- لا أستطيع حرمانك من الأطفال يا «يوسف» سامحني لست بهذه الدرجة من الأنانية، سأتحمل غيابك ربما نلتقي في الجنة.

- دعينا نلتقي الآن ونؤجل الإنجاب إلى الجنة، لن أتحمل فقدانك بعد أن وجدتك، كانت حياتي جحيمًا قبل أن أعثر عليك يا «حور».

- لا تحملني ما لا أطيقه يا «يوسف».

قلتها وانهرت في النحيب وفقدت قدرتي على التماسك.

انسابت دموع «يوسف» وودعني ورحل.

جاءت عمتي وجلست إلى جواري وضمتني إليها، وهي تقول:

– لمَ رفضت «يوسف» يا «حور»، الشاب يهيم بك حبًا وظل إلى جوارك طوال الفترة الماضية ورفض الذهاب إلى عمله.

– رفضته مرغمة يا عمتي، أنا أعشقه وهو يعرف هذا وتمنيته منذ أعوام، ليس له ذنب في مرضي ولا يوجد حل، إما أن أحرم «يوسف» من الأطفال أو أحرم طفلي من وجودي معه.

– لمَ لم تفكري في قلبك وأنت تجهدينه في العمل وفي التمرين والسهر كل يوم يا «حور»!

– أستطيع تحمل ذنبي تجاه نفسي، لكن لن أطيق تحمل حرمان «يوسف» من الأطفال.

– فوضي أمرك لله يا «حور» أنت لم تطلعي على الغيب يا بنيتي.

– أنا آخذ بالأسباب وهذا قضاء الله.

– لا، هذا هروب، واجهي مخاوفك يا «حور» وكفاك هربًا.

– هذا ليس هروبًا، أنا لم أعد أعرف كيف أرضيكم يا عمتي. حور وافقي على الخطبة من «يامن» حسنًا، «حور» اتركي «يامن» وانسيه حسنًا، «حور» إصابتك تسببت لك بعجز دائم حسنًا، «حور» اذهبي للمؤسسة وواجهي عجزك حسنًا، «حور» عودي إلى مصر حسنًا، «حور» انضمي إلى العمل معنا بالمؤسسة حسنًا، «حور» واجهي مجلس الأعضاء ورهابك الاجتماعي حسنًا.

«حور» لم تعد تتحمل المزيد وفعلت كل ما في وسعها ولكن لا شيء يرضيكم، ودائمًا أواجه بالرفض والسخرية لمَ لا تتقبلوني كما أنا، كفى «حور» تعبت، كفى اتركوني وحيدة أريد النوم.

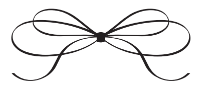
كنت أتحدث في انفعال وجنون، تركتني عمتي وغادرت.

انفجرت في النحيب والبكاء، حرماني من «يوسف» يفوق احتمالي، ليتني أجد مخرجًا.

لو وافقت وتزوجته مع الأيام سيشتاق إلى الأطفال وإما أن يتركني ويتزوج من تنجب له، أو أقوم بالإنجاب ويصبح طفلي يتيمًا، أو يعيش «يوسف» محرومًا من الأطفال بسببي.

غادرت الفراش، أحضرت حاسوبي ودلفت إلى صفحة «يوسف» الشخصية، وجدت أنه لم يتوقف عن الدعاء لي في الفترة الماضية أثناء مرضي حتى على موقع التواصل.

وجدت رسالة من «رفيف» تسألني عن حالي وصحتي وأبلغتني عن رغبتها في المجيء إلى زيارتي غدًا، رحبت بقدومها وأغلقت حاسوبي ونمت.



«يــــوســــف»:

أيام قضيتها بجانب «حور» وأنا خائف من فقدانها، ولازمتها حالة الهذيان طوال فترة مرضها، انتظرت أن تسترد عافيتها، وفاتحتها في أمر الزواج مني بعد أن أخذت موافقة الخالة «روفان».

لكن صدمني إصرار ها على رفض الزواج مني، وحاولت مناقشتها وإقناعها لكنها انهارت.

تركتها وأنا في حالة نفسية سيئة، وصلت إلى شقتي وجاءت «رفيف» لتستطلع الأمر، لكن لم أقو على الحديث معها، كان الألم بداخلي يفوق قدرتي على الاحتمال، انهيار «حور» المتواصل يصيبني بالعجز، وهي تصدني عن مساعدتها وأصبحت لا أعرف ما الحل معها.

لا أعرف كيف سأقوى على الحياة بدونك يا مهجتي ليت قلبك يرق على حالك وحالي وتتخلين عن الرفض، قطعت تفكيري وذهبت إلى شقة أختي.

استقبلتني «رفيف» وتحدثت معها عن زيارتي إلى «حور».

- أهلًا وسهلًا بالبائس، كيف حالك الآن؟

- الحمد لله.

- ما الذي حدث يا «يوسف»، لمَ كل هذا الحزن؟

- ذهبت إلى «حور» وعرضت عليها الزواج مني ورفضت.

– لقد تسرعت يا «يوسف»، اصبر عليها حتى تهدأ مما حدث.

– ليس لدي وقت يا «رفيف»، المؤسسة في لندن وافقت على عودتي وأعطوني مهلة أسبوعًا للذهاب.

– لمَ لا تؤجل سفرك يا «يوسف» إلى أن تتعافى «حور»؟

– ستنتهي مهلة تسجيل رسالة الدكتوراه في الأسبوع المقبل.

– هل هذا يعني أنك لن تشهد خطبتي وزواجي يا «يوسف»؟

– سأطلب إجازة من العمل، وأعود قبل موعد زفافك يا «رفيف».

– وماذا عن «حور»؟ أنا أثق أنها تحبك.

– نعم وأنا أيضًا أثق في هذا وهي تعرف شعوري نحوها.

– حسنًا لمَ لم تتحدث معها بصراحة وتخبرها عن مشاعرك بوضوح يا «يوسف»؟

– أخبرتها بالفعل عن حقيقة شعوري نحوها فتهربت مني ورفضت.

– غيابك سيؤثر على حالتها يا «يوسف»، كيف ستتركها هكذا؟

– اطمئني سأتواصل مع الطبيبة المتابعة لحالتها بمجرد وصولي إلى لندن.

– أعانك الله يا أخي.

– ماذا قررت بخصوص زواجك من «كريم»؟

– أرى أن «كريم» شخص جيد ومناسب، ما رأيك أنت؟

- نعم أوافقك الرأي، «كريم» شاب طيب ومهذب ولاحظت أن هناك توافقًا بينكما.

- حسنًا أخبره بموافقتي يا «يوسف».

- حسنًا سأتحدث معه غدًا ونحدد موعدًا للخطبة وعقد القران، لا أرغب في تركك وحيدة يا «رفيف»، لمَ لا تأتين معي إلى لندن حتى يحين موعد زفافك؟

- وتجهيزات الزواج يا «يوسف»، لا تقلق سأكون بخير.

- حسنًا، غدًا سأمر على المؤسسة وأقدم استقالتي.

- بالتوفيق يا أخي، سأذهب غدًا إلى «حور» وأتحدث معها.

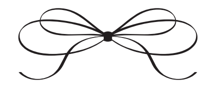
- حسنًا، سأخلد إلى النوم الآن.

أنهيت حديثي مع «رفيف» وعدت إلى شقتي، أبدلت ثيابي وغفوت، وفي الصباح ذهبت إلى المؤسسة وسلمت متعلقات العمل الخاصة بي، وبعدها التقيت «كريم» وأبلغته بموافقة «رفيف» وحدد معي موعدًا لزيارتنا في المنزل.

عدت إلى المنزل ووجدت «رفيف» محبطة من إصرار «حور» على الرفض.

حضر «كريم» إلى منزلنا ومعه الخالة «روفان» وتمت خطبة «رفيف» وحددنا موعدًا لعقد القران قبل موعد سفري، واتفقنا على تأجيل الزفاف إلى أن ينتهي «كريم» من تجهيزات شقته.

حضرت «حور» إلى حفل عقد قران «رفيف» و«كريم»، تحدثت معها وأخبرتها عن اضطراري إلى السفر، وفاتحتها في مسألة الزواج مرة ثانية لكنها أصرت على الرفض وغادرت الحفل مبكرًا.



«ياسمين»:

انقطعت عن الذهاب إلى العمل ولم أعد أغادر غرفتي إلا للضرورة، جاءت «رفيف» إلى زيارتي وبشرتني بخطبتها من «كريم»، ودعتني إلى حضور عقد القران، وحاولت بعدها إقناعي بالزواج من «يوسف» ولكني أصريت على الرفض.

ذهبت إلى عقد قران «رفيف»، كانت حفلة بسيطة وفي نطاق العائلة، فاجأني «يوسف» بخبر عودته إلى لندن وإقامته الدائمة هناك، وأخبرني أنه سينتظر موافقتي ولن ييأس، قاومت الرضوخ إلى نداء قلبي وغادرت الحفل مبكرًا.

مضى شهر دون أن أعرف شيئًا عن «يوسف»، تجاهلت الحديث مع «رفيف»، وتجنبت الجلوس مع عمتي منذ آخر حديث دار بيننا، جاءت «ساندي» إلى زيارتي وحاولت مساعدتي في الخروج من هذه الحالة لكني أجبرتها على المغادرة.

كنت أتعامل بقسوة مع الجميع، نهرت «كريم» عن محاولاته في إقناعي بقبول الزواج من «يوسف»، ومع هذا لم ييأس وحاول إشراكي في أمور زواجه، لكني رفضت المشاركة في ترتيبات الزواج وتجاهلت الجميع.

التزمت بالبقاء في غرفتي وانقطعت للتفكير في الماضي، ولجأت إلى «إلينا» بعد أن أرهقني التفكير.

دلفت إلى حاسوبي وأرسلت إلى «إلينا» رسالة مطولة أخبرتها فيها بكل ما حدث معي منذ رحلة الإسكندرية حتى هذه اللحظة، وصارحتها بالرؤى التي كنت أرى «يوسف» فيها وبعرضه الزواج مني وبرفضي له، وأخبرتها عن الصدف التي جمعت بيننا.

جاءني ردها وأعادني إلى وعيي، أيقظني حديثها من هروب طويل:

- كيف رفضت شابًا ممتازًا وشخصية عظيمة مثل «د/ يوسف» يا «ياسمي»، لقد ظل يبحث عنك لفترةٍ طويلة وطلب استشارتي بخصوص الرؤى التي يراك فيها وظن أنها عارض نفسي لكني شرحت له الأمر، وأخبرته أن ما يحدث بينكما يسمى تخاطرًا، وشجعته على محاولة الوصول إليك ولا أدري لمَ رفضته، كفاك هربًا من الماضي يا «ياسمي»، واجهي نفسك وتقبلي أخطاءك.

لا تدعي مخاوفك تقف حائلًا بينك وبين الحصول على السعادة، الحب أمر يستحق المجازفة، لا يهم هل سيستمر أم سينتهي بعد فترة، المهم أنه سيمنحك ذكريات جميلة تبقى معك، اهتمي بالحاضر وتوقفي عن القفز إلى المستقبل.

برنامج التأهيل النفسي لم ينجح معك لأنك تهربتِ من مواجهة نفسك، واختبأت خلف اسم جديد، نجاح «ياسمي» جاء نتيجة المشاكل التي واجهتها «حور» والمعاناة التي تعرضت لها، التجارب المؤلمة لها دور في تغيير شخصية الإنسان، هناك مقولة أريدك أن تفكري فيها.

«لا تشرق الروح إلا من دجى الألم، هل تزهر الأرض إلا إن بكى المطر»، أو بمعنى آخر: «من رحم المعاناة يولد النجاح»، نحن بشر وطبيعي أن نخطئ، ابدأي الآن البحث عن أخطائك وواجهيها، أتمنى أن أجد رسالةً منك تبشريني فيها بتغلبك على مخاوفك.

فكرت طويلًا في رسالة «إلينا»، اكتشفت أنها على حق، بعد طول هرب من الحقيقة والمواجهة مع نفسي اعترفت أني تهربت من أخطاء الماضي خوفًا من شعوري بالذنب تجاه نفسي، وهذا الخوف كلفني كثيرًا.

كان من المفترض أن نلتقي أنا و«يوسف» منذ أعوام لكن لم أكن جديرة به، فهو شخص إيجابي وأنا شخصية سلبية، اختبأت داخل لقب وهمي وأنكرت جوهري وتنكرت لحياتي السابقة هربًا من الألم، كان من الممكن أن نلتقي منذ بداية حديثنا على موقع التواصل لكني تخليت عنه حينها وهربت، فرصة الارتباط بـ«يوسف» جاءتني أكثر من مرة، ومع هذا لم أتخل عن سوء ظني في الله، واستسلمت إلى وساوس نفسي، وحرمت قلبي بهجة القرب من «يوسف».

شعوري بعدم الاستحقاق كان السبب، ما زالت آثار معاملة والدي محفورة داخل عقلي الباطن وحاولت «إلينا» أن تواجهني بهذا منذ دخولي المؤسسة، ولكني كنت أتهرب من الأمر.

كل ما حدث معي بسبب سوء ظني بالله، مع أن الله لم يتخل عني منذ طفولتي، لكني كنت مشغولة بالبحث عن الأشياء المفقودة، ولم ألتفت إلى النعم الموجودة في حياتي، أنجاني الله من «يامن» الذي حاول قتلي، ومن «زياد»، وأنقذني من الموت مرتين، ونجاني بعدها من الإصابة بالعجز الدائم ورد لي عافيتي كاملة، وأصبحت صحتي أفضل من السابق، وأكرمني بعمة عطوفة اهتمت بي ولم تتخل عني، وأكرمني بـ «كريم» أيضًا الذي ظل دائمًا معي وعوضني به عن وجود أخٍ إلى جواري.

ورزقني بـ«يوسف»، شاب رائع أي فتاة تتمنى الزواج منه ومع هذا رفضته، حتى «رفيف» صديقتي المخلصة لم تسلم مني.

أنا أنكرت كل هذه النعم لأني ركزت تفكيري على المستقبل رغم أنه لم يأت بعد، ربما أموت قبل «يوسف»، أو ربما يرزقني الله بطفل رائع يملأ حياتنا بالبهجة، كيف استطعت تركيز تفكيري على الجوانب السيئة فقط، وتوقعت حدوث الأمور السلبية.

دفنت رأسي داخل حوض المياه وفقدت الإحساس بالحاضر، وفقدت التواصل مع من حولي، كيف فكرت بهذا الشكل وكأنني أدعي أن الله سبحانه لا يقدر على منحي الخير، كيف قطعت حبل الوصال مع الله كل هذه الفترة، وكيف سأصلح ما أفسدته!

كنت أبكي في وجل وأنا أفكر في كل هذه الأمور، خرجت من غرفتي واتجهت إلى الحمام واغتسلت وتوضأت وعدت إلى غرفتي للصلاة.

وأخيرًا تصالحت مع سجادة الصلاة، سكنت جوانحي وخشع قلبي ووجدت معنى القرب في السجود، لأول مرة يفيض دمعي في بوحٍ طويلٍ مع الله، لم أشعر بالوقت أثناء السجود، فقدت الإحساس بالزمان والمكان وأنا أناجي الله، خرجت من صلاتي وكأني أخرى غيري.

وأخيرًا سقط الحاجز وغمرتني السكينة، زال كل الوجع الذي ظل يسكنني لأعوام وسكن ألمي كأن لم يكن.

أحضرت حاسوبي ودلفت إلى صفحة «يوسف» الشخصية ووجدته كتب كلماتٍ حزينةٍ جعلتني أشعر بالذنب تجاهه.

(والله ضج القلب شوقًا لرؤياك، والله كوى الحنين إلى صوتك نياط قلبي فأذابه، لله ما نزفه فؤادي من أسى على غيابك، ويكفيني أن أقول فيك كما قال يعقوب عندما ذاق مرارة الغياب «إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون» (٨٦).

دخلت إلى المحادثة الجماعية وأرسلت رسالة اعتذار إلى الجميع: أعلم أني أخطأت بحق الجميع في الفترة الماضية لكن لا أملك إلا الاعتذار وأتمنى أن تغفر قلوبكم النقية إساءتي في حقها.

انهالت رسائل الاستقبال داخل المحادثة، استقبلوني بفرح وترحاب، وأرسل لي «يوسف» كلمات رائعة.

- على قدر المحن تأتي المنح والعطايا، والأجر يضاعف لمن صبر، ليست كل المحن ابتلاءات يا «حور».

قرأت رسالة «يوسف» وتأكدت أنه لولا ما حدث معي في الماضي لما تمكنت من إكمال دراستي في لندن بنجاح وحققت الإنجاز الذي وصلت إليه في العمل، تجربتي مع الرفض جعلتني قادرة على التواصل مع الطلاب في المؤسسة وساعدتني على مساعدتهم في العلاج والتغيير، وما حققته من نجاح مع «جاسر» و«ساندي» و«سيف» خير دليل على أن معاناة الإنسان تساعده على تفهم حاجة الآخرين وتجعله سببًا في مساعدتهم.

أرسل لي «يوسف» على المحادثة الخاصة:

- هل أفهم من حديثك على المحادثة الجماعية أن تفكيرك تغير يا «حور»؟

- نعم يا «يوسف» أدركت أن بعض المنع فيه عطاء أكبر من المنح، وأن بعض المحن فيها نعم أكثر من المنح.

- أنا سعيد لسماع هذا يا «حور»، لكن هل تغير قرارك بخصوص الزواج مني؟

- هل ما زلت ترغب بالزواج مني يا «يوسف»؟

- سيصلك الرد عند عودتي من أجل زفاف «رفيف»، كوني بخير حتى ألقاك.

ذهبت إلى النوم وغفوت في راحة، استيقظت في الصباح بشخصية جديدة.

غادرت غرفتي واتجهت إلى المطبخ ووجدت عمتي.

- صباح الخير يا «روفي».

- صباح الخير يا «ياسمي» كيف حالك؟

- ناديني باسم «حور» يا «روفي».

نظرت إليّ بدهشة وهتفت:

- هل أنتِ بخير يا ابنة أخي!

- نعم يا عمتي بخير، سأقوم بدعوة «رفيف» و«كريم» على العشاء.

- حقًا، أخبريني ماذا حدث معك يا «حور»؟

- تعالي معي إلى غرفة الاستقبال وسأشرح لك كل شيء.

غادرنا المطبخ وجلسنا معًا، اندمجت مع عمتي في حديثٍ طويل، أخبرتها بالتغيير الذي حدث معي، فعانقتني بفرح.

هاتفت «كريم» و«رفيف» ودعوتهما إلى العشاء، رحبت «رفيف» بدعوتي ووعدتني بالمجيء بعد انتهائها من العمل، ووعدني «كريم» بالحضور إلى القاهرة، اتجهت إلى المطبخ وجهزت الطعام وتفننت في صنع الحلوى لمعرفتي بأن «إياد» يعشقها.

في المساء وصلت «رفيف» ومعها «إياد».

اصطحبتها إلى غرفتي ورحت أسألها عن «يوسف» وأحواله، عرفت منها أنه يهرب من وجع غيابي بالعمل والمذاكرة، وصل «كريم» متأخرًا.

ارتديت فستانًا فضفاضًا وطويلًا وغطيت شعري وخرجت إليهم، احتضنتني «رفيف» وهي تهنئني، وأمطرتني عمتي بالدعوات والمباركة، طلبت منهم أن يبقى الأمر سرًا بيننا، وأن لا يعرف «يوسف».

صاحت «رفيف»: هل هذا يعني أنك رضيتِ عن أخي أخيرًا؟

همست في خجل: قلبي راضٍ عنه منذ عرفته.

استأذنت منهم واتجهت إلى المطبخ، قمت بإعداد الطاولة، فاجأتهم بإتقاني الطهو، عملي في مطاعم لندن أفادني.

اتفقت مع «رفيف» على مساعدتها في تجهيز أغراض الزواج وتحضير سكن الزوجية، غادر الجميع في المساء وأصرت عمتي أن تجمع الصحون، وتركتني أخلد إلى الراحة بعد يوم طويل قضيته في إعداد الطعام.

عدت إلى غرفتي ووقفت أتأمل وجهي في المرآة ولاحظت تعبير الراحة المرسوم على وجهي رغم أن أوضاعي لم تتغير، ولم يحدث جديد في حياتي، لكن نظرتي للأمور تغيرت، وهذا جعل شعوري يتغير تجاه الحياة، وانعكس على نفسيتي وعلى معاملتي مع الآخرين.

كنت أظن أني أحتاج إلى معجزة حتى أتخلص من شعوري بالرفض تجاه نفسي، كأن يعجب بي أحدهم ويتقبلني ويمدحني، لكن تغير حالي بمجرد أن تقبّلت أحداث حياتي وشخصيتي.

التغيير يكون من الداخل إلى الخارج، دائمًا ما كنت أسمع هذه المقولة لكن لم أفهم معناها سوى الآن، تغيرت طريقة تفكيري في خالقي وشعرت بالرضا عن كل ما حدث معي سواء كانت محنة أو منحة، كل ما يأتي من عند الله خير، شعرت بالرضا عن نفسي حتى في أوقات ضعفي وعجزي، الفضل يرجع إلى كلمات «يوسف» وحديث «إلينا».

لم يلجأ «يوسف» إلى انتقادي ولم يعاملني بازدراء بسبب آرائي وأفكاري السلبية، أو بسبب طريقة ثيابي، لم يسألني عن عدم أدائي للصلاة، لكنه جعلني أشاهد أثر الصلاة في أفعاله وتصرفاته، وجعلني أرى أثر علاقته مع الله في تعامله مع الجميع، على عكس «يامن» الذي فرض الأمر عليّ بالقسوة والإهانة ولم يتقبلني، وجعلني أرفض نفسي وأفقد الثقة في الآخرين.

«التقوى تسبق الحب». أخيرًا فهمت مقولة «روفي».

من يملك التقوى لا يؤذي غيره، الحب عاطفة جامحة تحتاج إلى الترويض، ومعظم المتحابين يفقدون السيطرة على مشاعرهم ويتسببون

في إيذاء بعضهم البعض بدون قصد، كما فعل «يامن» معي، حبه ورغبته في التملك جعلته يفقد السيطرة على أفعاله.

لكن التقوى تجعل الإنسان ينصف من يحبه ولو على حساب نفسه، التقوى تهذب القلب وتضبط المشاعر، والحب يحتاج إلى وجود المودة والرحمة، حتى يستمر ولا يتسبب في إيذاء النفس أو الآخرين.

لا بد إذًا من وجود قوانين أو قيم عليا نخضع لها جميعًا.

أخبرتني «إلينا» أن هذا القانون يسمى الضمير الاجتماعي، وهذا الضمير يجعل الإنسان يتورع عن الكذب والغش وإيذاء الناس، ومن هنا نشأت فكرة القانون والمحاكم.

كان «يوسف» يقول إن الله خلقنا بفطرة سليمة تميل إلى الخير وتحرص عليه، وترفض الشر وتنفر منه.

نعم لا بد من سلطة عليا تجعل الإنسان يحترمها ويحرص على إرضائها من خلال فعل الخير وتجنب الشر، هذه السلطة هي الله سبحانه، محبة الله والخوف منه تجعلنا نرغب في عمل الخير وننفر من عمل الشر.

أحتاج إلى وجود «يوسف» معي الآن كي أخبره بكل ما وصلت إليه وأدركته، ستفرح «إلينا» عندما تعرف أني استوعبت ما كانت تردده دومًا عن الرضا والتقبل.

نهضت من فراشي وصليت وحمدت اللّٰه على نعمته، أنا لم أعد أخشى غياب «يوسف» أو رحيل الجميع عني، علاقتي باللّٰه سبحانه تغنيني عن الخلق، سن اللّٰه سنة الفراق والموت حتى نتعود على غياب الآخرين وندرك أن اللّٰه وحده الباقي ونلجأ إليه دومًا.

أشعر أني ولدت اليوم من جديد.

«يـوســـف»:

قضيت أيامًا طويلة حزين على فراق «حور»، شوقي إليها يؤرق راحتي وقسوتها على نفسها وعلى قلبي تؤلمني، ويؤلمني معرفتي أنها تتألم مثلي وتكابر، ماذا أفعل في رأسك العنيد يا «حور»، لا أملك سوى الدعاء.

تسلمت عملي في لندن وقدمت أوراق التحاقي بالجامعة، التقيت «إلينا» وعرفت منها تفاصيل حالة «حور» منذ بدايتها، وأخبرتها بالمستجدات وطلبت مني الانتظار حتى تجد فرصة مناسبة للحديث مع «حور»، لم أتخيل أن تبدأ «حور» الحديث مع «إلينا» وتصارحها بما حدث، وواجهتها «إلينا» بحالتها ولأول مرة تستوعب الأمر دون هرب.

تحدثت مع «حور» عبر موقع التواصل الاجتماعي وحصلت على موافقتها بالزواج، ورحت أعد الأيام والساعات على لحظة وصولي إلى مصر، قررت أن أعقد قراني على «حور» فور عودتي إلى مصر، وقبل زفاف «رفيف»، حجزت تذكرة العودة قبل فرح أختي بأسبوع ولم أطلعها على موعد عودتي، أردت مفاجأة «حور» بالأمر.

وصلت من المطار إلى شقتي، واتصلت بالخالة «روفان» وصارحتها برغبتي في عقد قراني على «حور» قبل عودتي، واتفقنا أن يتم الزفاف في لندن، وأن أفاجئ «حور» بالأمر.

عادت «رفيف» من العمل واستقبلتني بشوق، وصارحتها بالخطة التي اتفقت عليها مع الخالة «روفان»، وتطوعت أختي في عملية تجهيز «حور»

وإبعادها عن المنزل حتى تتمكن الخالة من تجهيز الحفل، اتفقت مع «كريم» على أن يتولى إحضار المأذون.

وفي اليوم المحدد سار كل شيء على أكمل وجه، وعادت «حور» من الخارج بصحبة «رفيف» وهي ترتدي فستانًا طويلًا وفضفاضًا باللون الوردي.

فاجأتني بارتدائها الحجاب، يا الله أصبحت فاتنة إلى درجة تذهب العقل.

دخلت إلى الشقة وبدأنا الحفل، سالت دمعات «حور» في شوق ولهفة عند رؤيتي، راحت عيناي تعانقانها في هيام، أفقنا على مزاح «كريم» ولفت انتباهنا إلى انتظار المأذون، تم عقد القران، فاجأتني «حور» بعذوبة صوتها وهي تترنم بكلمات كتبتها لأجلي.

- وكيف لا والقلب بات يتبع القلب، فيك الجمال كل الجمال، والحسن منك ولا غنى للروح عنك.

غادرنا الشقة واصطحبتها إلى أسفل البناية ودعوتها إلى ركوب دراجتي البخارية التي زينتها بالورد والشرائط الملونة، صعدت «حور» بتردد إلى الدراجة وساعدها فستانها الفضفاض على الجلوس في وضع مريح، وضعت شريطة من الحرير على عينيها، فراحت تتذمر وحاولت خلع الشريطة لكن ألحيت عليها في البقاء مغمضة العينين، وانطلقنا.

تعمدت زيادة السرعة حتى أجبرها على الاقتراب مني، احتلت يدها الصغيرة موضع قلبي وتعلقت أناملها بملابسي، كنت أشعر أني أحلق في السماء وهي تجلس خلفي وتحاوطني بدفئها، وانطلقت بها وسط أبواق السيارات التي راحت تحيينا.

رفضت إخبار «حور» عن مكان ذهابنا وأدهشتها بمفاجأتي، عدنا إلى منزلها وتناولنا طعام العشاء وتحرجت من أن ترفع غطاء رأسها، أخبرتها أني سأصبر حتى يجمعنا منزل واحد كي أتنفس عبير خصلاتها السوداء.

أمضينا أسبوعًا من الفرح والسعادة نقضي النهار في التنزه والخروج، ونواصل الحديث في المساء، أغفو على صوت أنفاسها وتنام على صوتي.

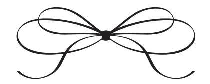
تذمرت «رفيف» من غيابي الدائم عنها، لكنها تفهمت الأمر عندما شاهدت حالي أنا و«حور».

جاء موعد زفاف أختي المرتقب، وأصريت على إيصال «حور» إلى قاعة العرس، كانت ترتدي فستانًا فضفاضًا بلون الكرز.

أمضيت الوقت في الحديث مع «حور»، إلى أن جاءت لحظة الزفاف، وغادرنا القاعة وودعنا «رفيف» و«كريم» وتركناهما أسفل منزلهما الجديد، اصطحبت «حور» إلى شقتها وودعتها.

في صباح اليوم التالي:

أصرت «حور» على اصطحابي إلى المطار بسيارتها، كان الوداع بيننا مؤلمًا، لم تتوقف «حور» عن النحيب ولم أقو على المغادرة، وتدخلت الخالة «روفان» وجذبت «حور» و«إياد» إلى الخارج، عدت إلى لندن وبدأت إجراءات إحضار «حور»، أشتاق إليها كثيرًا، غيابها عني يذيبني وجعًا.



«ياسمين»:

كنت أنتظر زفاف «رفيف» و«كريم» بفارغ الصبر حتى يعود «يوسف» ويقر قلبي برؤياه، وقبل زفاف «رفيف» بأسبوع أصرت على ذهابي معها إلى محل فساتين الحفلات لتشتري لوازم زواجها، وأقنعتني بشراء فستان لأحضر به زفافها.

اشتريت فستانًا فضفاضًا معه حجاب يتماشى مع لونه، وارتديته في غرفة الملابس، وخرجت إلى «رفيف» وجدتها دفعت تكلفة الفستان، وأصرت أن أعود معها إلى المنزل وأنا أرتدي الفستان بحجة أنها تأخرت على موعدها مع «كريم».

عدنا إلى المنزل، وجدت باب الشقة يفتح وحده، تسمرت في مكاني وأنا لا أصدق عودة «يوسف»، سال دمع الفرح من عيني وتمنيت أن أعانقه، دفعتني «رفيف» إلى داخل الشقة، لاحظت الزينة المعلقة، وطال النظر بيني وبين «يوسف»، كانت عيناه تعانقاني في لهفة وشوق ولم أقو على إنزال عيني عنه.

صاح «كريم» وهو ينبهنا إلى وجود المأذون وانتظاره في الصالون، كل هذا وأنا لم أفق بعد من فرحتي بعودة «يوسف»، دفعتني «رفيف» إلى غرفة الصالون وأجلستني عمتي، وبدأت إجراءات عقد القران وأنا غارقة في دهشتي وخجلي، وكلت «كريم» بعقد القران، ضاع صوتي مني وأنا أردد صيغة الزواج، وتلعثمت في خجل وأنا أحاول التغلب على ارتباكي.

انصرف المأذون وانسحب الجميع من المكان، غمزتني «ساندي» وهي تهمس: ألم أتنبأ بزواجكما؟

وذهبت بعدها ولم يبق سواي أنا و«يوسف».

اقترب «يوسف» مني بلهفة وأحنى رأسه ولثم جبيني بشوق وسألني بعدها: هل تقبلين بالبقاء قربي إلى آخر العمر؟

وترنمت بكلمات كنت قد كتبتها عندما سألني الزواج منه ولا أعرف من أين واتتني الجرأة لأتغزل به، رفع يدي إلى ثغره ولثم راحة كفي وهو يهمس بكلمات شوق اخترقت خلايا قلبي وأذابتني عشقًا.

- أخيرًا يا «حوري» جمعنا الحلال وأصبحت زوجتي وحوريتي، بعد أن عذّبني البحث عنك وأضناني رفضك، لكنك تستحقين كل ما لاقيته في هواك من عناء وشوق، أعاهدك يا مهجة قلبي أن أحتويك في صدري حتى آخر لحظة في عمري، وأعدك أن تتخللي بين ثنايا روحي وتسكني فؤادي إلى الأبد يا «حوري»، صدقت رؤياي وجعلها ربي حقًا.

- «يوسف» يا روح روحي أعشقك لأنك الوحيد الذي استطاع أن يصالحني على نفسي، أنت الوحيد الذي تقبلني كما أنا، دون أن تطالبني يومًا بزيادة حسناتي أو تعايرني بأخطائي سأظل أحبك يا حبة القلب حتى آخر نفس في صدري، رضي الله عنك يا «يوسف» وأرضاك بحق ما أصلحت علاقتي بالله، أنت سكني وسكناي وسكينتي يا يوسفي، أدامك الله نعمة في حياتي.

انطلق لساني بالبوح بعد عمر طويل من الكتمان والغياب، لم أتمالك نفسي عن مصارحته شعوري.

جذبني «يوسف» بعدها إلى خارج الشقة وأرغمني على ركوب الدراجة البخارية وأنا مغمضة العينين، وانطلق مسرعًا مما اضطرني للاقتراب منه والالتحام به، شبكت أناملي حول خصره، كنت أستمع إلى هتاف المارة ومباركتهم وإلى أبواق السيارات حولنا.

توقف «يوسف» وساعدني على النزول وساندني في صعود الدرج، وطلب مني رفع الشريطة عن عيني، وجدت نفسي أقف على درج المؤسسة المزين بالشرائط الملونة والورود الصغيرة، همس «يوسف»: هنا بدأ أول لقاء بين الفتاة المجنونة سليطة اللسان وعمود الإضاءة الأهوج.

جلس على ركبتيه وطوّق إصبعي بخاتم الزواج ولثم كفي بعدها، أعطاني خاتمه ووضعته على إصبعه وهمس:

- أنت ضلع من ضلوعي نزع عني قسرًا وأرضاني الله بعودته، أنت جبر الله لقلبي يا «حور».

غادرنا المؤسسة وجذبني من يدي إلى الدراجة، وهو يهمس:

- أنا أدين لك بكوب قهوة ومعجنات قرفة وبرك، هيا لتستردي دينك.

وانطلقنا إلى محل العم «راشد» الذي كان مهيئًا لاستقبالنا.

أحضر «يوسف» كوب القهوة المخفوقة بنكهة الفانليا، وضع الكوب على فمي، أخذت رشفة من الكوب، وتتبع «يوسف» موضع ثغري وتعمد أن يشرب منه، ظل يفعل هذا إلى أن انتهينا وغادرنا، عدنا إلى منزلي وودعني بقبلة على جبيني.

راقبته من الشرفة وهو يغادر، وصلت إلى غرفتي ووجدت اتصالًا من «يوسف»، ظل يتحدث معي حتى وصل إلى شقته، تحدثت معه إلى أن غلبني النوم، وغفوت على صوته العذب.

أفقت في الصباح ووجدت «يوسف» خارج غرفتي، استعجلني في الاستعداد للنزول معه.

قضينا اليوم خارج المنزل، ظل يتنقل بي من مكانٍ إلى آخر، لم تتوقف همساته المشتاقة وحديثه العذب طوال وجودنا معًا، ضعت ما بين رقته وعذوبة كلماته وغنائه لي بصوته الآسر.

أسبوع مضى وأنا أواصل الليل والنهار مع «يوسف»، أغفو على صوته في الليل، وفي الصباح أصحو على رؤياه، حضرنا زفاف «رفيف» و«كريم»، وقضيت الوقت في الحديث مع «يوسف».

ودعت «يوسف» في المطار، وكان مأتمًا، لم أتوقف عن البكاء والنحيب حتى عدنا إلى المنزل، جنت عمتي من نحيبي أنا و«إياد» فتركتنا وذهبت إلى العمل، عانقت «إياد» وانطلقنا ننتحب معًا، هو يبكي على «رفيف» وأنا أبكي على «يوسف»، عادت عمتي ووجدتنا على هذه الحالة.

هدأت بعد أن اتصل «يوسف» وطمأنني على سلامة وصوله، وبشرني أنه سيبدأ تجهيز إجراءات ذهابي إليه فورًا، تحدثنا في مساء اليوم وفقدت السيطرة على شوقي إليه وجزعي من غيابه.

مرت الأيام ببطء، كنا نقضي الليل في الحديث معًا، ويتركني «يوسف» في الصباح للذهاب إلى العمل، تمت إجراءات سفري وحجزت تذكرة ذهابي، وأمضيت ليلة السفر في الحديث مع «يوسف»:

- لا أصدق أن روحي ستلتحم بك غدًا يا «حوري».

- لا أصدق أن عيني ستتكحل برؤياك غدًا يا «يوسفي».

ودعته وذهبت إلى النوم، واستيقظت مبكرًا، جاءت «رفيف» و«كريم» واصطحباني إلى المطار، كنت أحسب مرور الساعات المتبقية على رؤية «يوسف» بفارغ الصبر.

وصلت مطار لندن والتقينا، ركض «يوسف» نحوي وعانقني ورفعني عن الأرض وضمني إليه في شوق، بادلته العناق ولم أهتم بأنظار من حولي، فقدت معه الإحساس بالزمان والمكان، انتهت نوبة الشوق وغادرنا المطار.

اصطحبني إلى سيارته وتوقف أمام صالون تجميل، وأحضر من المقعد الخلفي فستان زفاف أبيض ومعه معطف من الحرير مزود بغطاء رأس، سلمهم إلى موظفة الصالون وطلب مني الدخول.

استقبلتني إحدى العاملات، اغتسلت من آثار السفر وساعدتني الموظفة على ارتداء الفستان.

جلست على مقعد التزين، ورفعت خصلات شعري إلى أعلى وثبتته بالتاج الأبيض وتركت باقي شعري ينسدل إلى خصري، وثبتت غطاء رأسي وغطت شعري بغطاء المعطف، كان المعطف مع غطاء الشعر يشبه رداء الأميرات في الأفلام التاريخية.

غادرت المركز وساعدني «يوسف» على دخول السيارة، وظل يتطلع نحوي على مدار الطريق وهو يهمس: أشتاق إلى شم عبير الورد في خصلات ليلك الأسود.

أخبرني أنه انتقل إلى فرع المؤسسة الموجود في الريف، وصلنا إلى طريق جبلي حوله أراضٍ خضراء شاسعة، أوقف «يوسف» السيارة على جانب الطريق وأخرج الحقائب وسلمها إلى أحد عمال المؤسسة وساعدني على الصعود إلى دراجته البخارية.

انطلقنا في الطريق الجبلي الملتف، وصلنا إلى منزل ريفي يقع على ارتفاع شاهق، وتحيط به الخضرة من كل جانب، رفعني عن الأرض ودخلنا إلى منزلنا، وبدأت أسعد أيام حياتي، وتوجها مجيء ابنتي وقرة عيني «رهف».

- «إياد» ابن عمتك قادم إلى زيارتنا غدًا يا «رهف»، احسمي قرارك في مسألة خطبتك منه.

- أنا مترددة للغاية وخائفة يا أمي.

- خائفة من ماذا يا بنيتي «إياد» يحبك وأنت أيضًا تبادلينه مشاعره فما المشكلة إذًا؟

- أنا خائفة لأني أحبه وأخشى أن يتخلى عني.

- «رهف» توقفي عن الحديث بسلبية.

- هذه ليست سلبية يا أماه هذا يسمى واقع، أنت لا تعرفين كيف أصبح الشباب اليوم.

- أنت تتحدثين عن أشباه الرجال، «إياد» رجل.

- لا يا أمي هذا لا يكفي، قد يتغير شعور «إياد» تجاهي فيما بعد ويتركني، لن أحتمل وجع الفقد.

- «رهف»، ما هذا الحديث؟

- لن تفهميني يا أمي أنت لم تتذوقي مرارة التعلق والتخلي.

- آه، يبدو أنها مشكلة متوارثة عبر الأجيال، «رهف» اذهبي إلى غرفتي وأحضري الدفتر الذهبي من مخبئه.

عادت «رهف» وهي تحمل الدفتر ووضعته أمامي.

- اقرئيه يا «رهف» قبل مجيء «إياد».

- حسنًا يا أمي لكن لمَ لا توفرين عليّ الوقت وتخبريني بمحتوى هذا الدفتر؟

- لأنه يستحق القراءة يا «رهف»، وأتمنى أن يغيّر رأيك ويساعدك على اتخاذ قرارك.

تــمــت


رواياتي
Rwaiaty.com


رواياتي
Rwaiaty.com